

جيرانُ العالم

الكتاب: **جيرانُ العالم**

المؤلف: يانيس ريتسوس

مختارات شعرية

ترجمها عن اليونانية: خالد رؤوف

الناشر:

جدار للثقافة والنشر | مالمو، الإسكندرية

info@jidar.net | www.jidar.net

الطبعة الثالثة 2025

الطبعة الثانية 2019 | الهيئة المصرية للكتاب

الطبعة الأولى 2009 | جدار للثقافة والنشر

الترقيم الدولي:**978-1-326-40828-2**

التصميم الداخلي والغلاف: جدار للحلول المستدامة

شعراء. سلسلة شعرية تصدر عن دار **جدار** للثقافة والنشر وتُعنى بنشر قصيدة النثر. يشرف على إصدارها عبدالله الريامي و**خلف** علي الخلف وحامد بن عقيل.

Neighbors of the World

By: Yiannis Ritsos

Poetry

Translation from Greek to Arabic by: Khaled Raouf

Publisher: Jidar for Culture & Publishing

.Interior and Cover Design: Jidar for Sustainable Solutions

ISBN: 978-1-326-40828-2

يانيس ريتسوس

جيرانُ العالم

شِعر

ترجمة خالد رؤوف

مقدمة المترجم

ليستِ المرة الأولى التي يُترجم فيها «شيءٌ» من أعمال الشاعر يانيس ريتسوس؛ لكن أغلب الترجمات التي قدمت من قبل إن لم يكن جميعها، تُرجمت عن لغات أخرى. لذا تعد هذه النسخة هي الأولى من أشعار ريتسوس المترجمة إلى العربية عن اللغة اليونانية دون لغة وسيطة.

وبالطبع؛ لا يمكن الإحاطة بأعمال ريتسوس كاملة فله حوالي مائة ديوان إضافة الى ما يقارب الـ خمسين عملاً شعرياً وإبداعياً لم تنشر حتى الآن!

وأمام هذا القدر من الأعمال سيكون من الصعوبة بمكان على أيّ مترجم أن يقدّم مختاراتٍ تحيط بتجربة ريتسوس المديدة! حتى بالنسبة لمن يعيش في اليونان ويكتب بلغتها كما أفعل. ورغم أني قبل وخلال الترجمة قرأتُ أغلب ماطبع لريتسوس، إنّما اعتماد هذه الترجمة على مختارات أصدرتها الباحثة السيدة خريسا بروكوباكي من شعر يانيس ريتسوس في العام 2000 عن دار (كذروس) يسّر عليّ المَهمة؛ كونها دراسة عميقة وبمثابة إطلالة وافية على مُنجَز ريتسوس، أخذتْ فيها الباحثة بعين الاعتبار تقديم بانوراما راعت فيها المراحل الشعرية والتاريخية وكذلك الشخصية التي مر بها الشاعر اليوناني؛ والذي يعد أحد أهم شعراء اليونان والعالم. شاعر ترك لنا إنتاجاً غزيراً من الشعر عالي الجودة؛ رغم ندرة اجتماع ميّزتَي غزارة الإنتاج ورفعة الجودة في الأدب.

تقول بروكوباكي في مقدمة الدراسة: [عندما يكون الباحث بصدد عمل مختارات من إنتاج شاعر بعظمة وعطاء وتأثير يانيس ريتسوس فإنّه لا يبني اختياره على الجمال أو الإعجاب أو حتى على الذوق الشخصي، ولكن على قيمة ما تقدّمه النصوص للشعر والأدب اليوناني والعالمي. لذا فهي موزعة على فترات عديدة لكنها تركّز على المونولوجات الشعرية التي نُشرت تحت عنوان «البعد الرابع»، والتي كُتبت في عام 1956 وما بعده. وبالطبع تم اختيار العديد من القصائد القصيرة وفق ذات المعيار.]

هذه المختارات توضح وبعمق الإنجازات الشعرية لريتسوس وتوضح أشكال الشعر المختلفة والمواضيع المتعدّدة التي طَرقها الشاعر خلال ستين عامًا من الإبداع. وتعتبر الفترة التي ركزت عليها الباحثة من أهم الفترات حيث شهدت نضج تجربته.

وإذا كان ريتسوس قد عُرف في أغلب ترجماته الى العربية - عن اللغات الوسيطة - بنصوصه القصيرة؛ فإنّه أيضاً شاعر القصائد الطِوال، لذلك سيجد القارئ تحت عناوين بعض القصائد كلمة «مقتطفات» ونريد بها ما اُقتُطفَ من القصيدة أو المونولوج الطويل، وقد تمّ هذا بحيث لا تؤثّر هذه المقتطفات على بُنية القصيدة، وألا يُخلّ بالمعنى الذي أراده الشّاعر. وهذا ما فعلته الباحثة اليونانية أيضًا.

ومع ذلك أوردنا ثلاثة نصوص (مونولوجات) كاملة في هذه المختارات وهي: أوريست، البيت الميت، سوناتة ضوء القمر.

أيضًا؛ لا بد من الإشارة إلى أنّ اللغة اليونانية تختلف في تركيب جملها عن اللغة الإنكليزية والفرنسية مثلاً، تلك اللغات التي تُرجمت عنها بعض أعمال ريتسوس إلى العربية، وهو ما ينعكس بالطبع على تلك الترجمات كافة. إضافة إلى ذلك فإنّ ريتسوس أثّر في اللغة اليونانية نفسها؛ ونسج تراكيب جديدة في تلك اللغة، وهو ما قد يتعذّر لمسه عبر اللغات الوسيطة.. حيث يقول الكاتب البريطاني إدوارد فورستر «الترجمة الجيدة هي اللغة التي لابدّ وأن تفي بنفس الغرض في اللّغة المُترجم لها؛ مثلما فعل الغرض الأصلي في اللغة التي كُتب بها».

في هذه الترجمة حاولتُ أن أقدّم نسخةً عربيّةً تحمل الأفكار الموجودة في النص الأصلي دون تحوير أو إضافة أو تدخّل لا تقتضيه متطلّبات الترجمة، وأن أجعل النص المُترجَم يحتفظ بنفس الخصائص الأسلوبية الموجودة في النص الأصلي؛ بما فيها عناصر السهولة والوضوح أو تلك المركّبة، وهو ما يعتبر أحد خصائص أسلوب ريتسوس في الكتابة الشعرية، متوخياً أن تولّد استجابةً مشابهة في ذهن قارئ النصّ المُترجَم لتلك الموجودة في ذهن قارئ النصّ الأصليّ.

أخيرًا؛ لابدّ لي من التوجه بالشكر إلى كل من أسهم في خروج هذه النسخة بشكلها الحالي والذي آمل أن يثمر الجهد المبذول فيها. وأخصّ بالشــكر الصــديق خلف علي الخلف الذي راجع معي هذا العمل وكان لاقتراحاته ونقاشاتنا حولها دورًا في الوصول الى أفضل ما يمكنني تقديمه إلى القارئ.

خالد رؤوف

يانيس ريتسوس: سيرة ذاتية

1909 -1934

ولد في أول يناير في مونوفاسيا. كانت عائلته تنتمي لأكبر عوائل الإقطاعيّين في المنطقة، انهارت أقتصادياً بعد سنوات قليلة من ولادته، والأسوأ من هذا أنّ العائلة غرقت في حزن شديد.

في عام 1921 مات الأخ الأكبر - ضابط البحرية – بداء السُّل، وكذلك الأم التي كانت الأقرب إليه.

تعتبر قصيدة «بيت ميت» هي البصمة الأهم في حياته وأعماله. وقد نُشرت أولى قصائده في عام 1924 تحت اسم مستعار هو: «العطر المثالي».

في عام 1925 استقر في أثينا، حيث عملَ في الطباعة ونسخ العقود على الآلة الكاتبة. في العام التالي أصيب هو الآخر بداء السُّل.

قُسّمت حياة ريتسوس بين المصحات والأعمال البسيطة المختلفة بعائد زهيد (ممثل، راقص، مصحّح ومراجع للنصوص).

في مصحة سوتيريا التقى بأعضاء الحزب اليوناني الشيوعي واعتنق الماركسية.

وقد عبّرت قصيدة «الرؤية المثالية» عن رؤيته الاجتماعية آنذاك.

1934 - 1936

استخدم ريتسوس أبياتاً تراثية كما في ديوان تراكتور (جرارات) 1934 والأهرامات 1935؛ حيث عبّر فيها عن توجهاته الجديدة في الشعر محاولاً تصوير ذلك التمزّق المؤلم.

في مايو 1936 أوحى لهُ القمع الدامي لمظاهرة عمال مصانع الدخان المضربين بقصيدة «المراثي»، هذه البكائية لأم أمام جسد ابنها المقتول، والتي تتحوّل إلى اعتراض اجتماعي ثم تُحرقُ نسخٌ منها مع كتب أخرى على يد ديكتاتورية 4 أغسطس في طقس خاص أمام أعمدة زيوس الأوليمبية في اليونان.

1943 - 1937

هي فترة الانفجار الغنائي لدى ريتسوس وتحديداً في عام 1937؛ يتأثّر بمرض أخته لولا النفسي، الذي قادها إلى مصح الأمراض النفسية والعصبية (تواجد به الأب أيضًا منذ عام 1932)، فكتب أغنية «أختي» وهي القصيدة التي تحمل «البرهان» من بالاماس المسن (شيخ شعراء اليونان) الذي قال: «إنّنا ننحني كي تمرّ أيّها الشّاعر».

في عام 1938 جاءت قصيدة «اتّفاق ربيعي» لتعالج الجروح أمام معجزة الحبّ الأول.
وفي عام 1940 كتب «في مسيرة المحيط» عن حلم السفر الكبير الذي يتغذّى بذكريات صخرة مونوفاسيا.
أمّا في عام 1943 فقد جاءت قصيدة "إيقاع المطر" لتعبّر عن الموسيقى الواضحة التي تعقب الإيقاع الأساسي في موسيقى الرقص القومي البولندي حيث ظهرت بالتدريج إشارات رمزية عن واقع ظلمة الاحتلال.

1944 - 1953:

طوال فترة الاحتلال كان الشاعر طريح الفراش بسبب وطأة المرض. يشارك في القسم الفني لجبهة التحرير القومية بالكثير من كتاباته التي كان من بينها رواية طويلة فُقدت في أحداث سبتمبر والحرب الأهلية وقتذاك.

في عام 1948 نُفيَ ريتسوس إلى جزيرة ليمنوس، وعاش في عام 1949 في ماكرونيسوس، وفي عام 1950 في ستراتيس حتى أُطلق سراحة في عام 1952.
مع قصيدة «المائة عام الأخيرة قبل تاريخ الإنسانية» - 1942 والتي كُتبت في نفس الوقت مع قصيدة «التجربة» بدأت مرحلة جديدة غطت تلك السنين الصعبة في حياة الشاعر. وهي قصائد موجهة تقريباً وحصرياً لقضايا النضال والمنفى، وإنْ بدت تختلف في الشكل إلا أنها ارتبطت فيما بينها وتماسّت مع التجربة التاريخية الحديثة.
مجتمع الألم سيُعبَّر عنه بشكل قروي (ثلاث سنوات، 1944 ـ47). ملحمة الثورة ستحيا في العمل المزدوج «روميوسيني» (الروح اليونانية) وسيدة الكروم (1945 -47). في «الزمن الحجري» (1949)، تتعرّى الكلمة وتصير صرخة تصعد من جحيم ماكرونيسوس. تكثيف، اعتراف في مذاكرات المنفى المتقشفة. في نفس الوقت قصيدة نهر من الأبيات

(5.500) بيت شــعري، «جيران العـالم» (1949-1951)، «تـأريخ» لفترة الأربعينيات مع مراحل بينية كثيرة، ثمّ تكتمل الحلقة مع قصــيدة «ولاية عـاصــية» (1952-1953)؛ إدراك عميق لهزيمـة اليســـار مع عودة بـاهتـة لأثينـا المخـدّرة. محـاولـة لإعـادة تنظيم النضال مع استعادة الآمال الضائعة.

1954-1967:

تزوّج ريتســوس في عام 1954 بالطّبيبة غاريفاليو يورغياذو. وأُعتُبِرت الســنوات التالية فاصــلاً من الســلام والصــفاء في محيط بيته حتّى ولادة ابنته إري التي ألهمتهُ قصــيدة «بهجة نجم الصباح».

حملتْ فترة عام 1955 ثماراً جديدة حيث هيّأت له الظروف الطبيعية نوعاً من الســلام الداخلي الذي نتج عنه إطلاق نصوصٍ ثريّة، وهي المرحلة التي تُعدُّ ذروة الشعر المعاصر لما فيها من إلهام وتعبير جديديْنِ وابتكار طُرق في الشــعر وفي العمل الكلاســيكي حيث أصـدر ديوان "البعد الرابع" والذي أُعتُبِرت «ســوناتا على ضـوء القمر» (الحاصـلة على جائزة الشعر القومية عام 1956) أهمّ قصائده.

في هذه القصائد الطِوال ــ أكثرها مونولوجات درامية ــ كان ريتسوس يرتدي فيها أقنعة معاصــرة أو أســطورية ويغزو بعمق بئر الروح والضــمير، يتحدث عن العزلة، فقدان الحب، شـيخوخة الجسـد والأشـياء في (ســوناتة في ضـوء القمر 1956، البيت الميت، 1959. تحت ظل الجبل 1960).

في قصيدة ـ مونولوج يوضح ريتسوس قيمة الحياة البسيطة حيث تكتمل المعجزة وينزع قناع الذنب عن الشخص العادي (اللاّ بَطل).

أمّا في قصـيدة (إســميني 1972) فيقوم بتشــريح صـدامات الضـمير للفرد في المجتمع (أوريســـت، 1966 - فيلوكتيتس 1965). ثم يعيـدُ ترتيـب الزمن بقوة في تـاريخ وذاكرة الفرد الشخصية (عندما يأتي الغريب، 1958).

في نفس الوقت الذي كتب به ريتســوس "البعد الرابع" نظم بانتظام قصــائد قصــيرة توضـح وتكثف المونولوجات الطويلة بنعومة وغالباً بغموضٍ ما يدوّن بصــوتٍ خفيضٍ الإيماءات القليلةَ، الصــدمات الروحيةَ، يثبت العابر ويكرّس في شــعره الحياة اليومية حيـث يتحـدّث إلى النـاس والأشـــيـاء (الأثـاث، الأواني، أدوات العمـل)؛ هـذه الأشـــيـاء

«البسيطة، المحسوسة، الساكنة، هذه الرواسب الصغيرة للأعمال الإنسانية» كما يقول هو في تعليقه على قصيدة«الشهادات» (1963- 1966).

1972-1967:

بعد الانقلاب العسكري مباشرة 1967، يُنفى ريتسوس مرّة أخرى إلى (غافروس - ليروس) ثم يُوضع رهنَ الإقامة الجبرية في منزله بجزيرة ساموس حتّى نهاية عام 1970. في نفس الوقت يواجه الموت (يوضع في مستشفى «أجيوس سافاس» تحت الحراسة). ومن ناحية أخرى يصاب بالإحباط نتيجة حلّ الحزب الشيوعي اليوناني واحتلال تشيكوسلوفاكيا. إنّما تلك السّنوات السبع المظلمات سيكُنّ فترة إنجاز كثيفة؛ حيث يحصل على كم من الجوائز والتكريمات في الخارج مثل ترجمة قصائده للغات عديدة شهدت على أهمية أعماله عالميًّا.

في عام (1968) تصدر الثلاثية: أحجار، إعادات، الحاجز الحديدي بلغتين في فرنسا، تعبيراً عن المرارة وشعور «اليُتم»، بعد توابع الأزمة في الدول الاشتراكيّة دون أن يغيب نبض المقاومة، كما في المزامير، اختفاء ميلوس (1971)، أو ثماني عشرة أغنية للوطن المرير (1973)، حيث كان الجسد الأساسي لهذه القصائد مشبعًا بإحساس اللاجدوى والموت. أمّا في دواوين مثل «الحائط في المرآة» (1974)، ممر ودرج (1973)، كتابة أعمى (1979) يدخل ريتسوس عالم «كابوس يومي وليلي»؛ عالمًا مُحطّمًا، مُشوّهًا، مُصابًا بجنون العظمة.

لكن في مونولوجات البعد الرابع (1972) مثل أجاممنون، خريسوثيميس، هيلين، عودة إيفجينيا، يتحول مركز الثقل إلى الحقل الوجودي. حيث ساعة الاعتراف: حرب طروادة، تضحية إيفيجينيا، أعراف قتل الأم والتي تطرح الآن سؤالاً بلا إجابة: لماذا؟

أما في فترة الديكتاتورية العسكرية فستُسمع ألحانٌ تخلد ثمار إبداعه، كانت دليلاً على يقظة، وإرادة الشاعر المتمرد.

1983-1972:

غراغاندا (1973) وبرج الأجراس (1974)؛ تقدّس تلك القصائد انتفاضة الطلاب في البوليتخنيو (مجمع العلوم)، لكنّها تفتتح أساليب تعبير جديدة بعد الكتابة السورياليّة

التعبيرية، حيث تولد بلغة شعبية ملغومة ومزدوجة في عالم سائل، تكون فيه الناس، الحيوانات، أشياء تتحاور بتمرد وبلا التزامات: «... كلام متقابل، استجابات، إبعادات، سوء فهم، عشوائية وأكثر من ذلك ـ مونولوجات ـ كلام غير مترابط، تافه، باحث، بلا إجابة، ضروري...» [كما عبّر في أحد تعليقاته].

ثم ينتشر عالمٌ غريبٌ مثل النمل في خيال الشاعر الذي لا ينضب - ربما كان هذا ما يعنيه عنوان «الخلق» في [مُجلّد كبير نُشر عام 1977]، تتجلّى فيه علاقة «الكونية» مع ما سبق.

أمّا جولات النصر فتأتي أيضًا في مُجلّد كبير يحتوي على مجموعات شعرية من عام 1978 حتى 1983، يستعيد الشاعر فيها ذكريات حدثت في المستقبل وتصوّرات حدسية لريتسوس الناضج الذي يستثمر كل محتوى شاعريته وغنائيته الكبيرة مرة أخرى في الرهان التاريخي. بعد ذلك تصدر مجموعة نثرية تُعدّ امتداداً للشعر وهي «إطار أيقونات قديسين غير معروفين» (1983-1996)، تتحدث عن تجارب شخصية واجتماعية وقصص حب متخيّلة.

مات يانيس ريتسوس في الحادي عشر من نوفمبر 1991، تاركاً وراءه خمسين مجموعة شعرية لم تُنشر.

بعدها صدرت لهُ مجموعاتٌ شعريةٌ تحت عنوان: «متأخّراً، متأخّراً جداً في منتصف الليل» (1991) كانت بمثابة التلويحة الأخيرة التي لا تكذب معها طموحاته، إذ ينظر فيها إلى الموت مباشرة ويسكب آخر لحظات كلامه.

«طعم عميق للنهاية يسبق بداية القصيدة».

خريسا بروكوباكي

الجرارات

مقتطفات

منفذ

ربة الشعر أمي، استقبلي جسدي صليبا
وفوقه سمّروا حياتي كالناصري؛
تَقَاسَم كنزي الآخرون بجدارة
وأحمل بصاق الحقراء على وجهي الجميل.

اجعلي، صوت الجراح انتقاما، اجعلي الصوت نواحاً،
- لم أذق أبداً هادئاً طعم رغيف أسمر-
في العرق الذي أرقته ضاربا الأرض منحنياً،
أضيئي سهام العدل من شعاعك.

أيا، هذه الليلة، أسير صامتاً في سكرة ميت؛
ثقيل على كفوفي لقاح الغضب؛
كنت أهدى حباً في كل مكان، لكن أحداً لم يرني
وأنا بذرة جمال في بستان عقيم.

أدار لي الكون تلاله، وفي ظلال الشموس
أزحف، دودة شاحبة، ولو أنني منذ وقت
كنت أغزل للأولاد اللذين لم يولدوا بعد أقمشة الحنان الملفوفة،
رفضوني، وفى نكران العقل تعطب الثمار.

لم أجد صديقاً ولا صنعت واحداً، على نفس المقعد المائل

نمكث ساعات صامتين، ينتفخ الصدر ويعلو
من سعادة الاتصال ودموع جرة الفخار
تتدفق لنغسل أيدينا من التراب.

ونظرة شك وحيدة تنتصر على جرأتي
-حمّال، أحمل على ظهري أثقال أجيال مريضة-
مدينة الجمال التي كنت أبنيها بنبلٍ
هدموها بصياح المحاصرين البرابرة.

السخرية تخطئ أُذنيَّ في موسيقى الحياة
أحدق بعيني الجديدة في عدسة السخرية؛
وكل حصوة رفعتها عن طريقي
رأيتها كجبلٍ أثقل الأرض بآلام النمل.

بخار زائف يطمس النور
في كأس زهور الأرض فقط يرعى المنحنى؛
العقل حَجرة العالم وما يزال أصماً
في نشيد الشمس حيث تضحك السهول الزمردية.

يسكن الناس في ذواتهم منغلقين
في بحر الوحدة، قواقع مهجورة،
في أعماقهم الزرقاء يترقبون الليل
ومرجان القلب لم ينبت على الشفاه.

...

لكن لا؛ لا أريد أن أكون بائساً بين الرعاع
ومجهولا في العدم أغرق بوضوح،

يا ربة الشعر، أعطني يدك واجعلها لي مرشداً
ومن قوس الظلال إلى النور فليدخل عقلي.

وفي مرايا عيونك ستضحك في مرح
كل جراحي التي ما زالت على الشفاه دامية؛
ستخلد مكانتي على شجر البلوط الضخم
أمام الفجر، وسنوات الجليد
لن يكون التاج لي.

افتحي رأسك- مهدَ ميتٍ- لتستقبليني،
- ولا حتى خيط رفيع يمسكني على حافة الهاوية-
اجعلي لسقوطي بريق نيزك ليلي
كي أتنفس الحياة كلها في قفصك الضيق.

وحينها سأقف أنا الضعيف في المنتصف
ولتكن حولي دائرة أبيات شعري كمتمردين مدرعين
سأضع النجوم خوذة على جبهتي المنتصبة
غير راهب أعدائي وأنا أتجاوز صفوف الأبيات.
...

«الثوار»

ماركس، إنجلس، لينين، بيبل، بوخارين
حشرتهم في العقل واحداً تلو الآخر.
ها أنا ذا، حصلت على المثال
أن أنقد بالجدلية

«متلازم النظرية والممارسة» -
غالباً ما أتعرقل في التطبيق،
لكن نقدي دائماً منظم،
يختبر الجميع ويفحص كل الأشياء.

تجمعات البروليتاريّينَ
من النافذة أنظر إليها
أتأثر حتى البكاء
وأكتب أبياتاً أكثر من 100.

أترك الفكرة بالونةً شفافة
تتطاير في السماء الخاوية،
أرى الانطباع يمتد
اللون ينعكس في الفراغ.

والآن أصرّح بالرأسمالية لماركس
لكنني أتجنب الاصطدام
لأنني، أعرف، سأصاب بالذعر المميت
لو ذات مرة، زجوا بي في السجن.

الجرارات كتبت بين عامي 1930 – 1934

أهرامات

رغبة

إلى يانيس سكاريباس

سآتي فجرا ما، في أبريل، حين يلدغ اللون القرمزي
في أنفاس الريح،
قليلا من الضوء أشرب في كأس زهور الصداقة،
يا صديقي البعيد.

لتظهر الأشياء المخفية متسائلة،
مبكراً أدركني الليل؛
واشياً بكل حلم وحب
وليس لدي حجاب ولا ملاطفة وديعة.

بالعقل، الماس القاسي، شرخت
زجاج القلب، ومع ذلك
لا حتى ربة الشعر، أو المصير الآخر، أو الساحرة
لم تثبت لي الغار على التاج

خرّبت عدتي وقصمت عظمة صدري
حتى أطفو إلى خالكيذا[1]
سألقي في البحر من المركب
سلسلة العين الثقيلة.

[1] خالكيذا: المكان الذي كان يعيش فيه سكاريباس أحد كتاب اليونان وصديق لريتسوس

سأجدك؛ وسنحتفل ساعات
كثيرة، كثيرة غير مهمة وجميلة.
والعيون على الأزرق تطفو
سأملأ الأمفورا بالنور.

البحر يواجه الشاطئ ويعلوه،
على أصيص الياقوت، النوارس والزنابق
سيبقى للعقل مجده غير المكلّل
بدون أن يُنقَد أو يَنقُد.

ستقول لي – وهذا اكتشافٌ جديدٌ –
قصصًا معروفةً مليئةً بالحلاوةِ
أعياد بحارة حتى الصباح
من أجل قطعة حلوى أو أنيكا.

سأسمعك أنت والأمواج
- رذاذ البحر صوتك، ونفسك ملوحة-
وناسياً للمشاكل المستعصية
سأسعد مرة أخرى بعطر الأرض.

وعندما يحل الليل - هيلا هوب
هيلا هوب، أخوة في اليتم-
مساحات شاسعة ستبرق داخلنا،
مثل تلك الأضواء على صفحة البحر.

المراثي

(ثيسالونيكي. مايو 1936. أم في منتصف الشارع، تنوح على ابنها المقتول. حولها وفوقها، أمواج الهرج والمرج من المتظاهرين- المضربين من عمال مصانع الدخان. والأم تستمر في النّدبة)

-I-

بُنيَّ، يا فلذة كبدي، يا ابن قلبي،
يا طير البيت الفقير، يا زهر وحدتي،

كيف أُغلقت عيناك. ولا تنتبه لبكائي
ولا تتحرك، ولا تتأثر وأنا أقول لك بمرارة،

يا ولدي، يا من كنت تطبب شكواي،
كنت تخمن ما يمر من تحت جفوني،

الآن لا تواسيني ولا تنطق بكلمة
ولا تستشعر الآلام التي تأكل أحشائي؟

يا عصفوري، يا من كنت تحمل لي الماء في كفك
كيف لا تشعر بلطمي ورعشتي كالعصا!

في منتصف الطريق هنا ها أنا أحل شعري الأبيض
لأغطي وجهك الذابل كالسوسنة.
أقبّل شفتيك الباردتين اللّتين صمتتا
وكأنهما غضبتا مني وانطبقتا مغلقتين.

لا تحدثني وأنا المسكينة، أمزق ثيابي، أترى، أفتح صدري

وثديي الذي منه رضعت، أمزّقه بأظافري.

-III-

شعرك المجعد الذي كنت أمرر أصابعي عليه
وأنت نائم ليلاً وأنا بجوارك ساهرة،

حاجباك المنقوشان كخنجرين
يا فخر عيني التي كانت لا تشبع من احتضانك،

عيناك الواسعتان كانتا تعكسانِ
سماء الصباح الطويلة
وكنت أشقى حتى لا تلمع بهما دمعة،

شفتاك العطرتان اللتان كلّما تكلّمتا أزهرتا
حصى وأشجارًا جافة وكانت العنادل ترفرف،

صدرك عريض ومستوٍ كجناحي طائر كاسر،
كان يستريح فوقه مراري وعذابي،

فخذاك القويّان كطائري حجلٍ في بنطال
يسرّان الفتياتِ حين يرينهما
وقت الغروب من الشرفات،

وأنا، حتى لا يحسدوك يا رجلي،
كنت أعلق في رقبتك حجاباً بخرز أزرق

أرز وأوراق شجر، ياغابتي العطرة
الربيع يا ولدي، الذي كنت تحبه وكنت تصعد إلى أعلى

إلى شرفة الشمس وتنظر دون أن تشبع
كنت تحلب بعينيك نور الكون

وبإصبعك كنت تريني إياه
وتريني أشعة النور الجميلة الخافتة

وكنت تريني البحر الذي يلمع بعيداً كالزيت
والأشجار، والجبال في الوشاح الأزرق

والطيور الصغيرة، الفقيرة، النمل، الشجيرات
وتلك الأحجار الملونة التي كانت تعرق بجوار الجرة

لكن يا ولدي، وإن كنت تريني النجوم والكواكب
فكنت أراها أنا زاهية في عينيك الزرقاوينِ
وكنت تقص عليّ بصوت معسول، دافئ ورجوليّ
حكايات وقصصًا كثيرة لا تكفي حصى البحر

وتقول لي يا بني، إن كل هذا سيصبح لنا
والآن انطفأت أنت وانطفأ وهج نورنا.

-XV-

كنتَ تقف معطيًا ظهرك إلى النّافذة
فتخفي بقامتك الهواء، البحر، والسفن

وظلك كالملاك يفيض على البيت
وفي أذنك كان يومض النجم كالقرط

وكانت نافذتنا بوابة العالم
وكانت تقود إلى الجنة حيث تولد النجوم،

وكما كنت واقفاً تنظر إلى قرص الشمس في الغروب يصعد
تخيلت نفسك قبطانا، والغرفة سفينة

وعلى حافة المساء الأزرق- تفتح الشراع
وتبحر بي في هدوء الكون.

غرقت السفينة، وكسرت عجلة القيادة
وفي البحر العميق أحوم وأتأرجح وحدي

لا أنا أغرق ولا على السطح أطفو
أحاول أن أتشبث بشيء ولا أجد سوى عشب البحر

ينكسر العشب ويشدني المحيط إلى مياهه
ولا أعرف إذا كنت في العمق أم على سطح المياه.

-XVII-

يا نجمي، يا ملك النجوم، كنت تدير العالم كله
صارت الشمس ككرة سوداء وخفت نورها.

تمر الحشود وتعرقلني، تدوس على الجيوش
ولا تذهب عيني بعيداً لا تتوقف عن النظر إليك

ولكن أنظر آلاف الأبناء يرفعونني
لكنني لا أستطيع أن أنهض من جوارك

كلهم يشبهونك يتحدثون إليّ ويواسونني
لديهم قبعتك، يلبسون ملابسك

أشعر ببخار أنفاسك على خدّيّ
آه، وضوء، ضوء شديد، يطفو في عمق الشارع.

تمسح عينيك كفٌّ مضيئةٌ
وكلامك يا بني في أحشائي يتقلب.

وها أنا ذا أقف، قدماي ما زالتا ثابتتيْنِ
ضوء أحمر رفعني من على التراب يا رجلي.

الآن قد دثرتك الأعلام. ولدي، نم أنت،
وأنا سأذهب إلى إخوتك حاملة إليهم صوتك.

-XX-

يا حبيبي، أنت لم تضع، فأنت في عروقي
بُنيَّ، هيا ادخل في أعماق عروقي كلها وعش.

انظر، بجوارنا تمر الجموع، يمر الفرسان

كلهم منتصبون وأقوياء ولهم جمال كجمالك.

بينهم، يا ولدي، أظنك واقفاً، -
كتفك على أكتافهم مرسومة ملايين المرات.

وأنا التعسة الضئيلة، كبيرة بين الجميع
بأظافري الطويلة أُقطِّعُ الأرض أجزاءً

وألقي بها في وجه الثعالب والوحوش
الذين جعلوا وجهك الكريستالي طعاماً.

وتتبع أنت ميتاً، وعقدة من نواحنا
تُربط في عقدة حبلٍ بعنق عدونا.
وكما أردت (وكما كنت دوما تقول في الليالي على ضوء المصباح)
أشهر قبضتي ما دمت حياً.

وبدلاً من أن أمزق صدري البريء، انظر، إني أسير
ومن خلف دموعي أواجه الشمس

ولدي، أنا ذاهبة إلى إخوتك
أخذت بندقيتك؛ نم أنت، يا عصفوري.

أثينا، 1936

اتفاق ربيعي

مقتطفات

سأترك
القمة الثلجية البيضاء
التي كانت بابتسامة تدفئ
عزلتي العارية
الأبدية.

سأنفض عن كتفيّ
رماد النجوم الذهبية
بينما تنفض العصافير
الثلج عن أجنحتها.

معتدلا ومتواضعا هكذا
مرحا وسعيدا هكذا
سأمر
من تحت نبت زهور
لمساتك الطيبة
سأنقر بأنفي
على زجاج الهواء المضيء.

سأكون طفلاً هانئاً
يبتسم لكل الأشياء
لنفسه
بدون حرص أو تردد.

وكأني لم أعرف
حياة الغروب الشتوي
الشاحبة
مصابيح البيوت الفارغة
وعابري السبيل المنعزلين
تحت قمر
أغسطس
طفلاً.

- 3 -

انظري يا حبيبتي
كيف تنظر إليك
يداي الحزينتان

كطفلين يتيمين
يبكيان ليلاً
دون خبز
ناما مرتعشيْنِ
فوق الجليد
شاعرين بالبرد، ولكنهما لم يتسولا.

كانا يحملان
وردة صامتة
ويلعبان برقة وارتباك
في الشوارع المشروخة.

حبيبتي
انظري كيف تتردد

يداي الجاهلتان.

كيف يمكن أن تُفتَحَ
بوابة النور هذه
من أجلي أنا الذي لم أعرف حتى
ظل الضوء الضعيف.

أقف في الخارج
أنظر إلى النوافذ الكبيرة
المصابيح المضيئة
والكريستال
وكلما نويت الرحيل
نحو الليل المألوف
وكلما قررت المجيء
دائما أتوقف
أمام بابك.

لا لا تَدْعِيني بعدُ.
دعينا نمد
هذه الساعات الباهتة
حين يلتقي عالمان
حين يُتأمّل صوتان عميقان
فوق وتر نحاسي
وقطرة ندى
ترتعش وتتمايل
على زهر الليل

ستبقى هنا
وستسقط هناك.

حبيبتي
ماذا يُعَدُ لنا
في نظرة الآلهة
خلف هذا النور.

-5-

جلجلة الشاطئ
تستقبلنا
على الشاطئ الذهبي.
الفجر يمر على الرمال
يبلل أصابع قدميه العارية
في الموجة الذهبيّة.

فتاة شابة
فتحت النافذة
وابتسمت للبحر
أغلقت عينيها في الضوء
كي تتأمل في أعماقها
تجويف بريق
ابتسامتها.

- 6 -

حبيبتي
ليس لدي سوى لحظة واحدة
للحياة والطيران.

لا أرى
على بشرتي
الوهج الفاتح.

ألا تسمعين
بداخلي
أجنحة الفراشات الكثيرة
ما أن لمسها
أول شعاع
للفجر.

كم أنا شاب
كم أنا شاب
تحت جفنيك.

روافد الينابيع الكثيرة
العتيقة
تجمع دموعها الفضية
في مرايا سماوية زرقاء
تنام خلف عيني
حتى تراك.

بلا انقطاع
ذاكرة الوداع
لا تتجعد في يدي
التي ركعت مصلية في يدك.

أتذوق في شفاهك

الربيع الأخضر
وأسطورة البحر
ودفء جسدك..
تدثرني الشمس.

أغلقي فتحات النوافذ.

التأمل والكلمات
يطولان في الليل
ومن على مقعدنا
بدأنا نسمع أصواتهما
كحديث سكارى
يلجؤون إلى ظلِّهم
وإلى القمر الفاتر.

نور شعرك المهيمن
يغطّي أكتاف الليل.

النجوم تغرق في
أعماق عينيك
ونُزهِرُ نحن
في جمال
بينما المخلوقات
أول أيام الرب
لم تكُن قد سألتْ أو حتّى تساءلتْ.

- 10 -

أُغلق جفنيَّ
تحت الليل الهادئ
وأسمع صوت زقزقة النجوم الكثيرة
في نفس المكان الذي كانت
أصابعكَ تزحفُ فيه.

أنا سماء صيف
بلا نجوم
عميق وجميل
أصبحت كبيرًا جداً
بسبب حبّك
الذي لا يستطيع
احتضاني.

حبيبتي
لنتقاسم الهدايا التي أحضرتها لي.

هنا الغابة تنحني
من ثقل ظهر قبلاتك.

أثينا 1937- 1938

حلم ظهيرة صيفية

إلى فاسيلى روتا

مقتطفات

ليلة أمس لم ينم الأولاد على الإطلاق. كانوا قد أغلقوا عدداً كبيرا من الدبابير في صندوق أقلام الرصاص، كانت الدبابير تغنى نحو رؤوسهم أغنية كان الأولاد يعرفونها وينسونها مع طلوع الشمس.

ضفادع ذهبية عند أطراف أقدامهم بدون أن يروا خيالاتهم في الماء، كانت كتماثيل وحشة وسكون صغيرة.

عندها تعرقل القمر في الصفصاف وسقط على الحشائش الكثيفة.
حفيفٌ قويٌّ قد حدثَ وسط الأوراق.

جرى الأولاد أخذوا القمر في كفوفهم المكتنزة
ولعبوا طوال الليل في السهل.

الآن أيديهم ذهبية، أقدامهم ذهبية، وأينما يدوسون يتركون بعض الأقمار الصغيرة على الطين الندي.

لكن لحسن الحظ، الكبار الذين يعرفون الكثير، لم يروهم بشكل جيد.
أما الأمهات فكن يرتبن من شيء ما.

لهذا كان الأولاد يخفون أيديهم المذهبة في جيوبهم الخاوية، حتى لا توبّخهم الأم لأنهم كانوا يلعبون خفية بالقمر طوال الليل.

....

كنا قد صنعنا عربة بقشور الجوز، أخذنا بكرات وجعلنا منها عجلات. استعبدنا اثنتين من النمل وحملنا البرسيم. ولا تقل لأحد إلى أين نحن ذاهبون.

يسمع صدى البئر والكهوف تردد أصواتنا.
الشمس تحرق الحجارة وتبخر المداخن غير مرئية في حقول البابونج.

أخذت طيور الذعرة قبعاتنا الخوص ولَبِسْنَها.
جالسات الآن في بلكونة شجرة التوت العالية يهزأن. وكذلك نحن نهزأ منهن.
ندخل الآن في المخزن المدهون بالجير الممتلئ بالحشائش الشيطانية والصلبان الخشبية، نبحث عن ورد البنفسج البري كي نصنع منه أكاليل لرؤوس البنات.
الطريق من هنا إلى هناك مستوٍ، والمزارعون يُغنّون أغنية الحصاد في القيظ.

اليوم بنت صغيرة، بشريط بلون البحر على شعرها، وقفت على قمة شجرة الحور تُغنّي.
ومن أغنيتها تطير العصافير الصغيرة التي كانت تملأ الأفنية والأسطح.
جلست الطيور على أكتاف الأولاد.
الناس تتعرقل بشباك الأشعة وتترنح كطيور مبتدئة.

فقد الورد صوابه وأخذ يتشقلب في الماء.
يا إلهي، النور الثمل سيكسر الزجاج، سيُغرق الحجرات، لن يترك حتى ظلا واحدا كي تغطي الأم عينيها.

حينها ستلقي بمنديلها في الهواء وسترقص تلك الرقصة المعروفة في الجزر، الرّقصة التي كانت ترقصها في شبابها مع الأب- رقصة برائحة البحر والمراكب المحملة بالبرتقال.

سيتظاهر الأب بأنه قد نسي الرقص وسيبتسم
بينما سيطوّح بكعبه في الهواء.
ونحن خلفهم، أولاد، طيور، ورود، حجارة، سنرقص في حقل الشمس ونُغنّي الأيام التي لا تضيع في الأغاني، عندما يرقص الكبار مع الأولاد نفس الرقصة كل ربيع.

....

الأغنية هي نافذة عالية. تنظر إلى الشارع،
وتنظر إلى السماء.
ومن هذه النافذة ننظر إلى العالم.

في الليل يشـــعلون على قمم الجبال نيرانا قروية تبدو كأنها نوافذ مفتوحة ومضــيئة في مدينة السكون البعيدة.

هناك تجلس الملائكة مع الرُّعاة والخِراف، ويحكون مرة أخرى حكايات الشتاء الماضي.

هنا؛ نحن حملنا الصيف الضائع، ذلك المساء حين بكى الجميع في الريح وقد أصابهم البرد.

والإله لم يعد غاضــبا من الملائكة التي بكت التفاح، ولم يعقد حاجبيه كالآخر الذي يجلس مقرفصاً في كل يوم وعطلة، فوق سقف الكنيسة وصار شكاء لأنه أبداً لم يأخذ مقعده ويخرج ليجلس في صحو الفناء، ليفرد أقدامه التي تعفنت من البخور والرطوبة.

إلهنا نحن أصبح زيز حصاد ثانية، يُغنِّي في قلوبنا وقت تقليم أشجار الجنة وزرع الزهر والقرنفل في كل مكان حول الأفنية والبساتين.

...

بارنيثا، 1938

علامات
على هامش الزمان

تناسبات

غائمة تبدو النجوم على حوض البركة،
البركة في منتصف الفناء،
كالمرآة في حجرة مغلقة.

حول حوض البركة تجلس الطيور
على الأطراف عند القمر الأوعية المجيرة،
حول جرحنا من كل اتّجاهٍ أغنيتُنا.

عارٍ

هنا في فوضى الحجرة،
بين الكتب المتربة
وفي البورتريهات العجوزة،
بين نعم و لا كل هذه الظلال
عمود ضوء ثابت،
هنا، في هذا المكان
الذي تعريتِ فيه ذات ليلة.

فراق صامت

أخذت سترتها المعلقة بدون بكاء وانصرفت-
كما لو نزعت القمر من سمائه الصيفية.

هو لم يصدق. انتظر في نفس الليلة،
واليوم الآخر واليوم الذي يليه. انتظر.

كما لو مضى أسبوعان، مع عودة القمر،
عرف أنها لن تعود. فقط المرآة
ظلت تتذكر كالنافذة المفتوحة
على سماء بلا قمر.
لأنها قد أخذت سترتها معها.

علامات على هامش الزمن قصائد مكتوبة بين عامي 1938- 194

مسيرة المحيط

مقتطفات

ميناء ليلي
أضواء غارقة في المياه
وجوه بلا ذاكرة ولا استمرارية
مضاءة من الكشافات العابرة من سفن بعيدة
ثم الجنود بخوذاتهم
منغمسين في ظل الرحلة
بزاوية مائلة ولمبات حلم معلقة
كأجنحة مشروخة لملائكة أذنبت
بين طيات الليل والفحم
أيدٍ مجروحة ككلمة اعتذار جاءت متأخرة.

أسرى مقيدون في المراسي
طوق حول رقبة الأفق
وسلاسل أخرى في أرجل الأولاد
وفي أيدي الفجر التي تحمل الأُقحوان.

كانت لدينا الحديقة على شاطئ البحر
السماء كانت تنزلق من النوافذ
والأم جالسة على المقعد الصغير
تحوك حقول الربيع
مع عتبات البيوت البيضاء المفتوحة
مع أحلام الطير على سطح من القش

مكتوبة على شفافية ناصعة زرقاء.

أنتِ لم تأتِ بعد.
كنت أنظر للغروب وأراكِ
- بريق شعاع وردي على شعرك
- ابتسامة في ظل عمق البحر.

أمي كانت تمسك بيدي
أما أنا
خلف كتفها الحنون
خلف شعرها الشاحب
مستويا مع عطر الصبر والنبل
كنت أنظر جاداً إلى البحر.

ناداني طائر نورس
في عمق المساء
هناك عند منحنى الجبال السماوي الأزرق.
...

عراة صارعنا في الرمال بالظهيرة
بأجساد مبللة لأولاد في الثانية عشرة
رغبة في التعانق أكثر من حبنا للمصارعة
رغبة في المصارعة أكثر من النصر
فقط للنصر.

شعر مالح
أفخاذ حرقتها الشمس
رذاذ البحر على القُبلة

والبحر أبعد من الموجة.

في الظهيرة نزلوا وهم يدندنون على دوران النار
ليطوقوا بيوت الصيادين بألسنة لهب أبيض
ليحرقوا القلوب التي لم تقاوم.

خارج النافذة صفير أنفاس البحر الصافي
وجه السماء المشرق
في ذاكرة الصيف البيضاء
بحزمة ظل داكن
مائلة على الخد المخملي.

نفس الماء الذهبي اللا منتهيّ
شباك تتشمس على الصخور
قوارب ممتلئة بالثمار والورود
بيوتنا مكتوبة داخل البحر
هاهي بيوتنا.
...
عطلة طقوس الأحد
فناء مُجير
يتقابل في مركز مع الجرس الصامت
والذي كان يعني سبت البحارة المقدس
والآن يضحك للشمس المشرقة.
لدينا غليون الأب على الشفاه
تحت القبعة المدرسية
على الصدر مُطرّزٌ صليب الجنوب
وعروس البحر العتيقة.

قمصان بحرية داكنة
مغلقة حتى الرقبة
وكما ترانا الفتيات
نأخذ خطوة القباطين الرحّالة
خطوة واسعة ومنتصبة.

في عيون البنات يرتعش
صوت غابة صباحية كبيرة
إشراقة موسيقية
وثقة.

ولكن بينما كانت البيوت الساكنة تحيينا برقة
وزهرة خرنوب محنيّةٌ على الحائط الأبيض
سيدخل بيننا ثانية
لينتصر علينا تارة أخري
بريق البحر الكبير.

أيها القبطان
كُلْ خبزَك الجافّ على عجلٍ
والزيتونة السوداء
مغموسة في الملح والشمس
على الصخرة الواقفة.

مر وقت طويل دون أن نفتح شراعاً.
...
أخذوا منا أنشودة البحر

ربطوا أقدامنا البحرية

أطفال صغار صامتون ومتسائلون
برموش مالحة
وعيونٍ زُرق
نمر خائفين على البلدان الكبيرة
تحت المصحات التي رائحتها نوم وعرق
تحت البيوت مصابيح حمراء
تحت القصور
التي تدخن دما وليلا واغتصابا.

أمّاه يا أمّاه
يامن رفضنا
الرقة الحكيمة لدموعك
أين يداك المتسامحتان
ذاتا التعبير الصابر
أين هما يداكِ
لنسمع الفجر والبحر
لندفّئ الوحدة؟

أمّاه
انهارت السماء
في دموع الأبرياء.

نحن الذين سرنا ليلاً
في غابات الأقحوان البيضاء

نحن الذين نقشنا على الحجارة
شكل الحلم الصافي
لا نعرف السير
في شوارع تطلى كل يوم
بدم المسيح الأشقر.

خلف الأسوار يترقبوننا
من على النواصي تهرب مرعوبة
أسراب اليمام البرية.

أبواب مفتوحة على مصاريعها في الليل.
سيوف تبرق.
قمر مقطوع الرأس.

الناس يُعدون السلالم
بعظام آدمية
كي يصعدوا.

سيدي، يا سيدي
ونحن هنا
في منتصف الشوارع الكبيرة
حزانى وخائبون
بصحنٍ فارغٍ في أيدينا
وقفص العنادل على ظهرنا
وذاكرة البحر الواسعة على جباهنا
بأيدٍ بريئة متسائلة ولا تتسول.

أمّاه لم يبق لنا شيء
كيف سنقضي أمورنا
أين سننام؟
...

فتى أسمر بعيون زرقاء
بشعر أسود مشطه البحر
فتى بخطوة غير مسؤولة لم يكن يسأل الأرض أبداً
عزيزًا كان يرفض الكنيسة يوم الأحد
أنتَ الذي كنت تصنع الطائرات الورقية والقوارب من دفاتر الرياضيات
أ تذكُر القبطان العجوز
الذي نسي الميناء وهو ينظر للنجوم
كي يفوز بالشباب وهو يغني للبحر؟

هكذا في الساعة التي تركتنا
آخر ابتسامة الليل
ولم يكن لدينا قارب آخر كي نربط في الميناء
وكانت الأرصفة بلا فنار ولا ركاب
أجبنا على ظلنا يا ابن البحر
أجبناك بقمر ربيعي في أيدينا
وأنت تخطو وحيداً على الشاطئ بين الصخور
حيث تستغرق الفقمات وسراطين البحر في أحلام اليقظة.

عيون مشبعة بصور مائية
ما زالت تشرب الماء
مسيرات النجوم في ذاكرة النوارس النائمة

اندفاعة الدلافين المفاجئة تثير الذعر في كائنات البحر
وفوق مرايا الماء المشروخة
هروب المجرة الدائري.

يهرب الهدوء مذعوراً
بعيداً عند الشاطئ النائم
- ابنة القباطين الغرقى البيضاء
التي تعيش على أطلال رصيف عتيق
وكل ليلة حين يكتمل القمر
يطاردها البحارة السكارى.

يا رب الأرض والسماء والبحر
إلى متى سنظل ساهرين يقظين؟
إلى متى سنظل نعطش؟
إلى متى لن نموت؟
...

1940-1939

المائة عام الأخيرة قبل الإنسان

مقتطفات

نزلوا بثياب مقطعة، وببنادق قديمة
بلا خبز في حقائبهم ولا رصاص.
فقط بعض الأنهار الغاضبة كانت تغلق الدروب خلفهم.

كانوا يسيرون شهورا وشهورا فوق حجارة مجهولة
فوق الثلج معهم زيتونهم وعنبهم..
منهم من ترك هناك في الأعلى يدا أو قدما
آخر ترك قطعة كبيرة من روحه
كلهم تركوا واحداً أو أكثر من الأموات.

ثم عادوا بجروح وأطراف متجمدة
دفنوا بنادقهم في الصخور، في الثلج، في تجاويف الأشجار
في حشو طبقات السقف، في المخزن المظلم الذي يُؤدي إلى المكان الخلفي لليل بمصباح زيت الصبر.

كان الباب المغلق يصطك كما تصطك الأسنان من البرد.
كان الجليد يذوب. وكانت أنهار كبيرة تتدفّق في الليل
مع عظام، خوذات وأعلام ممزقة.
أغلقت أبواب النوافذ أعينها، والزجاج لم يلمع.
كالعميان. كانت تنظر إلى الداخل.
...
قرى مهجورة، أنهار جافة في صيف جاف لا يرحم.

كنائس مهدمة من القنابل. ريح بيضاء كانت تصفر
كمنشد مجنون يغني مزامير وحشية وسط وابل من الرصاص
والقس في حذاء الضابط المقتول
كان يرفع جلبابه ليقفز السياج.
على الجدران
كانت الشعارات مطفأة. صوت المدافع المكتوم في العمق،
هدوء الحرب الخاسرة دانياً في الأفق. وحصان ميت على المنحدر.

الجليد ألصق الحذاء في الجورب، والجورب التصق بالقدم
سنعود.. قالوا. ومن غير أقدام سنعود. خشخشت عيدان الذرة
غريب كأنهم مزقوا أوراق أغانينا الوطنية
كأنهم مزقوا أعلامنا. سحابتان نحيفتان قد تعلّقتا على الجبل
كضفيرتين من الثوم بجوار المدفأة
في بيت مهدم من القنابل. لنخفي هذا الضوء
حتى لا يأخذوه منا -أين نخبئه؟ - قال.
وكان الآخر ينظر إلى أظافره. وكان الليل آت.

نزلوا ملتصقين تقريباً بالجدران. انحنوا
أخذوا الظل غطاءً للرأس. وتاهوا
وكان يظهر بريق أحمر من سجائرهم من حين لآخر.
...

لا تفتح الباب. دع الصيف يضرب.
القمر خوذة الجندي الألماني.
اختبئ جيداً؛ ضع على الزجاج ورقا سميكا.
إنما الأموات فقط يملكون الحرية ليجوبوا الشوارع - اسمع خطواتهم
بأحذيتهم الفقيرة التي ذابت من السير في المطر

لا يجدون نوماً ولا قبراً في هذا الزمان، لا يجدون مكاناً لهم أو لقمة خبز أو ذكرى صغيرة.

كشافات كبيرة تضرب الجدران، تبحث في أخاديد السحب.
بنادق تُخرج فوهاتها من خلف خرابات الحجارة
الكلاب تحفر في الخنادق التي خلفتها مدافع الهاون وفي القبور..

أين تذهب في هذه الساعة؟ وضع العجوز كفيه بجوار المصباح
كأنه يحمل - بحرص- بين كفيه طائرًا أبيض يرتعد من البرد
كي يدفئه، كي يســتطيع الطيران. لا تعلم.. ربما لو تدفأ يبقى بإرادته على الطاولة بجوار منفضة السجائر.
...

فاض الطين في الشوارع الخربة. كان يجمع الطين بيديه
لتصنع عصفوراً فخارياً- كان يقول-
ماذا تصنع؟
جرة؟ وماذا ستضع فيها؟ طينا؟

في هذا البيت ذي الحجرات العديدة، والعائلات الكثيرة الفقيرة
الأطفال والنساء يرتعدون من البرد،
يضعون الجرائد على ظهورهم، لفوا أقدامهم كالأطفال الرضع المرضى.
أواني الطهي الفارغة ترن وحدها في منتصف الليل.
بقيَ الميّتُ ثلاثة أيام على الفراش الحديدي.
ذباب كبير جلس على فمه. لم يكن جائعاً.
صوت عكازات القمر يُسمَعُ من على الرصيف.
غصن مظلم خدش مصراعي النافذة.
ابحثْ في جيوب الميت. كان لديه مفتاح صغير.

يمكن أن تُوجد في صندوقه كِسرةٌ من الخبز الحلو.
لم يسعفه الوقت ليأكلها.
انتبه حتى لا يشهد الأولاد كيف مات.
سيكفينا خبزه أسبوعاً. أسبوع.

«لا؛ سوف يتعفن، سيتعفن. كيف سنحتمل أسبوعاً؟
سنةً، سنتينِ، افتحوا الزجاج على الأقل.»

خرج. ضرب الباب خلفه كما لو كان يغلق تابوتًا.
ولم يظهر ثانيةً.
هارب. هارب في الظلام. خارج عن النظام. الآخرون
كانوا نحوَ الحائط ينظرون.
أكثرهم شيخوخة كان يلوك جوربه بلثته.
في جيوبهم تراب الظل المُتفحّم.
على أنوفهم رائحة من جلد برق محروق
.برق بعيد، برق بعيد جداً.
...

ما هذا الضجيج؟ ما هذا الصوت تحت السقف، وفي الخزانة
بين الخطوة والأخرى، خارج الأبواب، داخل الأبواب
أمام صمت التردد، في آخر لحظة بعد القرار؟
ما هذا الضجيج؟

الأذن ملتصقة على الحائط تتنصت.
الجسد ملتصق بظله. كأن القتلى يسترقون السمع
الأذن ملتصقة بالأرض، صلصلة خطوات بعيدة.

صوت آلة النسخ تضرب. سكون. المصباح

يد صفراء تهتز فوق الظلام.
أي علم يرتفع فوق قصر البلدية؟ بأي شعار؟
بأي ألوان؟

أواني الطهي في المطبخ الشعبي تتخبط طوال الليل كالطبول.
ليلة حازمة. أحياء حبلى
ببطن ثقيلة من الجوع ومن الشوق ومن كره مقدس.
فوق العتبة
الخطيب الشعبي: «أيها الرفاق» لا شيء آخر. عود كبريت.
الفتيل.
وأذرع أعلام كبيرة فوق النوم
وقوس الليل مصبوغ بمطارق السهر الضخمة.
...

تيش هيه صرخ صوت أنثوي بناتي ناعم.

أتظن أنه الربيع؟ كنا نقول.. الربيع
أتظن أن ورقة خضراء ستضعنا في جيبها
أن نشتري جريدة من المحطة الأولى وقليلا من الفراولة البرية؟

قال كلمة السر الأولى، وكلمة السر الثانية. مر. هو الذي كان جالساً
بكل هدوء وتقريباً بلا مبالاة في محطة البنزين
لابد أنه عضو في الحزب. بريق ضعيف هرب من عينيه
مثل طرف المنشور من جيب سترته.

ثم خرج من المرأب برفقة البروليتاريّين
كانوا يحركون رؤوسهم في صمت، رافقوه، وانطلقوا-
في أيديهم كانوا يحملون كنيسة غير مرئية

كانت تسير معهم وفوق رؤوسهم.

...

طبقات بيضاء ناصعة. أسطح مربعة. واجهة كبيرة مجيرة.
وحقول مربعة
خضراء كستنائية وصفراء تحت الشمس المشرقة. كان الربيع يدخل. والمداخن
كأصابع مسوّدة من كثرة التدخين
في ليالي سهر العمل الطويلة- أشاروا عاليا بعض الشيء خلف السحب.

تُفتح نافذة، ونافذة أخرى. وهو يمسح عرقه.
صباح الخير .قال. صباح الخير. الجو اليوم حار.
واجهة كبيرة بيضاء مجيرة.

واللافتة خشبية مربعة .هذا هو كل شيء .قال،
لا شيء آخر..
وفي التقاطع هناك: «من هنا نحو الشمس». بعد غد
حينما سيعبرون داخل الشمس بأعلام وأدوات العمل
ويمكن لشخص أن يقف لبرهة ويسأل:
«من كتب هذه اللافتة بهذا الخط الرديء؟»
وربما شخص آخر سيتذكر ويقول:
«يانيس ريتسوس- شاعر المائة عام الأخيرة قبل الإنسان».

أثينا، يوليو، أغسطس، 1942

روميوسيني [2]

مقتطفات

هذه الأشجار لا تستريح بسماء أقل،
هذه الحجارة لا تستريح تحت خطوات غريبة،
هذه الوجوه لا تستريح إلا بالعدل.

هذا المكان صلب كالصمت،
يقبض في قمته على الحصى المشتعلة،
يعصر في النور زيتونة اليتم وعنبه،
يعضُّ على أسنانه. لا يوجد ماء. لا يوجد سوى النور.
تاهَ الشارع في النور وظل الخرائب حديد.

صارت الأشجار رخاماً، الأنهار والأصوات تحت جير الشمس.
البذرة تتعثر في الرخام. الحبال المتربة.

الجحش والصخرة. يلهثان. لا يوجد ماء
سنوات الآن. والكل عطشان. الجميع يمضغون لقمة من سماء فوق مرارتهم
عيونهم حمراء من السهر
تجويف عميق محشور بين حواجبِهِم
الغروب يبدو مثل شجرة السرو بين جبلين.
أيديهم ملتصقة بالبندقية،

البندقيةُ هي امتداد لأيديهم
أيديهم هي امتداد لأروَاحهم

---

[2] روميوسيني: الروح اليونانية؛ اليونان الحديثة

يعلو شفاههم الغضب
وفي أعينهم غضب عميقٌ عميقْ
كنجم سقط في حقل من الملح.

عندما يجمعون قبضاتهم، تثق الشمس بالعالم،
عندما يتبسمون، يمامةٌ صغيرة تخرج من لِحاهم
عندما ينامون، اثنا عشرَ نجمًا يسقطون من جيوبهم،
عندما يُقتلون، تصعد الحياة التلال بطبولٍ ورايات.
سنوات طويلة وكلهم جائعون، عطاشى، وكلهم يُقتلون
مُحاصَرينَ بين اليابس والبحر،
أكلت النيران حقولَهم وروت الملوحة بيوتَهم،
أسقط الهواء أبوابهم وزهور الربيع القليلة،
من ثقوب ستراتهم يدخل الموت ويخرج،
ألسنتهم لاذعة كثمار أشجار السرو،
ماتت كلابُهم مطويّةً في ظِلالهم؛
المطر يضرب عظامهم.
فوق البكرات متحجرين يدخنون الليل والروث
يرمقون البحر الهائج الذي غرق فيه شراع القمر المكسور
نجا الخبز، ونجت البذور
والآن يملؤون مدافعهم فقط بقلوبهم.

سنوات عديدة محاصرون بين اليابس والماء،
الكل جائع، الكل يُقتل ولا أحد يموت -
فوق البكرات تلمع أعينهم،
علم كبير، نار كبيرة شديدة الاحمرار
وكل فجر آلاف العصافير تنطلق من أفواههم
نحو أبواب الأفق الأربعة.

-IV-

اتّجهوا مباشرة نحو الفجر بخيلاء إنسان جائع،
في عيونهم الثابتة نجم تجلّط،
على أكتافهم كانوا يحملون الصيف الجريح.
من هنا مر الجيش بالسواري على الأجساد،
والعِناد بالأسنان معضوض عليه كثمرة غير ناضجة،
ورمل القمر في أحذيتهم العسكرية
وتراب فحم الليل ملتصق بأنوفهم وآذانهم.
شجرة بعد شجرة، حجر بعد حجر عبروا العالم،
أخذوا من الأشواك وسادة وعبروا إلى النوم.
أتوا يحملونَ الحياةَ بأياديهم الجافّةِ.. كنهر.

في كل خطوة كانوا يكسبون قطعة من السماء - ليمنحوها.
فوق البكرات كانوا يتحجرون مثل الأشجار التي تحمصت تحت الشمس،
وحينما كانوا يرقصون في الساحة، ارتعشت الأسقف في البيوت
ورنت القطع الزجاجية على الأرفف.

آه، أي أغنية هزت قمم الجبال-
وضعوا غطاء القمر على ركبهم وتناولوا العشاء،
وكانوا يكسرون الآه بين طيات قلوبهم
كما يكسرون قملة بين أظفارهم.

من سيحضر لك الآن الخبز الساخن ليلاً لتطعم الأحلام؟
من سيقف في ظل شجرة الزيتون في صحبة الجنادب حتى لا تسكت،
الآن حيث لون جير الظهيرة لون الحظيرة حول الأفق

طامساً ألقابهم الرجولية؟
هذا الطين كان يخرج عطراً عند الفجر،
الطين الذي كان لهم ولنا – دمهم -
كيف كانت له رائحة الطين-
والآن كيف أغلقت أشجار كرومنا أبوابها،
وكيف شَحُبَ الضوء على الأسقف والأشجار-
من يصدق أن نصفهم يوجد تحت التراب
ونصفهم الآخر في السجون؟

بكل هذه الأوراق تومئ لك الشمس صباح الخير،
بكل هذه السواري تضيء السماء،
وأولئك في السجون وهؤلاء في التراب.

اصمتْ، بينَ لحظةٍ لأخرى ستُقرع الأجراس.
هذا التراب لهم ولنا.
تحت التراب، في أيديهم المعقودة كالصليب
يمسكون بحبل الجرس- يرتقبون الساعة،
لا ينامون، لا يموتون،
يرتقبون القيامة. وهذا التراب
لهم ولنا- لا يستطيع أن يأخذه أحد منا.

-VII-

البيت، الشارع، شجرة التين، قشور الشمس في الفناء التي كان الدجاج يأكلها.
نعرفها، تعرفنا. هنا بين طياتها
تركت شجرة البرتقال قميصها الأصفر.
هنا على الأرض خيمة النملة وبرج الدبور بفتحاته الكثيرة،

على نفس شجرة الزيتون قشرة دبور العام الماضي وصوت دبور هذا العام،
في الخيام يتبعك ظلك ككلب صامت، ومعذب جداً
كلب أمين - يجلس ظُهرًا بجوار نومتك على التراب يشم الغار،
في الليل يتودّد تحت قدميك وينظر إلى النجم.

إنه صمت الكمثرى التي تثمر على سيقان الصيف،
نعاس الماء الذي يسرح في جذور شجرة الخروب؛
الربيع له سبعة أيتام نائمون على قدميهِ،
ونسر نصف ميت في عينيه،
وهناك في الأعلى، خلف أشجار الصنوبر،
تجف كنيسة القديس يوحنا الصائم.
كفضلات عصفور أبيض على ورقة توت عريضة جفّفتها الحرارة.
ذلك الراعي متدثّرٌ في فروه
وله في كل شعرة من جسده نهر جاف
وغابة من البلوط في كل ثقب من مزماره
وعصاه بها نفس النتوء
ومجدافه الذي ضرب به في بحر إيجة.

لا داعي أن تتذكر. وريد الشجرة
نرجس الجزيرة ونبات الكبر.

البئر الصّامتة يخرج من أعماقها في عز الظهيرة
صوت مستدير من زجاج أسود ورياح بيضاء،
صوت مستدير مثل البراميل القديمة- نفس الصوت العتيق،
السماء تغسل الأحجار وعيوننا بالنيلة.

قمر أي ليل يَقلب القتلى الكبار في الحقول،
يبحث في وجوههم بأصابعه المتوحشة الباردة
ليعرف ولده من شكل فكه أو من رسمة حاجبيه المتحجرين.
يبحث في جيوبهم. دائماً يجد شيئاً. شيئا ما نجد،
حجابًا على خشب شريف. سيجارةً مهلهلة.
مفتاحًا، خطابًا، ساعةَ يدٍ متوقفةً عند السابعة.
نملأ تروس الساعة ثانيةً. تدور الساعات.

عندما تذوب ثيابهم بعد غد
ويبقون عراةً بين أزرارهم العسكرية
كما تبقى أجزاء السماء بين نجوم الصيف
كما يبقى النهار بين زهور الغار
كما يسير الدرب بين أشجار الليمون على مشارف الربيع
حينها يمكننا أن نجد أسماءهم أن نصرخ: أحب.

حينها. ولكن أيضاً هذه الأشياء تبدو بعيدة قليلاً،
إنها تبدو كأنها قريبة جداً، كما تمسك في الظلام يدًا وتقول
مساء الخير
بمرارة ما يدركه الغريب حين يعود إلى وطنه
وينكره حتّى أهله
لأنه كان قد تعرّف إلى الموت
وكان قد عرف الحياة قبل الحياة
وزيادة على الموت
كان يعرفهم. ولا تدركه المرارة.
يقول غداً. وهو واثق
من أنّ الطريق الأبعد هو الأقرب إلى قلب الرّب.

وها هي الساعة التي يُقبله فيها القمر بورع،
أعشاب البحر، الأصيص، المقعد والسلم الحجري تقول له
مساء الخير
والجبال والبحار والبلاد والسماء تقول له
مساء الخير
عندها إذن وهو ينفض رماد سيجارته من بين أعمدة الشرفة
يمكن أن يبكي من ثقته
يمكن أن يبكي من ثقة الأشجار والنجوم وإخوته.

أثينا، 1945 - 1947

سيدة الكروم

مقتطفات

-I-

يا سيدة الكروم، يا من رأيناك خلف شباك غابة الصنوبر
تدورين في الفجر على بيوت المحتاجين ورعاة الغنم،
على تنورتك أشار الشروق إلى ظلال أوراق العنب العريضة
نحلتان استيقظتا تواً وتعلقتا بأذنيك قرطين
وزهر البرتقال أضاء لك الطريق الأسود المحروق
سيدتي يا سمراء، ضوء من انعكاس الشمس ذهّب يديك وكأنه معجزة من العذراء مريم،
بكلات الشعر الرقيقة خلف رقبتك تطلق ندى الليل كالشذر
وكأن الكون قد ندم قبل أن يطفِئ أنواره
ورُبط عقد في رقبتك كي يفيض في دفء صدرك.

وكان السكون سميكاً كالحليب في دلو خشبي
ورائحة الطين المحروث عطرة ككنيسة في يوم عيد القديسين
وراعي الغنم يخرج من نومه كما يخرج سرطان البحر من المياه على الشاطئ
ويلمع في نور الصباح الأزرق مع نقطتين من النجوم.

يا سيدة الحسن، يا لهدوء شجرة البرتقال الحامض مع بدء الصباح
يا لهدوء خطوتك ونفس السمكة بجوار القمر
يا لثرثرة النمل الهادئة على زهرة الربيع أمام الكنيسة
آه، يا للذهب الذي تتركه أشعة الشمس على قطرات الندى
عندما تضع النجوم على جبهتك غصن الورود المعطر

آه، كم من تراب الورد يحشر في فم النحلة للعسل
كم من الصمت تحملين في قلبك من أجل أغنية.

هنا يمتزج الليل مع الصمت في رعشة ثابتة
وأنتِ يداك معقودتان حول ركبتي السكون،
وكأنهما عصفورا نور ثابتان فوق الغابة.

-III-

يا سيدة الكروم، كيف نحمل سماءً كهذه على أكتافنا
كيف نحمل صمتًا كهذا رغمَ كلّ أسرار الشجر؟

دلفين لامع يقطع هدوء البحر
كما يقطع السكين الخبز على طاولة الصيادين
هكذا، كما يقطع الحلم أول شعاع نور.

حجر على حجر ويضيء الشارع وطير مع طير يصعد السلم
والشمس، نصفها في البحر، ونصف في السماء، يتلألأ
مثل برتقالة في كفك ومثل أذنك التي تحت شعرك.

وهكذا قوية وثابتة في منتصف العالم
في يدك اليسرى تحملين ميزانا كبيرا وفي اليمنى السيف المقدس
أنت الجمال والرجولة وأنت اليونان.

بينما تمرين بين عيدان الذرة قاطعة الهواء الحريري
خصل صفراء تحك في إبطيك
كما يحك فيكِ شارب الراعي الأخضر

وموجة فموجة تنهمر القشعريرة على السنابل
وصوت فصوت تستدير الأشجار نحو المناهل
والجبال حول المكان كمثل الجرة التي تنتظر أن تمتلئ.
يا سيدة الكروم، فوق صدورنا يظهر وجهك
كما تضيء سحابة بيضاء جوانب الغابة الجبلية
والنهر يتبعك كأسد أليف
عندما توزعين الشعاع على السنابل الغضة
عندما توزعين البارود والأغاني على رعاة الغنم
وتناديك الأحصنة والخراف يا أختاه.

-XI-

سيدتي، يا سيدتي، بحرية ويابسة بخدود متورّدة
تقبضين في صدرك على حرارة الألوناري
تارة تحملين على ثيابك مركبا صغيرا
وتارة كعذراء البحار ترتدين ثوباً من الشباك
كي تحملي على رأسك في الصباح سلة الأسماك
وتارة مرتدية أوراق العنب ومطاردة من ذباب الشمس الذهبي فوق الحقول
تشعلين القبل على ورد شجرة التفاح
تغزلين صفصاف السلال بهواء هرولتك.

ويلاه يا نحلة العسل والعُلو ماذا سنفعل
كيف قبلتك تفاحات الحب؟

يقع الرمّان تحت الشجرة منكسراً، فيسقط الضحك في النهر،
تلهو البنات بأقماع الصنوبر على الشاطئ
آه.. والحارس لا يمسك بالطائر على صدره
وآه.. لا يحمل عازفو الكمان للكروم سماء تكفي في كمنجاتهم.

وفوق نور تلال التبن آه يا سيدتي-
قيظ الظهيرة يطرح المزارعين أرضاً،
زيز الحصاد يعض أذن الشاب الذي يعض على قبضته
والراعي يأخذ في فمه حلمة الصيف كأنه جَديٌ يمتص رضعته الأولى
ها هو يروي لها الريحان بصنبور الجبل في مايو.

وماذا يعني الشوق.. الشوق، طرح البستان الجميل،
رياح البحر الصيفية العكسية، مقدمة السفينة، أشرعة وريح شرقية
غُصْ أيها السكين ذو المقبض الأسود في ضلوع الزمن الغادر
هنا البحارة على الأرض عراة ينشدون الغرام
يعدون شوارع الدنيا وأجراس الشمس الذهبية
ولص صغير محروق من الشمس
يلعب بالسماء كـ «النحلة الدوارة» على ركبتيه.

-XVI-

سكوت. صمت. أقفال ثلاثية أغلقت على كرومنا
أغلقي فمك، سيدتي، أغلقي نوافذ النجوم.
تحت ثيابك اقبضي على مفاتيح الليل الاثني عشر.

خارج بابنا يمر المدرعون ويطوقون سنابلنا بالحديد.

في صدرها تحفظ أُمُنا سكينة التوراة.
الطبق الفضي سيطر على مرارة البيت مثل قنديل بحر ميت
النحاسيات القديمة فوق الأرفف المرتبة
صدأت وبليت مثل قمر وحيد في طريق العودة.

يمر المدرعون، ليطوقوا بالحديد الأواني الخشبية والفخارية.

سكوت. الصناديق المحلاة بالمسامي تحجرت -
قمصان بحارة وسترات الصدر وجوارب بيضاء وجوارب أخرى ثقيلة
ذكريات الأجداد، بذور قديمة، أكياس بذور الورد
المركب معلق من عارضة المنتصف
على عكس شكل القلب حيث كانوا يلقون بقسم العائلة
قديسو البحر قد رُسموا على شقفات الكائنات البحرية
وكل هواء البيت مكثف على التاجين المحليين بزهور الليمون الشمعية
شيء يتحرك تحت السكون- ليست صراصير،
إنه ثعبان البيت العتيق الذي يلكزه الفخر بكوعه.

يمر، يمر المدرعون؛ القدم السوداء، الخطوة السوداء،
يحملون أواني سوداء ليدهنوا البساتين باللون الأسود
ليلونوا الماء والخبز باللون الأسود.
قمر جليدي كرمّانة متعفنة على عربة البائع المتجول في الخارج،

الفأس، الحجاب، في قلب الحقل؛ مقلوب
معول الحفر صلاة على الباب الخارجي، والحقل معلق من منجل الحصاد.

الآن يطوي الجدّ قلبه كما يطوي الخبز في الفوطة بعد العشاء
وكما يطوي الصياد طلقات البارود قبل أن يذهب إلى الغابة
وعند الشاطئ ظل المركب يكبر وحيداً
هكذا تكبر نقطة الزيت فوق صوف المرارة.

-XXIV-

سيدة الكروم، لقد غطى دخان النار عينيك الزرقاوين وحاجبيك الأسودين

يا لخطوتك الهادئة تحت أشجار السرو
يا لحديث المجد تحت النيران المربعة
والذي يقول بكم من «حليب الرجولة والحرية» أرضعتِ أيتامك
يقول بكم من الدم سقيتِ قلوب الكروم كي تُعطي نبيذاً ثقيلاً في الأكواب.

وكما يعبر القس البوابة الجميلة حاملاً الماء المقدس
هكذا تمرين من تحت بوابة الصلبان حاملة بين يديك سيوف النضال العريضة
كما تحملين لوحا من نور به السلام والوصايا العشر
كما تحملين الشمس التي عمّدت لتوها ويتساقط الماء من السماء
كأنها آنية التعميد.

الآن الفجر والليل يمتزجان كما تُعقد الأصابع العشر حول ركبة السكون
وأنت وحدك، يا سيدة الكروم في الفجر،
يقطع ظلك الكبير الحقل كالسفينة
وفوق أشجار الشمس يداك الاثنتان معقودتان بثبات
وكأن طيرا مقدسا يحمل في منقاره حزمة من النور
يعادل بها ميزان العالم.

أثينا 1945 - 1946

بين الأقواس

معنى البساطة

خلف الأشياء البسيطة أختبئ، كي تجدوني؛
وإذا لم تجدوني، ستجدون الأشياء،
ستلمسونها، تلك التي لمستها يدي،
وسوف تمتزج آثار أيدينا.

قمر أغسطس يلمعُ في المطبخ
كنحاس مصقول (لهذا الذي أقول لكم يحدث هكذا)
يضيء البيت الخالي وصمت البيت الراكع-
دائما ما يبقى الصمت راكعاً.

كل كلمة هي مخرج
من أجل لقاء، دامٍ في الغالب،
حينذاك تكون كلمة حقيقية، كأنها تصر على اللقاء.

إعادة التكوين

ما تظنّه هدوءً أو جدية، طيبة أو لامبالاة،
والفم الذي تظنّه مغلقا ويعضُّ على أسنانه
مظهراً حلاوة صمت الفم، مخفياً الأسنان المطبقة،
أنه فقط صبر المعادن تحت المطرقة المفيدة،
تحت المطرقة المرعبة - إنه كما تعرف
من اللا شكل، تمر إلى الشكل.

نساء

إنهن بعيدات جداً. ملاءاتهن لها عطر «تصبح على خير».
يضعن الخبز على الطاولة حتى لا نشعر بأنهن غائبات.
حينها نفهم أننا أذنبنا. نقوم من على المقعد ونقول:
«لقد تعبتِ اليوم كثيراً»، أو «دعي عنك، سأشعل أنا المصباح»
عندما نشعل الكبريت، تلتفت ذاهبة بانتباه غير مفهوم
نحو المطبخ. ظهرها جبل مرير محمل بكثير من الموتى-
أموات العائلة، أمواتها، أمواتك أنت.

تسمع صرير خطواتها على ألواح الأرض الخشبية القديمة
تسمع الأطباق تبكي في خزانتها وبعد ذلك- يُسمع
القطار الذي يأخذ الجنود إلى الجبهة.

كلمة الشكر

أنت لن تقول لي شكرًا،
كما لا تقولها لضربات قلبك
التي تعطي لوجهك نضارة الحياة.

أما أنا فسأقول لك شكراً
لأنني أعلم بما أنا مدين به لك
وكلمة الشكر هذه هي أغنيتي.

بين الأقواس كتبت بين عامي 1946-1947

يوميات المعتقل

إلى نانا كاليانيسي

مختارات

يوميات المعتقل II

24 نوفمبر 1948

كل الأشياء نُسيَت قبل أن تقال
والصمت ليس ملجأً.

26 نوفمبر

هذا البرد يَصعُب علينا
الماء مثلّج، الطعام مثلّج.
الشمس بيضاء ملتصقة بالزجاج
الأواني فقط تحمل شيئاً
من البيت والذكرى.

29 نوفمبر

الأوراق ممنوعة. جليد
أذكر زوجًا من الأحذية العسكرية
مملوءًا بالجليد
أريد أن أعطي للأشياء معنى
ليس فيها.

شخص بلحية
منضدة
لا شجرة.

مقبض الباب كان ساخناً
من قبل
كان كأنه يد.

لكن تلك الليلة والليلة السابقة
كانتا كلسان القمر العريض.

2 ديسمبر

السماء ثقب
لا تسعنا.

4 ديسمبر

كالخراف ملتصقين من شدة الصقيع
أيتها القصيدة الصغيرة
خذي بيدي
إن للصباح أشواك
كمقعد اعتراف.
آه. أيّها الليل دعنا نصدق.

8 ديسمبر

زرعت شجرة. سأعتني بها
مهما حدث فلن أتراجع.

4 يناير

وفجأة
ذكرى طيور
تغوص في المجهول.

15 يناير

أحاصر العلامة السوداء خطوة خطوة
أُضاعف لون ورقة النبات الأخضر
أُضاعف أكثر إحساس الهدوء
أستخدم المجاز، أصنع تشبيهات
فجأة أشعر أنني محاصر
من العلامة السوداء

24 يناير

وضعت فمي على الذكرى
سهّرتُ الألم والشهوة
بين شموع أربع
أبيات مطفأة.

31 يناير

أيتها الليلة أمي- قال
لفيني بشعرك الأسود
احفظيني من نجومك
أعيشُ الإهانةَ
كي لا أموت
(كان يتحدّث وحيدًا في مواجهة الحائط
بإصرارٍ واضحٍ
ربما كان يتمنى لو يسمعه أحد.)

معسكر تجميع المساجين السياسيين. كوندوبولي ليمنو 1948-1949

قِدرٌ مُدخن

مقتطفات

كان الطريق طويلاً إلى هنا. طويلا جداً، يا أخي
الأصفاد أثقلت الأيدي. في الليل
حين كان المصباح الصغير يحرك رأسه قائلاً «مر الوقت»
كنا نحن نقرأ قصة العالم في أسماء صغيرة
في تواريخ منقوشة بالأظافر على حيطان السجون
وبعض الرسومات الطفولية لموتى المستقبل
- قلب، سهم، سفينة كانت تقطع الزمن بالتأكيد،
بعض الأبيات الشعرية ظلت غير مكتملة لنكملها نحن
بعض الأبيات الشعرية التي انتهت حتى لا ننتهي.
كان الطريق طويلاً إلى هنا. تمسكه
كما تمسك يد صديقك لتعد له نبضاته
على تلك الآثار التي تركتها الأصفاد
نبض عادي. يد مؤكدة. طريق مؤكد.
...

هذه العلامات الحمراء على الحائط من الممكن أن تكون دماء
- كل الأحمر في أيامنا يكون دماً -
يمكن أن يكون من لون الغروب الذي يضرب على الحائط المقابل.

في كل غروب تحمرّ الأشياء قبل أن تنطفئ
ويصير الموت أقرب. خارج السياج الحديدية
أصوات الأطفال وصفير القطار.

حينها تصير الزنازين أضيق
ولابد أن تفكر في النور على سنابل الحقل
والخبز على طاولة الفقراء
والأمهات اللاتي يبتسمن في النوافذ
كي تجد متسعاً لتفرد رجليك.

في تلك الساعات تقبض على يد رفيقك
يصير الصمت مليئاً بالأشجار
سيجارة مقسومة تدور من فم إلى فم
مثل مصباح يبحث في الغابة- نعثر على الوريد
الذي يصل لقلب الربيع. نبتسم.

نبتسم إلى الداخل. هذه الابتسامة نخفيها الآن.
ابتسامة ممنوعة- مثل الشمس التي صارت ممنوعة
والحقيقة ممنوعة. نخبّئ الابتسامة
كما نخبّئ في جيوبنا صورة الحبيبة
كما نخبّئ فكرة الحرية بين طيات قلوبنا.
غداً يمكن أن يقتلونا. هذه الابتسامة
وهذه السماء لا يستطيعونَ أن يأخذوها منّا.

نعرف أن ظلنا سيبقى فوق الحقول
وفوق الأسوار الطينية لحظيرة البيت الفقير
وفوق جدران البيوت الكبيرة التي ستبنى غداً
وفوق أرجل الأم التي تنظف الفاصولياء الطازجة
وعلى باب الفناء الندي. نعرف هذا.
لتكُن مرارتنا مباركة
لتكُن أُخوّتنا مباركة
مبارك العالم الذي يولد.

...

وها نحن، يا أخي، قد تعلّمنا كيف نتحاور
بهدوء بهدوء وبساطة
نفهم بعضنا البعض الآن- لا نحتاج إلى المزيد.
وأقول غداً سنصبح أكثر بساطة
سنجد هذه الكلمات التي تأخذ نفس الثقل في كل القلوب
وعلى كل الشفاه
وهكذا لنسمي الأشياء بأسمائها
وهكذا حين يبتسم الآخرون قائلين
«قصائد كهذه نصنع لك منها مائة في الساعة»
هذا ما نريده نحن.
لأننا لا نغني يا أخي لنفرق العالم
نحن نغني لنوحد العالم.
...

هدأت الريح. صمت. في ركن الحجرة
فأس متأمل- ينتظر الحرث.
يُسمَع بوضوح صوت الماء يغلي في الإناء الفخاري.

هؤلاء الذين ينتظرون على المقعد الخشبي
إنهم الفقراء، أهلنا، الأقوياء
إنهم المزارعون والبروليتاريون
- كل كلمة منهم كوب من النبيذ
قطعة من الخبز الأسمر
شجرة بجوار الصخرة
نافذة مفتوحة في الجو المشرق.

أهلنا؛ كل واحد منهم يسوع، أهلنا قديسون
أحذيتهم الغليظة مثل عربات الفحم
أيديهم هي الأمان
أيد غاضبة، صلبة، قاسية الملمس
بأظافر متآكلة، شعيرات وحشية
والإصبع الكبيرة عريضةٌ مثل قصة الإنسانية
مدى عريض مثل الجسر فوق الهاوية.
بصماتهم ليست فقط في دفاتر السجون
بل محفوظة في التاريخ العتيق
بصمات أصابعهم هي خطوط السكك الحديدية الكثيفة
التي تشق المستقبل. وقلبي أنا
لا شيء أكثر، يا رفاقي، إناء فخاري مُسوّد
يجيد عمله- لا أكثر من هذا.

كوندوبولي، ليمنوس، فبراير 1949

زمن حجري

مختارات

A. B. Γ

ثلاثة حروف كبيرة
مكتوبة بالجير على العمود الفقري لماكرونيسوس[3]

(عندما جئنا بالسفينة
محشورين بين أكياس الملابس وشكوكنا
قرأناها فوق سطح السفينة
تحت وابل شتائم الحراس، قرأناها
ذلك الصباح الهادئ من شهر يوليو،
والملوحة ونبات الزعتر والزعتر البري
لم يفهموا أبداً ماذا تعني هذه الحروف الجيرية الثلاثة)

الكتيبة A
الكتيبة B
الكتيبة Γ

ماكرونيسوس

وبحر إيجة كان أزرقَ كما كان دوماً
أزرق جداً، أزرق فقط
-A
A، نعم، كنا في وقت مضى نتحدث عن شعر بحر إيجة

[3] ماكرونيسوس، تعنى الجزيرة البعيدة. وهي جزيرة بعيدة فعلا تقع في بحر إيجة وكانت مقر معتقلات المساجين السياسيين.

-B

عن صدر مريض منقوش مع هلب وعروسة بحر

- Γ

لنور البحر الذي يغزل ستائر النوارس

A. B. Γ

300 قتيل

كنا نتحدث، نعم، عن شعر بحر إيجة

سرطان البحر يسرح على صخرة مبللة

في مواجهة الغروب الذهبي

وتمثال برونزي صغير للمحيط

A. B. Γ

600 مجنون

القُريدس الزجاجي في المياه الضحلة يطارد ظل نجم الصباح،

الصيف الذهبي الأزرق يلقي بأقماع الصنوبر على قيلولة البنات،

أشجار الصنوبر القديمة تحك ظهرها بحائط الحظيرة الجيري.)

A. B. Γ

900 أعرج

(والسيدة العذراء لونها ذهبي من نور العصر تتمشّى حافيةً على الرمال

تدور على بيوت الصيادين الصغيرة

تثبت صليباً بحرياً على ضفيرتها القمرية)

A. B. Γ

A. B. Γ

كنا نتحدث عن شعر بحر إيجة، نعم، نعم

ماكرونيسوس-
ماكرونيسوس- ماكرونيسوس

والبحر كما هو دوماً أزرق
والأسطول الأميركيّ يسافر في بحر إيجة
هادئ، هادئ، جميل
والنجوم تشعل كل ليلة نيران صغيرة
كي تطبخ الملائكة حساء السمك للسيدة العذراء.

A. B. Γ
A. B. Γ

ومن تحت النجوم تمر
سفن محملة بالمعتقلين
وأكياس بأرجل مبتورة
وأكياس بأيادٍ مبتورة
وأكياس الأموات
وتهدأ الدوامات على شواطئ لافريو[4]

(موقع على بحر إيجة
ذهبي وأزرق)

A. B. Γ

على تلك الصخور أُطلق الرصاص على 300 من الكتيبة A،
عشب البحر هذا كان حفنة شعر أُقتُلِعتْ مع الجلد

[4] لافريو: هو ميناء وشاطئ في أتيكا (الأقليم الذي تقع فيه أثينا، وكان الميناء الذي ترحل منه سفن المعتقلين)

من جمجمة رفيق رفض أن يوقع إقراراً.

A. B. Γ

الأسلاك الشائكة
الموتى
الموتى.

A. B. Γ

(البحر أزرق- أزرق جداً.
موقع على بحر إيجة ذهبي.
نوارس)

A. B. Γ

أسود، بحر أسود حالك
أسود، مكان أسود حالك
الأسلاك الشائكة.

A. B. Γ

أسود، مكان أسود حالك عاضًّا على أسنانه
أحمر، مكان شديد الاحمرار وقبضة مشدودة،
قلب أسود وأحمر غائص في الدماء
شمس حمراء غائصة في الدماء

قصيدة زمن حجري كتبت في ماكرونيسوس في أغسطس وسبتمبر من عام 1949.

جيران العالم

إلى ماركوس أفجيريس

مقتطفات

A

كنّا نجلس في الغرفة الخالية ندرس قصتنا من البداية.
لمس أحد مقبض الباب. ثمة خوف. لا أحد.
يدخل الضوء من فتحات المصاريع ناقشاً خطوطاً على الجدار العاري، مثل ضلوع الأموات،
ليس إلا الموت فقط، حسناً إذن،
لم نأت للعالم إلا لكي نموت فقط؟ حسناً إذن،
آه، لا تتكلم. وماذا كانت إذن رائحة الخبز الساخن؟
وماذا كانت إذن؟ - لا تتكلم- قبلة في الفم؟
وماذا كان؟ - لا تتكلم- آه، لا تتكلم - يد في يدك؟ -
لا تتكلم- والأمنية والقصائد؟
وأحلام الرفاق آنذاك إذن؟ لا تتكلم.
أ لنموت فقط إذن؟ كنّا نجلس خلف فتحات المصاريع
وسمعنا الشمس من الخارج- سمعنا الحياة،
سمعنا دقات خطوتها بالقبقاب
بينما كانت تعبر من الشارع الضيق في الحي
تبحث عن قليلٍ من الخبز، قليلٍ من الزيت، ورقة خضراء،
تُقلب الأموات، تبحث في جيوبهم
عن قطعة من العملة المعدنية، عن ساعة نحاسية-
الحياة تبحث في أفواه الأموات
عن سن ذهبي- تبحث، تبحث

أن تبقى ثابتةً في وسط الأموات- تبحث الحياة
أن تجد حقها بين القتلى.
...

ويأتي الربيع-
كان يجلس على مخزن الماء الصدئ في فنائنا
وكان يحرك رجليه.
وكانت ثمة ابتسامة على الهواء،
ابتسامة كبيرة ممنوعة،
تنعكس من عيون إلى عيون،
تنعكس من فم إلى فم-
تلك ابتسامة الشيوعي.
ابتسامة ممنوعة
تنعكس من عيون إلى عيون،
من فم إلى فم، من حلم إلى حلم-
ابتسامة ممنوعة، صامتة،
أكثر صمتاً من الكبريت حين يلمس الفتيل.
إنها ابتسامة العالم.

الجيران يذكرون. الجيران
لا يريدون أن ينسوا. في الفجر
دويّ الرصاص في ميدان الرماية. في الليل
الأضواء في خايذاري[5]. حظر التجول.
كانت القُبلة مُرّة ومتعجلة.
وبعدها كانت الأيادي تقع على الأجناب.

[5] خايذاري: مركز تدريب الجنود الجدد وقاعدة عسكرية.

طلقة رصاص في الشارع. الليل. والهرولة
الليل. والقلب يضرب بقوة
كما تضرب قبضة على المنضدة.
ثم الهدوء ثانية. فقط
عكاكيز القمر على الرصيف
ويد تقبض على ظهر المقعد
ويدٌ تُزيّتُ السّلاحَ القديمَ
ويدٌ تحوكُ علماً
ويد تشدُّ على يد أخرى
والنجوم التي تُظهّر أسنانهم التي تصطك
فوق الصليب المائل الذي تهزه الريح على الأكروبول
والريح التي تبدأ في منتصف الليل.
...

لم نرد أن نموت. لا أحد أراد أن يموت.
لم يكن سهلاً- لا تقل- لم يكن سهلاً.
ساعة فقط- لحظة أخرى فقط،
مع قبلة- مع شجرة- قبلة،
ملاءة بيضاء برائحة الصابون،
جسد حب عار،
الظهر وجراده على أقدام الحب العارية.
رائحة الصنوبر على شعر الحب،
عصفور الليل الصغير في كف العشق،
صرخة الحب في الحجرة في ساعة الحب،
وآهة العشق الصغيرة في فم الحب المتعب،
والنوم الدافئ في عرق إبط الحب،
والنجوم والورود تدوس على أظافرها حول فراش الحب-

لم يكن سهلاً- لا تقل- لم يكن سهلاً
لم يشأ أحد أن يموت.
...

قال أليكوس:

[فكر في أن الحياة تسير، وأنت غائب،
أن يأتي الربيع تلو الربيع بنوافذ مفتوحة، وأنت غائب،
أن تأتي البنات وتجلس على مقاعد الحديقة بفساتين ملوّنة، وأنت غائب،
الشباب يسبح في الظهيرة، وأنت غائب،
شجرة مزهرة تنحني في الماء،
أعلام كثيرة ترفرف في الشرفات،
أن يصعد موكب عرض عسكري شارع ستاذيو[6]،
آلاف الناس يحملون أعلاماً حمراء في أيديهم،
يحملون أحلامهم أخيراً في أيديهم،
أن يقولوا كلمة رفيق بصوت عال، وأنت غائب،
ثم مفتاح يدور- والحجرة مظلمة،
فَمَانِ يتبادلان القبل في الظل، وأنت غائب،
فكر في أن تُشدّ يدان على بعضهما، وأنت بلا يدينِ،
جسدان يتحدان، وأنت نائم تحت التراب،
وأزرار سترتك تحتمل أكثر منك،
والرصاصة في قلبك لا تذوب،
بينما قلبك الذي أحب هذا العالم كثيراً، يكون قد ذاب]
...

كانت جميلة تلك الأيام، في الميادين التجارية،

---

[6] ستاذيو: أحد الشوارع المحوريّة في وسط أثينا.

بعض الأطفال الحفاة، ببناطيل مرقعة،
كانوا يلقون الخطب- كانوا يتحدثون عن المستقبل،
كانوا يفتحون بأيديهم العصبية نوافذ كبيرة في السماء.
كانت جميلة تلك الأيام بكل أمواتنا،
جميلة -لم يسعفنا الوقت أن نفرح بها، -
كان الليل يطول فوق رؤوسنا،
النساء العجائز كن ينسين تماماً القدور على النار،
نجم مثبت على المدخنة كان ينظر إليهن متأملاً،
والعجائز كُنّ يتأملن يوم الأحد سارحاتٍ مع طبخ الكفتة وصوت الجرامافون،
كُنّ يتأملن ابنهنّ الأكبر يحلق ذقنه ويغسل رأسه في المطبخ،
لديه قميص أبيض مكويّ،
ويظهر من جسده بينما يبدل ملابسه من زجاج النافذة المفتوح،
شعر إبطه وشعر صدره الصبياني.
نسيت النساء العجائز القدور- فاحت رائحة الطعام المحروق في الحيّ،
كانوا يهرولون، ويصيحون بالتمجيد والحياة
آه وأشجار الرمّان تشعل ألعاباً نارية حمراء في بستان عيد الفصح،
ومكبرات الصوت من حي إلى حي
تهتف وتصيح وتهلل قائلة
يا أهلاً ومرحباً بك أيتها الحرية.

Γ

في نفس الليلة ألقوا القبض على أليكوس.
أليكوس لم ينطق بكلمة.
بقيَ معلّقًا لثلاثة أيام وليالٍ
أليكوس مات كعضو في الحزب.
مات كرفيق حقيقي. في اللحظة الأخيرة
صاح: «هناك آلاف النجوم بداخلنا. لن تستطيعوا قتلها»

تلك النجوم أعطاها أليكوس إلى علم الحزب.

E

أعلام حمراء وزرقاء مع بيضاء - تعيش -
- «تعيش، تعيش، تعيش»
وإطلاق الرصاص وسط الهتافات
والمصفحات تقترب، تقترب
أي موت؟ أين الموت؟ تعيش.
وبطرس في أيدي المتظاهرين ينادي: «يا رفاق.
الموت ليس هنا. - إن قتلانا،
ها هم معنا يحاربون بجوارنا. ها هو فانجيليس
في الأمام، داخل الشمس، يا رفاق
دقيقة حداد على موتانا».
ذلك الشعب لا يركع
إلا على موتاه.

والمصفحات السوداء تقترب، تقترب،
المصفحات تمر فوق الراكعين،
وتمر مرة أخرى فوق القتلى،
«لا يوجد موت هنا، فقط الحياة والمستقبل، تعيش، تعيش
ارفعوا العلم عاليًا» - مظاهرة الطلاب،
الموت حرية
الموت حرية- احملوا العلم.
أنثولة[7] تحت المصفحة-
أمسكوا بالعلم- أنثولة

[7] أنثولة: اسم فتاة.

تحت المصفحة- يدها من خارج المصفحة
تعطي العلم- الموت أو الحرية،
الموت أو الحرية،
الموت أو الحرية، أي موت؟
لا يوجد موت هنا.. فقط الحياة والمستقبل.
تعيش، تعيش.
تعيش.
...

تلك الريح لا تريد أن تصمت
تصفر، تصفر، تصفر
تصفر في آذان القتلى «تعيش»
يفتح القتلى أعينهم
تصفر، تصفر، تصفر
تمرُّ من تحت أطراف المشنوقين
توقظُ المشنوقين
والمشنوقون يركبون الريح - ويهرولون نحو الخلود
جارّين خلفهم حبالهم المقطوعة.

ماكرونيسوس، آي ستر اتيس 1949 - 1951

تمارين

نور

غصن لوز
أمام النافذة
غصن واحد فقط
يخفي عنك نصف القرية.

العشق بكفه
يخفي عنك العالم كله.

ويبقى النور فقط.

عزلة صغيرة

في ركن الفناء، في مياه الصابون
بعض الورود انحنينَ من ثقل العطر.
لم يشم أحدٌ عطر هذه الورود.

ليس ثمّة وحشة صغيرة.

تبادلات

أخرجوا الفأس في الحقل؛
أحضروا البيت في الحقل، -
عملية تبادلية لا نهائية شَكّلَتْ

معنى الأشياء.

تبادلت المرأة مكانها مع اليمامة،
جلست في عش اليمامة على السطح وغردت.
اليمامة جلست على نول المرأة ونسجت
نجوما، طيورا، أسماكا، وردا، ومراكب شراعية.

لو كنتِ تعلمين كم هو جميل فمك،
لقبلتِني داخل عيني حتى لا أرى.

شرح ضروري

إن بعض الأبيات- قصائد كاملة أحيانا-
والتي حتى أنا لا أعرف ماذا تعني. والذي لا أعرفه
هو الذي يمسك بي. وأنتِ تسألين محقّةً. لا تسأليني
فلا أدري ما أقول لك.
ضوءان متوازيان
من نفس المركز. صوت الماء
يسقط، في الشتاء، من الماسورة الطافحة
أو صوت قطرة ماء حين تسقط
من وردة في الحديقة المروية
مساء ربيعي متأخر
مثل نواح طير. لا أدري
ماذا يعني هذا الصوت؛ رغم ذلك فأنا أتقبله.
الأشياء الأخرى التي أعرفها أشرحها لكِ. لا أهمل الأمر.
لكن هذه الأشياء تضيف إلى حياتنا. كنت أنظر،
بينما كانت نائمة، كانت ركبتها تصنع زوايا بالملاءة-
لم يكن العشق فقط. هذه الزاوية التي صنعت ركبتها

كانت قمة خط الرقة، وعطر الملاءة، نظافتها والربيع
قد شرحوا ذلك المبهم الذي كنت أنشده، بلا جدوى
مرة أخرى، ها أنا أشرحه لك.

امرأة من الريح

ريح هادئة كانت تهب بداخلها
وكانت تلعب بورقة شجرة واحدة- ابتسامتها.
أحب الجميع ابتسامتها.
وتلك لم تحب أحداً.
ظلت وحيدة بريحها غير المرئية
وأضاعت ورقة الشجر الوحيدة تلك. «قالت، المدى،
هو جدار وحدتي الرابع وليس سقفها.»

ظلت عزباء، شاخت، لم تصبح ولا حتى تمثالاً.
مهووسةً بالتنظيف؛ من الفجر،
صيفا وشتاء، كانت تمسح البيت حتى الرصيف.
وفي أحد الأيام صوّرَت بالمكنسة في يدها
هناك في الشارع، أمام أحد الأبواب الغربية. وصورتها هذه
هي التي بقيت من تلك الريح وابتسامتها.

اثنان

في الساعة التي كنا فيها نتصافح، لم تسمعي
الهواء الذي تسلل بين كفينا.
كانت الذكرى التي كانت تستعد.
كان الفراق قبل التوحد. لم تسمعي.
كنتِ كاملة؛ حزمتِ كل عريك

بكل فخر بلا حماية، مثل غابة داخل الحريق.

هكذا دائماً

كل ليلة، كل الأشياء تُهدم في الظلام
لكن ضجيج انهيارها ينجو. هذا الصوت يبدو وكأنه يعيد بناء كل شيء من البداية.
وفعلاً،
في اليوم التالي، مع ندى الصباح، بين
البيوت الجديدة، في الأنوار
التي ترسل المربعات البيضاء الناصعة والصفراء،
تقف الحياة
أمام الزمن كثيف الذقن، كما تقف المرأة أمام الرجل
صامتة تنتظر أن تُقبَل أو تُغَنَّى
ثم تلد وتغني وحيدة.

جمعية

ولد يأكل خبزه على الصخرة، ينظر خلف الجبال.
طير ألقى هلب ظله على سطح أحمر.
صياد رمى صنارته في البحر.
صياد أطلق رصاصة في الغابة.
الجميع ينتظر محصوله، كل ينتظر محصوله-
كي يتبادلوا منتجاتهم، غداً أو بعد غد،
جميلون في النور، مجتهدون وأمناء،
سعداء من تواضع فضائلهم.

تحت شجرة الشاطئ الوحيدة، الجرة الحبلى في عرقها،

تُثلّج الماء؛ وفمها الواسع،
مغلق بقمع صنبور، له عطر قدّاس من أفواه الشعراء،
النجارين والصيادين الذين اعتنقوه.

صحيح

في الصباح، قبل أن يُغسِّلوا أو يُلبِسوا الأولاد،
خارج المنازل
يُسمع أصحاب الحرف المتجولون الصغار يتسابقون إلى النور،
بائعة الخضراوات، بائع الثلج، الفحام، صانع السكاكين، صانع الخوص، المنجد،
بأدواتهم الفقيرة، العجلة، المطرقة، السكين، المنشار، القوس؛ - يسيرون وأمامهم
تسير أصواتهم الكبيرة المدربة منشدة.
هكذا هو الشارع
يصبح مقدمة معبد مضيئة، تجاويف أشعة ضوء منحوتة عريضة
من ظلال سلسلة أعمدة غير مرئية.
فوق صفين من المنازل
تقف أسقف النهار الباهتة. وتسير داخل المعبد حيث تقام الطقوس.
أدواتهم الفقيرة
تبرق كنذور ذهبية. وبينما
البيوت في الداخل مازالت رطبة، وبينما
تكون أنت غير جاهز ولا على استعداد، رغم ذلك تخرج إلى العتبة،
وقطرات الماء على رأسك،
والمشط في يدك. على الجانب المقابل أمامك
باب البيت الفقير هو أيقونة كاملة للعذراء،
وقوس المنجد، مسنود هناك في الجوار،
إنه قيثارة المجد، بوتر كبير فقط. وحينها،
كل ما تفعل طوال اليوم هو أن تكمل الأوتار الغائبة

من أجل التسابيح المسائية الصامتة العميقة.

معجزة

شخص، قبل أن يستلقي للنوم، وضع ساعته تحت رأسه.
ثم نام. وفي الخارج تسير الرياح. أنت تعلم
تفهم، الحركات الإعجازية الصغيرة التي تلي.
شخص، ساعته، الريح. لا شيء آخر.

فنان منسي

رسام، في المساء، رسم قطاراً.
في العربة الأخيرة نفد منه الورق
وعاد وحيداً إلى المخزن.
في هذه العربة بالضبط كان الفنان يجلس.

تشابه

وحيد
جسد الليل الأبيض والأسود،
ملتصق في جسده.
موجود؟ غير موجود؟ في البيوت، الكراسي
لها أربعة أقدام.
إن العالم بسيط جداً
مُركب جداً.

تمارين.. تحتوي على قصائد من الفترة 1950- 1960

مدرسة صيفية

المدة

الليل ينظر إلينا من خلال أوراق النجوم الكثيفة.
ليلة جميلة، صامتة.
سوف تأتي ليلة
ونحن سنغيب. وحينها مرة أخرى
ستُغنّي عيدان الذرة أغانيها العتيقة،
والمصيفون سيتعاشقون ثانية في الغرف،
وبين أبياتنا المنسية
وكما بين السنابل الصفراء
وجه شاب مضيء من القمر،
سينظر مثلنا الليلة،
إلى تلك السحابة الفضية الصغيرة
التي تميل وتستندُ بجبهتها إلى كتف التل.

أجساد

أجساد من الشمس محروقة، شبابية– طين أسود وأحمر
أحياناً في أعماق شعورها أو في المسام
تلمع مكعبات الملح، بالقدر الذي يجعلك ترتعش
فربما يبقى الشعراء بلا صوت.

عباد الشمس

كبير، عباد الشمس يعمي الأعين في حدائق مهجورة،
صفراء.. ألف عينٍ للظهيرة.
بريق أصفر، فراغ الصيف أصفر
يحرق الحجارة، الذرة، الأجساد، الشعر
مَعميٌّ من البريق، يبحث عن ظل،
يصنع ظلاً، يصبح أكثر نوراً.

طنين

في المساء زهرة بنفسج وردية، ممتلئة بالهدوء،
أكثر هدوءً من طنين آخر ذبابة على الزجاج.
هكذا هي القصائد الصغيرة، بنقطةٍ قبل النهاية.

مراهقة

ببنطاله معلقاً على مسمار في الجدار
مسترخياً، وربما ما زال ساخنا من جسده،
فارغا من جسده.
قام حافياً
لَمسه بيده في سرية، شعرَ
أنه لمس جسدا غريبا بلا خوف أو أن
جسدا غريبا قد لمسه. أغلق عينيه
سامعاً لهاث الليل من الخارج.

أقل وقت للحب

تعجلوا التقبيل كثيراً. دخلوا البيت. أغلقوا الأبواب،
تركوا المقعدين في الحديقة. أثناء غيابهم
سكنت الطيور مقاعدهم، صنعوا منها سلما لحجراتهم.
عندما حل المساء،
أوراق الشجر ابتلعت كل الأشياء، وراحوا يضربون ألسنتهم بشهوانية.
المقعدان كانا ينتظران مثل الحمالات الصغيرة
على حافة وحدة خضراء في القمر.

بيت هيلين

الأشجار تحجب المنظر من النافذة.
أوراق عريضة، رفيعة، كثيفة، طويلة.
طبق ثمار أبيض على المنضدة.
عجلة أطفال، حصان خشبي
مختلطة مع أصوات الجراد.
أيّ بقية
مخفية، قد رَفعت هذا المكان التافه
في منطقة الأبدية تلك، تشبث تواً
من غصن أخضر كما لو كان إصبع
إله شاب، جميل، فوق العبث؟

كُتبت هذه القصيدة في ذيمينيو، أثينا، كارلوفاسي وفي بلاتاناكيا سانت قسطنطين من 1953- 1964

سوناتة ضوء القمر

(مساء ربيعي. حجرة كبيرة في منزل قديم. امرأة مسنة، ترتدي ثياباً سوداء، تتحدث إلى شاب. لم يضيؤوا الأنوار، من النافذتين يدخل ضوء قمر قاس. نسيت أن أقول إن المرأة ذات الثياب السوداء كانت قد نشرت ديوانين أو ثلاثة دواوين شعر طريفة ذات فحوى دينية. حسنا، المرأة ذات الثياب السوداء تتحدث إلى الشاب):

دعني آتِ معك. يا لهُ من قمر الليلة!
إنه قمر جميل، - لن يظهر
شعري الذي شاب. القمر
سيعيد ثانية شعري ذهبياً. لن تفهم.
دعني آتِ معك.

عندما يظهر القمر تكبر الظلال داخل البيت،
أيادٍ خفية تزيح الستائر،
إصبع ضبابيّة تكتبُ على غبار البيانو
كلاما منسيا- لا أود سماعه. اصمت.

دعني آتِ معك
أسفل الطريق قليلاً، حتى ذلك الكوخ الحجري
هناك حيث ينحني الشارع وتظهر
المدينة الأسمنتية هوائية، جيرية من ضوء القمر،
غير مبالية ولا مادية
إيجابية وميتافيزيقية
حيث تستطيع أخيراً أن تصدق أنك موجود وغير موجود
وأنك أبداً لم تك موجوداً، ولا الزمن كان ولا وهَنه.
دعني آتِ معك.

سنجلس على العتبة، فوق جزئها العلوي،
وكما سيهب علينا الهواء الربيعي
يمكن لنا أن نتخيل أيضاً أننا سنطير،
حيث إنّه، في مرات عديدة، والآن أيضاً، أسمع
حفيف فستاني
مثل صوت جناحين قويين يُفتحان ويُغلقان،
وعندما تنغلق على صوت الرفرفة هذا
تشعر بضربات النبض في عنقك، في ضلوعك في جسدك،
وهكذا معصورًا بين عضلات الهواء الأزرق،
داخل أعصاب العُلوِّ القوية،
لا معنى في أن شعري أصابه الشيب،
(ليس هذا هو الحزن- حزني هو
أن قلبي لم يصبه الشيب).
دعني آتِ معك.

أعرف أن الفرد يمر نحو الحب وحيداً،
وحيداً نحو المجد ونحو الموت.
أعرف هذا، جربته. ليس له جدوى.
دعني آتِ معك.

هذا البيت صار قرباناً للتضحية، يطردني
أريد أن أقول صار قديماً جداً، خُلعت مساميره،
اللوحات تسقط وكأنها تقفز في الفضاء،
أسمنت الحوائط يسقط في صمت
كما تسقط قبعة الميت من على حاملة الملابس في الممر المظلم
كما يسقط قفاز الصمت الصوفي من على ركبتها
وكما يسقط شريط قمر من على الأريكة القديمة المهترئة.

كانت في وقت ما جديدة، - لا ليست هذه الصورة
التي تنظر إليها بشك وريبة-
أقصد الأريكة، مريحة جداً، كان من الممكن أن تجلس عليها ساعات طويلة
وتُغلق عينيك وتحلم بأي شيء
- شاطئ رمليّ، رطب، مصقول من القمر،
مصقولٌ أكثر من حذائي الجلدي اللامع الذي أرسله مرة في الشهر ليتم تلميعه لدى دكان التلميع عند الناصية،
أو شراع مركب صيد يضيع في العمق راقصاً من نفس النَفَس،
منديل مثلث مطويّ بميل
وكأنه ليس به شيء ليطوى عليه أو يحمله
أو يلوح بشدة في مشهد وداع. دائماً كان عندي هوس
بالمناديل،
لا لأربط بها شيئاً،
لا بذور ورد أو بابونج جُمعت وقت الغروب
أو كي أعقدها غطاء رأس مربع كما يفعل العمال في موقع البناء المقابل
أو لأمسح بها عيني، - فقد حفظت بصري في حالة جيدة
لم أرتد أبداً نظارة. مجرد هوس بسيط بالمناديل.

الآن أطويها على أربعة، ثمانية، ستة عشر
لأشغل أصابعي. والآن تذكرت
أنني هكذا كنت أعد الموسيقى وأنا ذاهبة إلى مدرسة الموسيقى
بثياب بيض وياقة زرقاء، بضفيرتين شقراوين
- 8، 16، 32، 64، -
ممسكة بيد إحدى صديقاتي كشجرة الخوخ منيرة ووردية
(اعذرني لمثل هذه الكلمات- عادة سيئة) – 32، 64، -
وأهلي عقدوا أمالا كبيرة على موهبتي الموسيقية، حسناً، كنت أحدثك عن الأريكة-

بالية- يبدو أن النوابض قد صدأت، واهترأ القش-
كنت أفكر أن أرسلها لنجار الأثاث للتصليح،
لكن أين الوقت والمال والرغبة- ماذا سيصلح فيها على أيّة حال؟ -
فكرت أن ألقي فوقها ملاءة، - خفت من الملاءة البيضاء في ضوء القمر هذا. هنا جلس
الناس يحلمون أحلاماً كبيرة، مثلك أنت وأنا حينذاك،
والآن يستريحون تحت التراب دون أن ينزعجوا من المطر أو من القمر.
دعني آتِ معك.

سنتوقف قليلاً عند قمة السلالم الرخامية لكنيسة القديس نيقولا،
بعدها ستنزل أنت وأنا سأعود
وفي جنبي الأيسر دفء لمسة عشوائية من سترتك
وأيضاً بعض الأضواء المربعة من نوافذ الحي الصغيرة
وهذا البخار الناصع من القمر الذي يبدو وكأنه سرب كبير من البجع الفضي-
ولا أخاف هذا التعبير، لأنني
في ليال ربيعية عديدة كنت أتحدث أحياناً مع الإله الذي ظهر لي
مرتدياً سحابا ومجداً مثل ضوء القمر هذا
وشباب كُثُر، ربما أكثر منك جمالاً، ضحيت بهم من أجله،
هكذا بيضاء وعفيفة أتبخرُ في شعلتي البيضاء،
في بياض ضوء القمر،
مشتعلة من عيون الرجال الشرهة ومن نهم المراهقين المتردد،
محاصرة من أجساد رائعة لونتها الشمس
أجساد قوية متمرسة في السباحة، التجديف، العدو، في كرة القدم
(التي كنت أتصنع مشاهدتها)
جباه، شفاه وأعناق، ركب، أصابع وعيون،
صدور وأذرع وأفخاذ (في الحقيقة لم أكن أراها)
- أ تدري، حينما نتذكر، ننسى أننا نعجب بالأشياء،

ونكتفي بالإعجاب، -
يا إلهي، يا لعيون النجوم، وكنت أصعد في استقبال حافل
من النجوم المرفوضة
لأنني هكذا، محاصرة من الخارج ومن الداخل،
ولا يبقى لي إلا فقط نحو الأعالي أو نحو الأسفل. -
لا، لا يكفي.
دعني آتِ معك.

هذا البيت لم يعد يحتملني.
لا أطيق أن أحمله على كاهلي
لابد أن تنتبه دائماً، أن تحترس،
أن تثبت الحائط بالبوفيه
أن تثبت البوفيه بالطاولة العتيقة المنقوشة
أن تثبت الطاولة بالكراسي
أن تثبت الكراسي بيدك
أن تضع كتفك تحت العارضة التي تدلت.
والبيانو، كتابوت مغلق. لا تجرؤ على فتحه.
أن تنتبه لكل الأشياء، كي لا تسقط، لا تسقط أنت،
لا أحتمل.
دعني آتِ معك.

هذا البيت، رغم كل أمواته، لا ينوي أن يموت.
يصر على الحياة مع أمواته
أن يعيش على أمواته
أن يعيش من تأكيد موته
وأن يرتب موتاه في أسرّة وأرفف آيلة للسقوط.
دعني آتِ معك.

هنا، حتى إذا تمشيت في ظلام الليل،
إما بحذاء البيت، أو حافية
شيء سيطقطق، - زجاج يشرخ أو مرآة،
خطوات ما تُسمَع، - ليست خطواتي
في الخارج، في الشارع ربما لا تُسمَع هذه الخطوات، -
يقولون إن الحزن، ينتعل قباقيب، -
وإذا شرعت أن تنظر إلى الآخر، أو في المرآة الأخرى،
خلف تراب الشروخ،
ترى وجهك باهتاً ومتجزئاً،
وجهك الذي لم يكن لديك مطلباً في الحياة إلا أن تحتفظ به نظيفاً وغير متجزئ.
شفاه الكوب تلمع في ضوء القمر
مثل مُوسىً دائري- كيف أحمله إلى شفتيَّ؟
ولو كنت عطشى جداً، - كيف سأحمله إلى فمي؟ - أترى؟
مازالت لدي الرغبة في صنع التشبيه، - هذا ما قد بقي لي،
هذا ما يؤكد لي أنني لست غائبة.
دعني آتِ معك.

أحياناً، عندما يأتي المساء، أشعر أن خارج النوافذ
يمر مروّض الدِببة بدبته العجوز الثقيلة
وشعرها ممتلئ بالأشواك
تثير التراب في الشارع المجاور
سحابة تراب صحراوية تذكر بالغسق
والأولاد عادوا إلى بيوتهم للعشاء ولا يدعونهم يخرجون خارج البيوت
لكن الكل وكل الأشياء تشعر بخطوات الدبة العجوز
والدبة متعبة تمضي في حكمة وحدتها، لا تعرف
إلى أين أو لماذا-
قد ثقلت، لم تعد تستطيع الرقص على رجليها الخلفيتين

لا تستطيع أن ترتدي غطاء رأسها المزركش لتسلي الأولاد، العاطلين، كثيري المطالب،
وكل ما تريده هو أن تستلقي على الأرض
تاركة إياهم يركلونها في بطنها،
هكذا يلعبون آخر ألعابها
مشهرة قوتها الجبارة للاعتزال
عصيانها لمطالب الآخرين، لطوق شفاهها، إلى حاجة أسنانها،
عصيانها للألم وللحياة
بتحالف قوي مع الموت- حتّى ولو كان موتًا بطيئًا
عصيان أخير للموت مع استمرار المعرفة بالحياة
التي تصعد بمعرفة وجهد فوق عبوديتها.

لكن من يستطيع أن يلعب هذه اللعبة حتى النهاية؟
والدبة تقوم ثانية وتمضي
مطيعة لسلاسلها، لأطواقها، لأسنانها،
مبتسمة بشفاه مقطوعة للعملات المعدنية
التي يلقي بها أولاد جميلون وأبرياء
(الأولاد جميلون لأنهم أبرياء)
وتقول شكراً. لأنّ الدببة التي تشيخ
لم تتعلم سوى أن تقول: شكراً، شكراً.
دعني آتِ معك.
هذا البيت يخنقني. إن المطبخ
مثل أعماق البحر. الأباريق معلقة تلمع
كعيون أسماك كبيرة دائرية مستحيلة،
الأطباق تتحرك ببطء كأنها ميدوزات،
أعشاب وكائنات بحرية تشبك في شعري- لا أستطيع التخلص منها،
لا أقوى أن أصعد إلى السطح-

تسقط الصينية من يدي بلا صوت، - أنهار
وأرى فقاعات من أنفاسي تصعد وتصعد
وأحاول أن أستمتع بالنظر إليها
وأتساءل ماذا سيقول لو رأى أحدٌ من الأعلى هذه الفقاعات:
هل يغرق أحد؟ أم سيقول إن أحد الغواصين يستكشف الأعماق؟

والحقيقة أنها ليست مرات قليلة تلك التي أكتشف فيها هناك في أعماق الغرق،
ماساً ومرجانا وكنوز السفن الغريقة
مقابلات مفاجئة، من الأمس واليوم والمستقبل
كنوعٍ من تأكيد الخلود تقريباً،
شيء من الراحة، ابتسامة خلود، كما يقولون،
سعادة، شكر، وحماس أيضاً،
مرجان وماس وياقوت؛
فقط لا أعرف أن أعطيها- لا، أهبها
فقط لا أعرف إذا كانوا سيأخذونها- على أيّة حال أنا أعطيها.
دعني آتِ معك.
لحظة، سآخذ سترتي.
في هذا الجو المتقلب، لا يخلو الأمر، لابد للفرد أن يحتمي.
المساء رطب، والقمر
يزيد من حدة البرد، حقاً، ألا تظن؟
دعني أغلق أزرار قميصك- يا لصدرك القوي،
- كم هو قمر قوي، - الأريكة، أقول- عندما أرفع الفنجان
مِن على المنضدة
تبقى عليها حفرة من الصمت، أضع على الفور كفي فوقها وأنظر داخلها، - أترك الفنجان في مكانه ثانية؛
والقمر حفرة في جمجمة العالم- لا تنظر للداخل،
فهناك مغناطيس قوي يجذبك لا تنظر، لا تنظر،

اسمع كلامي- ستسقط داخله. هذا الدوار جميل، خفيف- ستسقط، -
القمر بئر رخاميّة،
ظلال تتحرك وأجنحة خرساء، أصوات مبهمة- ألا تسمعها؟

إن السقوط عميق عميق،
الصعود عميق عميق،
تمثال هوائي كثيف في أجنحته المفتوحة
عميق عميق قاسٍ إحساس الصمت
أضواء الشاطئ ترتعش على الجانب الآخر، كما تتأرجح أنت في موجتك،
نفس المحيط. جميل، خفيف
هذا الدوار، - احترس، ستسقط. لا تنظر إلي،
فأنا مكاني هو الاهتزاز- الدوار الرائع
هكذا كل مساء
أشعر بقليل من الصداع، دوخة.
غالباً ما أذهب إلى الصيدلية المقابلة من أجل بعض الأسبرين،
لكن أحياناً أملُّ من الذهاب وأبقى بالصداع
لأسمع في الجدران ذلك الضجيج الأجوف الذي تصنعه أنابيب المياه،
أو أصنع قهوة، وكما أنا شاردة دائماً
أنسى وأصنع فنجانين- من سيشرب الفنجان الثاني؟ -
مضحك حقاً،
أتركه على حافة النافذة ليبرد
أو أحياناً أشربه، وأنظر من النافذة إلى مصباح الصيدلية الأخضر
مثل ضوء القطار الأخضر الصامت الذي سيأتي ليأخذني
مع مناديلي، حذائي المقوس، حقيبة يدي السوداء، قصائدي
بدون حقائب سفر- فماذا أفعل بها؟
دعني آتِ معك.

آه، أ سترحل؟ تصبح على خير. لا لن آتي. تصبح على خير.
سأخرج بعد قليل. شكراً. لأنني، أخيراً، لابد أن أخرج من هذا البيت البالي.
لابد أن أرى المدينة قليلاً، - لا، القمر لا-
المدينة بأيديها الوردية، مدينة العمل بالأجر اليومي،
المدينة التي تقسم بالخبز وبالقبضة
المدينة التي كلنا نحملها على ظهورنا
بتفاهاتنا، شرنا، عداءاتنا،
بطموحنا، براءتنا، وشيخوختنا
أن أسمع خطوات المدينة الكبيرة،
كي لا أسمع خطواتك بعد ذلك
ولا حتى خطوات الإله، ولا خطواتي. تصبح على خير.

(الحجرة تظلم. يبدو أن سحابة قد حجبت القمر، وكأن يدا رفعت صوت المذياع عاليا من البار المجاور. سمعت جملة موسيقية معروفة. وحينها فهمت أن طوال هذا المشهد كانت ترافقنا بصوت خافت «سوناتة ضوء القمر» الجزء الأول منها فقط.
الشاب ينزل الآن وعلى شفتيه ترتسم ابتسامة تهكمية وربما شيء من الشعور بالحرية. عندما سيصل إلى كنيسة القديس نيقولا، قبل أن ينزل السلم الرخامي، سيضحك، ضحكة قوية، لا يستطيع السيطرة عليها. وضحكه لن يُسمعَ غيرَ لائق تحت ضوء القمر. ربما الشيء الوحيد غير اللائق هو أنه هو غير لائق. بعد قليل سيصمت الشاب، سيأخذ شكلاً جاداً ويقول: «اضمحلال عصر». هكذا، هادئًا تماماً، سيفك أزرار قميصه وسيمضي في طريقه. أما عن المرأة ذات الثياب السوداء، لا أعرف إن كانت قد خرجت من بيتها. ضوء القمر يلمع ثانية.
وفي أركان الغرفة الظلال تنقبض من ندم قاس، غضب تقريباً، ليس من أجل الحياة، ولكن للاعتراف غير المجدي. هل تسمعون؟ صوت المذياع يستمر)

أثينا. يونيو 1956

شهادات

الحلقة الأولى

إلى زوجتي

آفاق

بيوتنا مبنية فوق بيوت أخرى رخامية
مستقيمة الخطوط،
وتلك البيوت، فوق بيوت أخرى
أساساتها محمولة فوق رؤوس تماثيل واقفة، بلا أيدٍ.
لهذا، مهما كانت أكواخنا قابعة منخفضة في الحقل، تحت أشجار الزيتون
صغيرة، مدخنة، لها جرة واحدة أمام الباب،
تظن أنك تسكن في الأعلى، ويحيطك الهواء من كل اتجاه
وأحياناً تشعر أنك خارج جدران البيوت، وليس ثَمّة منزل حولك، وتمضي عارياً تماماً،
وحيدا تحت سماء زرقاء مرعبة أو بيضاء،
وربما ذات مرة، ثمة تمثال، يربت بيده بخفة على كتفك.

بيت شعر

طعم عميق للنهاية يسبق القصيدة. بداية.

مسائيّ

الدجاج مازال يأكل في الشارع.
والعجوز القبطانة تفترش العتبة وتُجلِس حفيدها على ركبتيها المتباعدتينِ.

طفل يحمل طبقاً من الخوص. البيوت في فوضى أمام الغروب، مع الصناديق القديمة، الأســرة الحديدية، الطاولات، اللوحات، جرامافون مبحوح يصـــدح في إحدى الغرف المغلقة.
الملاءات كانت تطوي تاريخها في مربعات عريضة. لم يكن صوت البحر مسموعاً.
يد كبيرة، غير مرئية كانت ترفع الكراسي قيد شبرين تقريباً فوق الأرض.
كيف يعيش الناس بدون الشِّعر؟

ذكرى

رائحة ساخنة بقيت في إبط سترتها.
السترة على حاملة الملابس في الممر مثل ستارة مغلقة.
وكل الذي حدث، كان زمنًا آخرَ، غيّرَ الضوء وجهها،
كلها مجهولة. وإذا أراد أحدٌ أن يدخل البيت،
كانت تلك السترة الخاوية ترفع يديها ببطء ومرارة
وتغلق الباب ثانيةً.

السائر أثناء النوم والآخر

لم ينم طوال الليل على الإطلاق. كان يتابع
خطوات السائر أثناء النوم على سقفه. كل خطوة
كانت تترك أصداءً لا نهائية في كل تجاويفه كثيفة ومكتومة
وقف في النافذة ينتظر أن يمسك بيده لو وقع. لكن ماذا لو أنه سحبه أثناء سقوطه؟
أ ظلُّ طيرٍ هذا الذي على الحائط؟
نجمٌ؟
هو؟ أمْ يداه؟

صوت السقوط سُمِعَ على الطريق الحجري. انبلجَ الفجر.
فتحوا النوافذ. ركضَ الجيران. السائر أثناء النوم

كان ينزل بسرعةٍ من على سلم الحريق الحديدي
ليسعف ذلك الذي سقط من النافذة.

من أجل دقة أكثر

كان دوماً يعود إلى نفس الأماكن. كان يكرر- واحد و واحد
ببساطة حتّى يقتنع هو- يساوي اثنين. اثنان واثنان: أربعة. لكن ثانيةً،
كان يســتغرق فترة وجيزة حتى ينتهي من عملية الجمع هذه، كان يشــعر بأنه لابد أن يضيف - نَفَسا،
من أجل دقة أكثر- نَفَسا واحدا،
وخلف بخار النَفَس، كان نَفس الرقم يظهر
وكأنه مكتوب على باب أو على جانب سفينة
أو كنجم خلف ضباب خفيف، في تلك الساعة المرتعشة
الجميلة جداً، بين الغسق والليل.

اللص

لص، - حقيقة، لص، عادي، مطلوب من الشــرطة؛ كان يترقب ويســرق نســاء ورجالا، عجائز وأطفالا، أوراقا، نوافذ، مصابيح
قيثارات قديمة، ماكينات خياطة، حطب، حتى نفسه.
كان يسرق من الناس كل شيء
وقفاتهم، تعبيراتهم، أعقاب سجائرهم التي يلقون بها في الشــارع، ملابســهم، حين كانوا يتعرون لحظة ممارســة الحب، أفكارهم، أشــكالهم المجهولة، التي لهم والتي له، وكان يصــنع باقات ورد غريبة أو يزرع نباتاً في أصــيص. الآن، في دكان الزهور على الناصــية، خلف الزجاج، كنا نراه
يروي بخرطوم الحديقة الورد الكبير، زهر الأضاليا، زهر القرنفل،
دون أن يبيعها أو حتى يهديها؛ - لص غريب الأطوار،
أمير مضمحل في صوبته. كان وجهه فقط يظهر باهتا بين النباتات الطويلة،

مثل ميت في تابوت زجاجي. رغم ذلك،
في برد الشتاء، حانوت الزهور هذا بزهوره التي لا تباع
كان دائماً يعطينا إحساسا بربيع خالد؛
حتى وإنْ كنا قد علمنا فيما بعد أن كل هذه الزهور كانت ورقية، ملونة
بطلاء أحمر وأصفر - بالأحمر أكثر- بدرجات مختلفة.

تحت النسيان

الشيء الوحيد الذي تبقى منه، كانت سترته.
علقوها هناك، في الدولاب الكبير، نُسيت،
حشرت في العمق، بعيدا عن ملابسنا، الصيفية والشتوية،
التي كانت تتغير كل عام لاحتياجاتنا الجديدة
حتّى لفتت انتباهنا في أحد الأيّام، - ربما للونها الغريب،
ربما لطرازها القديم. فوق أزرارها
بقيت ثلاث دوائر مرسومة بالتساوي
حائط الإعدام بأربعة ثقوب، وشعورنا بالذنب يطوّقنا.

إدراك

رفع يده كأنه أراد أن يقطف من مكان عال
وردة، عنقود عنب، نجما،
وتوقفت حركته في المنتصف، كأنها من انقباض ٍ أوجُبن.
ثم وضع يده على جبهته وتأمل
تلك الإشارات المتواضعة نصف الكاملة،
ذلك النبل المتوقع
الكلمات التي لا تَشرح وتبقي نفسها متساءلة
يبتسم بتردد في إحدى مفارق الطرق
كالمتسولات (هؤلاء اللاتي من عِرق وفعل نبيل)،

اليوم متسولات، حقيرات، يقبلن العطف والرحمة بلا تردد،
يستجدينَ عطف الآخرين بأسف رقيق، كأن هؤلاء الآخرين
موجودون، ولديهم ما يستطيعون أن يعطوه.

قصة غير مهمة

عندما كانت صغيرة، ثقبوا أذنيها، كي ترتدي قرطا
كبرت، تزوجت، ربت أطفالاً؛ ولم ترتد قرطا. وفي ساعة غروب،
قال ابنها الأكبر: «سأرحل يا أُمّي،
وسترين- سآتي لك بقرط
كبير، ذهبي، وطويل، سيلامس كتفيك». وهي تبسّمتْ مبتعدة.
«يكفيني أن تعود إليّ يا ولدي»، قالت له.

مرت سنون؛ تزوج الابن؛ ربى أولاداً. ولم يُحضر أقراطاً،
شاخت الأم، تحدب ظهرها؛ كتفاها كانتا تلامسانِ أذنيها.
فكرت أن ترسل له مقاسات
حتى لا تكون الأقراط التي سيرسلها طويلة. إلا أن فجأة في أحد الأيام
ثقبا أذنيها تقطعا حتى أسفل.
حينها أدركَتْ أن ابنها قد مات.

شجرة

هذه الشجرة قد نبتت في الجزء العلوي من الحديقة،
عالية، وحيدة، مستقيمة- ربما طولها هذا
كان يشي بفكرة الدخيل السرية. لم تكن تنبت زهوراً ولا تثمر ثمارًا
ظلٌ طويل وحيد فقط كان يقسم الحديقة إلى قسمين
ومقياس غير مطبق للأشجار المحنية المحملة بالثمار
كل مساء، حينما ينطفئ الغروب المجيد

طير برتقالي، غريب يتقوقع في صمت بين أوراقها
كأنه ثمر الشجرة الوحيد- جرس ذهبي صغير
في برج جرس الكنيسة الأخضر الضخم. عندما قطعوا الشجرة، ذلك الطير كان يدور فوقها بصرخات صغيرة، وحشية، راسماً دوائر في السماء، كان يرسم للشمس شكل الشجرة بلا تعب؛ وذلك الجرس الصغير محجوباً يُقرع عالياً. وأعلى بكثير من ارتفاعه.

وحيداً مع عمله

طوال الليل كان يرمح وحيداً على فرسه، غاضباً، يضرب ضلوع الحصان بشدة.
قيل إنهم كانوا ينتظرونه،
كان هناك احتياج شديد. عندما وصل في الفجر
لم يكن أحد في انتظاره، لم يكن أحد. نظر حوله
البيوت مهجورة، مغلقة، نائمة
سمع حصانه يلهث-
الرُّوالُ خرج من فمه، جروح في جوانبه، ظهره مجروح
حضن عنق حصانه وأخذ يبكي.
عيون الحصان، كبيرة، مظلمة، على وشك الموت،
كان لديه برجان، بعيدان، في مكان ما حيث يهطل المطر.

دقات

الملح، الشمس، الماء، تأكل البيوت شيئاً فشيئاً.
يوماً ما، حيث كانت تقف هناك النوافذ والرجال،
تبقى الأحجار المبللة
وتمثال وجهه في التراب. الأبواب، وحيدة،
تسافر في البحر، متصلبة، غير معتادة، ولا بارعة،
أحياناً، عند الغروب، تراها فوق الماء تتلألأ منبطحة، مغلقة للأبد.
الصيادون

لا ينظرون إليها. يجلسون باكراً في بيوتهم أمام المصباح
يسمعون الأسماك تنزلق في شروخ أجسادها،
يسمعون البحر يضربها بألف ذراع (كل الأشياء مجهولة)
ثم بعد ذلك يسقطون للنوم والكائنات البحرية مشبوكة في شعورها.
فجأة، يسمعون دقات فوق هذه الأبواب ويستيقظون.

مسرح قديم

في الظهر، عندما كان في منتصف المسرح القديم،
إنه يوناني شاب، بريء، رغم ذلك جميل كهؤلاء،
أطلق صرخة (لم تكن صرخة إعجاب أو تشجيع؛
فلم يشعر بشيء من هذا على الإطلاق، وإن شعر به
فلن يعبر عنه بالتأكيد)، صرخة عادية
ربما من سعادة شبابه المتوحشة
أو ليجرب الصوت في المكان. في المقابل،
فوق الجبال الرأسية، اصطدم الصدى–
الصدى اليوناني لا يقلد ولا يتكرر
لكن يستمر في ارتفاع شاهق
صيحة الملحمة الخالدة.

شهادات (الحلقة الاولى) تحتوي على قصائد مكتوبة من 1957-1963.

شهادات

الحلقة الثانية

تقريباً

يمسك بيده أشياءً لا علاقة لها ببعض- حجرة،
قطعة قرميد مكسورة، عودينِ مُطفأيْنِ من الكبريت،
المسمار الصدئ على الحائط المقابل،
ورقة الشـجر التي دخلت من النافذة، قطرات الماء التي تسـقط من النباتات المروية،
القش الذي جاء مع الهواء بالأمس واشـتبك في شـعره، - يأخذ كل هذا هناك في فنائه
حيث يبني شجرة تقريباً.
في هذا الـ «تقريباً» يسكن الشعر. هل تراه؟

المتمردة

ليست زرقاء، - تقول- السماء حمراء
عليها نقاط صفراء. هكذا تقول. ترفع يدها
تأخذ الطبق الأحمر من على الرف، تقطع تفاحة،
ترمي الطبق والتفاحة من النافذة،
تقف أمام المرآة وتمشط شعرها،
بحذاء أحمر، شعر أخضر، صدر أزرق،
وسكين بين أسنانها مثل اللجام،
جاهزة أن تقفز إلى شبيهتها بحصانها الأحمر
الذي برَقَت غُرّتهُ في رعشة ظهرت في عمق المرآة.

مساء

سَقَى الورود، سمع الماء يَقطر من الشرفة
تتبلل العوارض الخشبية وتبلى. بعد غد،
عندما تسقط الشرفة، ستبقى هي في الهواء،
هادئة، جميلة، تحمل في يدها
أصيصينِ كبيريْنِ من الأقحوان وابتسامتها.

بشكل غير مباشر

إليّ نظر العصفور. توقفت الساعة.
لدي حجرة ملكي بجوار البحر- يقول.
الأسطح في صفي. لهذا
فهى حمراء هكذا، ويحمّرُ لوني؛
لم أرك وأنت تتعرين، فكنت أنظر
على بعد شبر من مطرقتك،
على بُعد شبر فوق شعرك؛ هناك
كانت السماء فقط؛ - لم أرها.

النشوة الأولى

جبال نبيلة، شوارع مشجرة، كاليذرومون، أُويتي، أُوثريس،
صخور متحكمة، أشجار كروم، سنابل وأشجار زيتون.
هنا قد أنشأوا محجراً، انسحب البحر؛
عطر قوي لظلال حرقتها الشمس
والراتينج يسقط في كتل.
ليل كبير يهبط. هناك على الشاطئ، أخيليوس،

لم يكن حتى في سن المراهقة، يربط حذاءه،
شعر بهذه النشوة الرائعة، بينما كان يتحسس بكفه
كعب قدمه. سرح قليلاً وأخذ ينظر إلى انعكاس الضوء على الماء.
ثم دخل إلى الحداد وأمر أن يصنعوا له درعاً، -
كان يعرف بالضبط، الشكل، النوع، المقاس.

العرافة

شَعرُها أشعثُ دومًا، كالنّائحة
فوق أموات الغرباء المقبورين.. أو فوق ميّتِها.
«هدية سيئة- تقول- أن تحسن التنبؤ.»
تلك الشبكة المظلمة، شبكة المرحاض، أمام عينها
مثل شعرها ذاته، - ليست شبكة الموت فقط،
لكن، أسوأ، شبكة التضليل،
الاشمئزاز أو المستحيل. وتأتي مرة أخرى
ساعات الهواء الجميلة، الرقيقة، -
طفل يضع قدميه في ذلك الحوض الكبير،
يلعب بالصابون،
وهي صنعت بظفريها فتحتين على شعرها المتهدل،
وكأنها تلعب على قيثارة، من داخل فتحتين تلاحظ بعمق،
تحسن التنبؤ وتحسن الابتسام.

شهرواضح

بهجة يناير؛ باردة؛ شفافية خالصة
رحلت السحب تماماً. في غابات التلال
ما زالت مظلمة من الرطوبة الكثيفة، يرتفع

دخان الرعاة الأزرق. وصفوف الجبال، في الخلف
زرقاء تماماً- الأزرق السامي. لون آخر،
- يقول- في هذا المكان العظيم الجليّ، ليس له مكان
إلا ذلك اللون الأحمر الضئيل للطير الذي ذبحوه
فوق حجر الأساس. هكذا قال. وكان يعني بهذا
حركة الأصيص، ينزع الغطاء من على كتف عارية، جرح، ثمة جرح أو ثمة حلم.

شجرة الكستناء

هناك على الذروة، مثل الغد، قتلوا الأربعين.
عشرون عاماً مضت. لم يقل أحد أسماءهم.
تفهم حياتنا، كل سنة،
في يوم كهذا،
يجدون تحت أشجار الحور
قرميدة مكسورة، فحمتين مُطفأتيْن، قليلاً من البخور،
قفصا من العنب، شمع النحل عليه حرق أسود. لم يسعفه الوقت كي يشعله.
أطفأه الهواء.
لهذا، في الليل، يجلسنَ العجائز أمام الأبواب مثل أيقونات قديمة،
لهذا، كبرت أعين أولادنا بهذه السرعة،
وكلابنا تتظاهر أنها تنظر في اتجاه آخر عندما يمر الخفر.

حضورثان

يصلون، في صف طويل، في الليل، القتلى؛
ينظرون حولهم؛ يجربون المفاتيح؛ يفتحون الباب؛
يدخلون البيت؛ يبحثون في الظلام؛ لا يجدون شيئاً.
وأنت تحت الفراش. هذا الفراش
الذي كنت تضطجع فوقه، الآن

ترفعه فوق ظهرك. وخلف الستارة
يقف ظلك مصلوباً في النافذة.
الموتى ما عادوا يعرفون على الإطلاق لماذا يموتون.

شهادات (الحلقة الثانية) كُتبت في أثينا، ساموس، ذيمينيو كورنثياس، في سيكيونا، في أجيوس قسطنطينوس لوكريذوس ستيليذا من يونيو 1964 حتى نوفمبر 1965

شكل الغياب

مقتطفات

-I-

كل شيء رحل، يضرب بجذوره هنا، في نفس المكان، حزينا، صامتا
كمزهرية البيت الكبيرة، التي بيعت في ساعات الضيق في وقت مضى، وفي ركن الحجرة،
هناك في نفس مكان المزهرية،
يبقى فراغ كثيف له نفس شكل المزهرية، ثابتا لا يتحرك، يلمع شفافاً في أشعة
الشمس، عندما يفتحون النوافذ من حين لآخر،
وفي داخل المزهرية نفسها، التي غيرت كينونتها
بكينونة أخرى مثيلة مساوية من الكريستال الفارغ
تبقى أيضاً في نفس التجويف، وصوت أليم فقط.

خلف المزهرية يظهر لون الجدار
أكثر إظلاماً، أكثر عمقاً، حالما أكثر
وكأن ظل المزهرية بقي مرسوماً على تابوت.

وأحياناً في الليل، في ساعة صمت
أو في النهار، وسط الأحاديث،
تسمع بداخلك صوتاً حاداً، عاصفا ومريرا
كأنّ إصبعًا خفيّةً قد نقرتْ
على هذا الغائب، الحساس، ذلك الإناء الكريستالي.

-II-

الأطفال الميتون لا يرحلون أبداً من البيوت،
يدورون دائماً هناك، يمسكون بفساتين أمهاتهم

في الوقت الذي يجهزن فيه الطعام ويسمعن صوت الماء يغلي
وكأنهم يدرسون البخار والزمن. دائماً هناك-

ويأخذ البيت ضيقاً واتساعاً آخر
مثل مطر هادئ
في حقول مهجورة، في منتصف الصيف.
الأطفال الميتون لا يرحلون. يبقون في البيت
ولديهم تفضيل فريد للعب في الممر المغلق
وكل يوم يكبرون في قلوبنا، يكبرون على قدر الألم تحت ضلوعنا
الألم الذي لا يُعدُّ من الحرمان، ولكن من النمو. وإذا كانت النساء يصدرن صرخة أثناء نومهن،
فهو من ألم البطن المتكرر.

-III-

ذات مرة، في مساء ربيعي، قام ولد ورحل دون سبب
دون أن يتشاجر مع أحد؛ قام ببطء، دون إنذار،
حيث كان يجلس هناك هادئاً على التراب
وشكل رسم هيئته التي مازالت تتبخر في الهواء الندي
وقد رسمت طفلاً آخر من قيظ أبيض. حينها تجمعت من كل الأنحاء، الخراف البيضاء لتتدفأ، كأنها حول نار بيضاء وعلى مقربة
حصان طويل أبيض، و وحيد
يظهر تحت بريق النجوم
يبكي بدموع كبيرة مضيئة، رافعًا رأسه بانتصاب.

-V-

في ليالي الصيف، في الوقت الذي تُغلق فيه الحدائق العامة

والبنات الصغيرات يعدن إلى البيت مع مربياتهن
والبنات الأصغر منهن في العربات نائمات،
خلفهن يسرنَ في صمت، غير مرئيات، البنات الميّتات،
باهتات، بشعر مرمري، يحملن في أيديهن المربوطة
باقات الورود الجافة، مثل القصائد الصغيرة
التي لم يسعفهن الوقت كي يحفظنها عن ظهر قلب.

يقفن بعيداً وينظرن إلى الشرائط الملونة والألعاب المعلقة في الأكشاك،
في الفترينة المتواضعة لدكان الخرداوات القريب
تاركات خلف كل خطواتهن فراغًا داخليًّا يملؤه في الحال
ظل وردي وبنفسجي. يصلن حتى خارج بيوتهن
ينظرن إلى نافذة حجرة الأطفال المغلقة
يرفعن أيديهن قليلاً، لكنهن لا يطرقن الباب. من الداخل

يسمع الآباء صوت طرق الباب؛ يتركون الفوطة تسقط على المنضدة كما تسقط ورقة
شجر كبيرة وجافة فوق الزمن. ويفتحون الباب

لا شيء. لا يرون إلا
النجوم المرمرية، السماء الفارغة، العالم الخارجي
ويغلقون الباب ثانية كأنهم يدخلون داخل أولادهم.

-IX-

يعيش الغياب إذن، معنا أو وحيداً، وحياته،
تلوح لنا بشكل خافت، يصمت، يبلى، يشيب
كأنه وجود حقيقي، بابتسامة صامتة تُجعد الفم والعيون شيئاً فشيئاً،
محسوب بتوقيتنا،

تضيع ألوانه، يكبر ظله-
يعيش ويعجز معنا ويضيع معنا، ويبقى في كل شيء نتركه.

ولا بد أن نحترس في كل حركة وفكرة وكلمة
لأن كل ما يحدث لهذا الغائب،
الآن، نكون نحن فقط، المسؤولين.

-XI-

بنت صغيرة، حل عليها الليل فجأة في الحزن، دون أن تشعر.
ماذا كانت الحياة إذن؟ وهذا الألم؟ وتلك الصرخة؟
أكان لها كل هذا؟ وكان ينتظر خلف ابتسامتها خائفًا ومستعدًّا؟
وهذه الوجوه المحبوبة التي كانت تنحني فوقها، أهي بعيدة أيضاً؟
فتحت إذن باب إحدى النجوم، دخلت في الحصون كي لا نسمعها،
لكن في كل الليالي كان ذلك الباب مفتوحاً
يتخبط من هواء نحيبه الصغير. ولم يستطع
أن يقوم ليغلقه. ولم نستطع (إنّه بعيد)
أن نغلقه.

-XXXII-

لا شيء يعرفنا. ولكنك غير مرئي تصر
أن تعرفنا بالحياة- لنتحالف. لو أن
أعيننا تلاقت، فلن نرفض
أن نرى، أن نتكلم، أن نتحرك. هذا الشاب
ربما نحبه يوماً، هؤلاء البنات
ربما سيكُنَّ صديقاتك. في تلك المدرسة
ستذهب بعد غد. وهكذا في الليل

سنرحل غرباء، أمام صفين من المنازل المهجورة،
تحت مصابيح بلا ضوء كأيادٍ مغلقة،
أصيص مرويّ يتساقط منه الماء من شرفة قديمة
يتعرف الباب ثانية على صوتنا بثقة
نصفَ مفتوح، ساهرًا لنا، وهذا المقعد الخشبي
مهجور في الخلاء، ينتظر منا أن نجلس، وهو يعلم أن في مكان ما، أمام نافذة وحيدة،
مُعلّقًا أعلى الليل،
أنت، خلف الستارة الدانتيل،
تنتظر أن نبتسم لك.

أثينا، فبراير- مارس 1958

عندما يأتي الغريب

مقتطفات

في الساعة التي كنا فيها في الحجرة المغلقة مع المرايا المغطاة،
جاء، بدون دعوة، غريب- ماذا كان يطلب؟
نحن لم نرد أن نرى، أو نسمع، أو نتعرف.
ملبسه الرحيم- لم نكن نطلب رحمة نحن-
حذاؤه المهترئ يطلب الود، - لم يكن لدينا شيء لنقدمه-
غريب، بلا دعوة، لا يشارك في حزننا،
جاء ليتعاطف مع حالنا، من خلف لحيته المتربة
كانت نجوم الابتسامة ترتعش
بهذه النرجسية المتواضعة، مع موافقة محاولته العتيقة
مثل جوانب البيوت القديمة المزركشة مازجاً حكمة مرتبة مع ورود حريرية كثيرة غير متجانسة
ورود، قرنفل، فل (لا بنفسج)
الجوانب الصفراء حولها شرائط من كل اتجاه
ماذا أراد؟
وإذا كان لدينا شيء لا نريد أن نعطيه. ليتركونا أخيرًا في حزننا الرخيم المقدس، في موتنا، لفخرنا حتى لا نجبن أمام ظلال الأشياء؛ ليتركونا ننتهِ من وضع الركوع، نسمع تعازي آكل الخشب في أركان الصمت
قلنا، ليرحل،
غريب، متطفل، ماكر، -
كان يدعي الفقر حتى نصدق ثراءنا،
كي لا يهيننا، ليرى شيئاً بيتمه، بضعفه (كان يظهر لنا أضلاعه العارية، وصدره العريض)
ليسلب منا ابتسامة أخرى، شهادة جديدة للحياة؛

...

خارج النافذة؛ كان الجدار المقابل مضيئاً
ناصع البياض والشمس مائلة عليه؛ كان يشد انتباه العين والسمع؛
لم نكن نسمع نفس البكاء. ذلك الذي ضاع ويضيع منا
كان يقول،
والذي يأتي، وبالطبع الذي نصنع،
هو لنا، ونستطيع أن نعطيه، - هكذا كان يقول؛ -
متطفل، غريب، غير مقبول،
وكان كلامه كصف من الجرات على نافذة بيت في جزيرة
جرات مبتلة، قوية، طيبة،
يُذكّر بالماء الرطب على شفاه فتية
ولنرفض الماء ولنرفض عطشنا - كانت أصص الريحان وأزهار الربيع والقرنفل تذكرنا بحلول الماء وعودة الحيوانات من الرعي
والزمن غضًّا وممتدًّا، لا تقطعه سوى أجراس الغنم
معادن مختلفة، أصوات مختلفة، مسافة مختلفة، تؤكد الامتداد في كل اتجاه في الأمام وفي الخلف، من هذا الجانب إلى الجانب الآخر، فوق وتحت.

اللحظة لم تعد مجرد انغلاق بعد
بل مركز مساحة ممتدة الأطراف لا نهائية
بعيداً عن الجبال والأفق، خلف الأمس والغد، بعيداً عن الزمن، داخل كل الزمن
زمن الميت والذي لم يولد،
فوق دخان المدخنة الذي كانت تعطر بالتواضع والصبر، فوق المصابيح التي كانت تضيء قبل النجوم،
فوق النجوم التي كانت تضيء قبل أن ننتبه ونعرف-
سعيدة النجوم، جميلة، مبشرة

بدون أي إحساس بالموت، بدون أي موت على الإطلاق.

حيث كنا أطفالاً، كان يقول،

سنعيش متحررين من ضيق سنواتنا الأولى،

من حدة الضيق، من قلة الصبر على النمو،

من سوء فهم الكبار.

الأطفال يبكون وحيدين

بين شجيرات العشب ولا أحد يأخذهم بجدية

لأن وجوههم كانت مطلية بالتوت

وكان حزنهم أحمر ومُضحكًا.

نحفظهم الآن في ظل ضوء عريض، مع الحقل الممتد

مع حطب الورد، مع الكروم.

مع الكتان وأرجل الفلاحين ملونة حتى الركب من عصير العنب،

حين كان الرجال بملابس ممزقة

يشتمون بلا غضب ولا سبب- شتائم غليظة

شتائم خشنة،

كُنَّ البنات يخشينَ من رجولتهم الخشنة ومن رغبتهم خلف أوراق العنب العريضة

كانت آذان النساء تَحمّر مثل أفق الصباح

كان يقول، يكفي أن نفك حصار اللحظة- كيف؟

قل لنا. لم يجب.

يكفي أن نتذكر، - حين كنا نقطع البوص من على التلال ونصنع سهاماً

نلقي بها أعلى بيوت الأثرياء العالية لنجرب قوة أذرعنا، قوة الخشب، قوة الحديد وقوة الريح،

نضاعف قوة أيدينا،

نتعلم التحكم ليس بالقوة فقط، ولكن بالرشاقة.

...

كل الأشياء لنا، تصير لنا أكثر بذاكرتنا، - كان الغريب يقول-
بسعادة أكثر
أشجار الزيتون السرية على التلال الصغيرة في المساء الرسولي
أكواخ الفلاحين المصنوعة من البوص مائلة على الأشجار ولا تناديها سوى
عيون الطيور الصغيرة،
حزم البوص التي كنا نلينها في ماء القناة أسابيع كي نصنع السلال،
التين الأسود المسكر، مثلج من برودة الصباح، عندما كنا نترك أحذيتنا الصيفية أمام
جذر شجرة التين وكنا نتسلق السماء،
ليس على الدرج، ولا على الأغصان. ولكن على خطوات الهواء كل مساء- أتذكر
النجم الكبير مثل عين الإمبراطور يراقب نوم الرعاة والصيادين،
وأقدام النساء، حين يخلعن جواربهن،
كانت عريضة ومضيئة- كانت تضيء أسطح المنازل الكبيرة
حيث يُجفف الزبيب الأسود،
كانت تضيء المقاعد والأبواب؛ قبل أن تنام النساء كن يمشطن شعورهن بحركات
طقسية
وكأنهن يبللن أصابعهن في أنهار ضحلة مخيفة،
وكأنهن يتحدثن مع عشيق آخر، بينما الرجال قد ناموا.
نَفَسَهم الخشن كان يصنع لشواربهم حفيفا كحفيف الأوراق الجافة في الحقل.
النساء، كبيرات، سريّات، وحيدات،
تقريباً مستقلات ومسيطرات
أكملن حديثا خفيّا بينما كن يمشطن شعورهن،
وكأنهن يعقدن تحالفاً سرياً مع طبقات الليل العليا
وافقن على شروط النجوم بحركة طفيفة من الرأس
تحالفن مع قمم الأشجار.
مع الينابيع الصامتة، مع جذور الماء المعقدة-

والضفادع في اتفاق مع الضفاف الخضراء
ليجعلوا إكليل الليل يفيض
في تبادل ثقيل ليغطوا صمت النساء
ليغطوا نظراتهن، تأثيرهن، وحدتهن

بومة حجرية على سطح المنزل كانت تنظر إليهن بضوءيْها الدائريّين،
تظاهرت أنها لا تراهن، وهن كذلك
ولكن تحت عبوديتهن الأبدية، داخل نفقين تحت الأرض
نقلت إليهن ضوءها الحديدي حتى أوردتهن.

نساء انطوائيات، متسلطات، متحكمات، عفيفات،
صديقات الليل، صديقات النبات الأخرس،
- كن قد قابلن الساحرات في كهوف عميقة ممتلئة بالخفافيش العمياء، وعندما يلقين بالملح في الطعام، لم تدرك أبداً ماذا يعددنَ
الإناء، الحَلّة، الطاسة
كانت ترتدي قناعاً من الدخان، لم يُشْوَ أبداً بأسرار المرأة؛
لم يُشوَ
بأعشابهن السرية، خلطة طبخهن، وحدتهن عندما كن يقطعن البقدونس،
وعندما يقمن بكيّ الملابس في الحجرة في وقت متأخر، ويلحق بهن القمر من النافذة المفتوحة
كن يحرصن ألا يدسن على مربع ضوء القمر على أرض الغرفة
في الوقت الذي كانت فيه الملابس الداخلية المكوية، كومة على المنضدة، كصفحات كتاب عشوائية كن يقرأنها
ويعرفن كل أسرار أجسادنا.
ونحن لا نعرف
تعويذتهن حين يلمّعن في الفناء الأواني النحاسية بالتراب
وتبرق الأواني النحاسية في الشمس كأجساد سماوية أرضية،

وتبرق
النساء من نصر قيادتهن الساحق
أمام كتائب الأشياء الخرساء المبهمة

لا نعرف
حرية صمتهن العنيد عندما يرفضن الغضب
فخرهن بينما يحني التواضع جفونهن،
دفاعاتهن المتعددة، مثل قشور الثوم الطازج الكثيرة المحكمة،
هذه الرداءات الرقيقة. ماذا تعني؟ عَمَّ تصمت؟
أيّة فضيلة مسلحة يحمين خلف ابتسامتهن الشفافة في مساء الخريف الدامي
عندما تنكشف خطوات العذراء من صوت قرقعة القش وأوراق الشجر الجافة
ومن البصمات المضيئة التي تترك على امتداد الطريق
آثار أقدام الحمير المتواضعة، الثيران، الأغنام؟ وهن لديهن بقعة دم دائرية على فساتينهن
وأخرى خافتة على أفواههن
ويدعين أنها جرح من إبرة في لحظة سهو أثناء الحياكة. أي هجوم كانت تنظم كائنات الرب الصامتة في حبهن الهادئ؟
لا نعرف بعد.

النساء
سرقن البذرة من الرجال وزرعنها وحدهن في الحقل،
كانت لديهن ملكيتهن الخاصة، سليمة كاملة؛ يتحسسن في سكر الإبداع بطونهن الدائرية
تحت أشجار البرتقال في الربيع وكأنهن يحملن خلف مراييلهن البيضاء
كرة أرضية صغيرة.
لم تكن النساء تتكلم-
فخورات، بانتمائهن إلى المستقبل، كن يسرن
حين يتوقف الرجال بين الحين والآخر أمام الفأس

أو عندما كانوا يحملون الحفار مثل حاجب القمر المتعب، في الماء غير الواضح.

وحيدات في البستان مع أزهار عباد الشمس الطويلة ينتظرن الولادة بثقة
وعباد الشمس كان يضيء لهن أعناقهن ووجوههن بدوائر مضيئة
وأول حبات الغسق على جباههن العريضة
كانت العلامات السرية للحياة الخالدة
مثل جذور النبات
وجذور الأشجار التي تعمل دون أن نسمعها، ودون أن نراها.

هي دائماً ولادة، - قال الغريب، -
والموت نيّة، ليس اقتلاعًا. لا شيء يضيع
كذلك الرجال
عندما يشعرون بالخوف من قرقعة أصابعهم
أو من صرخة الشمس التي تحشر في عظامهم،
يمسكون النساء كما يمسكون أغصانا أو جذور شجرة فوق الهاوية
ويصرخون هناك عالياً وكأنهم يحاربون أو يعبثون مع الفوضى؛

النساء يعلمن ويغلقن أعينهن؛
لا يرفضن؛
ينتظرنَ
وعندما ينام الرجال، يسهرن،
فهم أطفال كأطفالهن،
سيكبرون مثلهم
وسيطعمْنَهم بأثدائهنّ وبصمتهن، وبرفضهن أحياناً
وسيروينهم ثانية بعطش التوحّد؛ وموجة مظلمة هائلة
ستهذب هياجها تحت الضلوع الرجولية، مستعدة
أن تضرب الحواجز مباشرة، أن تهدم الحواجز

حتى تنطفئ في الرمال اليومية، في الحجارة الصغيرة، في التعب،
في النسيان،
دون أن تجد صخرة لتضربها، لتنطلق عالياً في مجد مثل شلال معاكس لحدة مهدومة.
والنساء ثانية،
كأنهن لم يرينَ أمواجهم الدانية، سيتركنهم ينامون،
سينشغلن بأعمال المنزل التي تُبقي أعينهنّ مكسورة،
سيركعن في المساء أمام حوض العجين وكأنهن لم ينتبهن إلى جمجمة الرجل التي سقطت على الأرض؛
سيجمعنها بهدوء
وكأنها أصيص فخاري؛ سيزرعن فيها وروداً فيما بعد
وروداً صغيرة ميّتة، وروداً زرقاءَ ذوات الخمس ورقات
سيرتقن بجوار المصباح جواربهم المثقوبة
لأن الرجال، يسيرون كثيراً، يتعبون كثيراً؛ يخافون كثيراً،
يحاربون كثيراً
وهم رجال أشداء بشواربهم الملفوفة، وشعرهم البري،
وأدواتهم المتوحشة
وهم أطفال لا يعرفون قوتهم،
يعرفون فقط العراك والعربدة، لأنهم
لم يتعلموا الصبر الكامل شهوراً وشهوراً، والسنة القادمة
هؤلاء لا يحملون الحياة في أحشائهم، لا يطعمونها من عشائهم،
لا يسمعون خطوات القادم داخلهم،
ليسوا هم، وإنما البذرة التي تُلقَى في الأرض،
ثم التعب والنوم.

والنوم عريض وعميق بلا أحلام (فالأحلام تحملها النساء)
أحياناً
يسمع الرجال نومهم في نومهم، يسمعون خطواتهم أثناء النوم

وكأن التماثيل الرائعة قامت في موكب
وكأن الحجارة تكلمت، الأنهار، الغابات
وكأن النوم المعروف قد احتوى الأرض والهواء، الأرض والنساء،
الأولاد، القرون.
ذلك النوم
يصبح معرفة بامتداد مملكتنا،
سلماً مُلقى على المدى،
الاستيقاظ العظيم لكل قوتنا في النور كله

حينها يلتفت الرجال ويبتسمون ويحتملون
بوضع الهدوء المحقق
وكأنهم قد قطعوا النهر بأيديهم فوق الركبة بقليل-
...

وهذا مثل مَخرج من الزمن، مثل تثبيت الزمن، مثل عزله أو إلغائه
عن سرعة الفكرة والذاكرة والحلم
ومن صبر الفعل الإنساني
هو التوحد، قال،
الرجل والمرأة، الصمت والصوت، الحياة والشعر،
وصفير السكون من ثقوب أبواب البيوت لا يحدث دون علمنا
ونسيم الليل في ثقوب النجوم ليس شعاراً
لشخص آخر ليس هو أنت ويقصدك أنت.

الأبواب في الأعلى والأسفل تبقى مفتوحة:
يهب الهواء بشجاعة في كل الأرجاء،
ينظف الجو، لا قيمة للمفاتيح وحدها
والحقل العتيق الغليظ العظام

ترتعش أوصاله في منتصف الليل من دندنة زيز الحصاد،
من صرخات الضفادع، من نشر المجرة
والقمر الذي يصعد الأفق بطقسية
إنه مثل دلو جديد مبلل يرفع الماء الأخرس من العالم السفلي.

حينها عظام اليونانيين، البنادقة، الأجانب، الأتراك، اليونانيين،
مدفونة تحت جبال وسنين وتراب، تستيقظ
خارج دروعهم الصدئة، وملابسهم البالية-
أجساد عارية، حساسة، مستقيمة،
ثابتة وجميلة، في أول تعرف لها مع الأحاسيس،
ليست عدوانية تجاه بعضها البعض، ولا هي خصوم،
بسلاحهم الوحيد الرغبة العتيقة دمنا، ذاكرتنا. أيدي الرجال ازدادت عرضاً
إصبع الإبهام تُصبحُ جسرًا فوق القرون،
الجبال تصبح أثداء امرأة خصبة، ناعمة ومتغطرسة، متورمة من الحليب.
والأدوات الإنسانية المقدسة
معلقة على مسامير البيت أو في المصنع
هادئة، جادة، متسامحة،
وكأن فراقاً لم يكن ولا انقطاع ولا غياب ولا حرمان.
والمنشار الحاد ضيق طويل له شكل الألف عام
المطرقة كتمثال قبضة رجل
المنجل مثل ذراع الحب المفتوح؛ والمسامير المعدنية
مثل الأسنان العنيدة التي تأكل المسافة والمجهول؛
وحتى المسامير الخشبية التي تثبت الأحذية
هى مثل النجوم الصغيرة على دعامة منخفضة.
...

كلها لنا، -قال الغريب- كل ما في هذا العالم-

وأمواتنا نحملهم داخلنا
دون أن يضيق المكان، دون أن، يثقل-
نستمر في حياتهم عبر الشوارع الضيقة والجذور المهجورة،
حياتهم هم، حياتنا قائمة معتدلة في الشمس.
وقتها بالضبط يحدث
سكون كبير، شفافية هائلة
تظهر بعيداً عن الجزر الزرقاء والجزر الصغيرة التي لم تظهر من قبل
ويُسمَع بوضوح كورس البنات الصغيرات من الضفة الأخرى
البنات الصغيرات اللاتي رحلن مبكراً، تاركات أول حديث لهُنَّ غير مكتمل مع زهرة الربيع.

إذن، لقد قلت لكم، أن الموت لا وجود له، - انتهى الغريب
في النهار، ببساطة، حتى أننا ابتسمنا بلا تردد؛
لم نخف من المرايا المغطاة. مثلث شمس على الجدار المقابل
زاد طولاً وأضاء الغرفة الشمالية
من انعكاس أبديّ.
عطر ثمار الجبل التي تنزّل عند البقالين
سمعنا الطرق عند الحداد المجاور وعربات الترام التي انعطفت بجوار الجزارين
كان لدينا إحساس متوازن ليوم حصاد سلميّ ورائع
حبات الطماطم الكبيرة الحلوة، مرتّبة بعناية ونظام في أقفاص مائلة جاءت من مناطق زراعية مباشرة إلى أسواق المدن والموانئ الضوضائية.
سيارات ضخمة كانت تجري في الشوارع المشمسة كالأسرار،
جبال أرجوانية.

قمنا

نزعنا غطاء المرايا، نظرنا،
كنا شباباً قبل ألف عام، شباب
بعد ألف عام، لماذا الزمن والشمس

لهما نفس العمر- عمرنا؛
وهذا الضوء لم يكن أبداً انعكاساً
لكنه ضوؤنا مصفى من الموت كله.

وهذا الغريب، كان أكثر من أهلنا. سخنت له النساء ماءً ليغتسل.
خرج الرجال ليتبضعوا من أجل العشاء. أصغر البنات أحضرت فوطاً نظيفة، صابونة
صغيرة برائحة الورد والمسك، قدح من الماء الساخن، فرشاة الحلاقة
ووضعتها أمام المرآة العارية.
البخار من الماء الساخن غيّمَ المرآة شيئاً فشيئاً
وكأنه يغطيه ثانيةً
ووجه الغريب الذي أخذ يتزين
من خلال رُغى الصابون أخذ يتلألأ في الكريستال المنتصب
طيبا، شبابيا، دمثا مثل قمر الصباح.

أثنيا، فبراير 1958

البيت الميت

قصة أصلية خيالية

لأسرة يونانية عريقة.

(من كل العائلة بقيَ فقط أختان. واحدة منهما جنّت.

تخيلت أن بيتهما نُقل إليّ طيبة القديمة، أو ربما، أرغوس- خلطت بين الأسطورة، وحياتها شديدة الخصوصية، الماضي بالحاضر، لكن ليس المستقبل. هذا فقط.

فيما بعد شُفيت. وكأن هذه التي حدثتني بالليل عندما أحضرت لهم خطاباً من الخارج رسالة من عمهم- شقيق أبيهم. الأخرى لم تظهر قط.

كان يُسمع من حينٍ لآخرَ صوتُ خطوات هادئة بحذاء منزلي في الحجرة المجاورة، بينما كانت تتحدث الأخت الكبرى.):

الآن تعود الأختان الصغيرتان وحيدتينِ في هذا البيت الشاسع- صغيرتان، بحكم الترتيب- فقد شخنا منذ سنين نحن أيضاً، نحن أصغر العائلة. و وحيدتان، بالإضافة إلى أن أحدًا غيرنا لم يبقَ.

لا ندري

كيف سنرتب الأمور في هذا البيت، وكيف سنرتاح فيه؛ أن نبيعه تبدو لنا فكرة سيئة- عشنا حياتنا كلها داخله-

وهنا مكان أمواتنا- لا يمكن أن تبيعهم-

ثم من سيأخذ الأموات؟ أ نحملهم مرة أخرى من بيت إلى آخر، من حي إلى آخر، -

إن هذا مرهق وخطير؛ - فقد استراحوا هنا

أحدهم في ظل الستارة، وآخر تحت المنضدة،

أحدهم تحت خزانة الملابس أو خلف زجاج المكتبة،

أحدهم داخل زجاج المصباح- متواضع ودمث كما كان دوما،

آخر يبتسم في خجل خلف الظلال الرفيعة المتقابلة

التي ترسمها إبر تطريز أختي على منتصف الحائط.

وضعنا قطع الأثاث الكبيرة في الطابق السفلي وأغلقنا عليها،
نفس الشيء فعلناه مع السجاد الثقيل والمنسوجات المخملية والحريرية،
مفارش الموائد، المناشف المشغولة، الكريستال، أطقم الأطباق، الصواني الفضية الكبيرة التي كانت تعكس حينئذ وجه الكرم العريض كله
الأغطية واللُّحُف الحريرية والملابس البيضاء
الملابس الصوفية، الحقائب، السترات،
حاجاتنا وحاجات الأموات- كلها مختلطة وغير مرئية-
قفازات وشرائط الدانتيل وريش النعام من قبعات الأم،
البيانو، القيثارات، المزامير، الطبول
أحصنة خشبية ودمى من سنوات الطفولة،
بِدَلُ الأب الرسمية وأول بنطال طويل لأخي الأكبر،
علب عاجية بها أولى خصلات شعر شقيقتي الصغرى الأصفر، السكين المطليّ بالذهب،
بِدَلُ الفروسية وحقائب وعباءات- كلها فوق بعضها، بدون نافثالين أو عطر من نباتات الخزامى في أكياس كتانية.

أغلقنا أبواب الحجرات بالمسامير. تركنا فقط
هاتين الحجرتين الغربيتين في الطابق العلوي،
الممر وبيت الحارس طبعا
لو احتاج أن يتمشّى ليلاً في الحديقة
أو أن يبتاع شيئاً من الجوار.

ولا يمكن القول بأنا هكذا قد هدأنا. تخلصنا حتماً
من حركات غير ضرورية، مشاوير حمقاء، جهد غير مجد،
من أجل نظام غير محقق، تنظيم غير مطبق.
رغم ذلك

البيت، هكذا عار ومغلق، اكتسب رنيناً هائلاً وحادا مع كل مرة يمر فيها فأر، صرصار، أو خفاش.

مع كل خيال في عمق المرآة، كل صرير
من أسنان آكل الخشب أو من الصدأ،
يستمر هكذا للأبد حتى أدق خلايا الصمت، إلى داخل وريد
الوهم المستحيل. يسمع على مضض
دبيب أرجل العنكبوت في القبو بين الشقوق،
أو نشر الصدأ على أطراف السكاكين والشوك
أو صوت سقوط مفاجئ في الغرفة السفلية
عندما تنسلّ قطعة قماش ذائبة وتسقط
كما لو تهدم مبنى أثري ومحبوب.
وعندما يمر جامع القمامة ذات مرة في الضاحية القريبة،
يسمع صوت جرسه في الأوعية المعدنية والزجاجية،
في برونز الأسرّة الدافئ، في براويز صور الأجداد،
في أجراس زي المهرج الذي ارتداه أخونا الصغير
في ليلة حفل كرنفال تنكري جميلة- عندما عدنا إلى البيت ارتعبنا،
نبحت علينا الكلاب، علق فستاني بالسياج الخشبي،
هرولت كي ألحق بالآخرين؛ التصق القمر بوجهه
بإحكام شديد على وجهي- لم أقدر على المشي
كان الآخرون ينادونني من خلف الأشجار
وكان صوت حبات الخرز الزجاجية يسمع من ثياب المتنكرين
ومن أهداب النجوم الزجاجية هناك بعيداً، فوق بحر النبات العطري المحجوب،
وعندما وصلت النهاية، كانوا ينظرون إليّ مذهولين
لأن وجهي بدا مدهونًا بتراب من ذهب
مثل تلك المصابيح التي كانت فوق المنضدة قديماً

أو مرايا الصالونات الأنيقة بأطرها المنقوشة-

أغلقنا عليها أيضاً في الحجرات السفلية. كنا نستطيع بالطبع،
أن نبقي على شيء من كل هذا لاستعمالنا الشخصي،
أحد المقاعد الهزازة، المريحة، مرآة
كي نمشط شعرنا من وقت لآخر. لكن من كان سيعتني بها؟
على الأقل هكذا،
يمكن أن نسمعها وهي تبلى، بدون أن نراها.
«كل الأشياء تخلت عنا».

وهاتان الحجرتان اللتان تركنا
هما الأكثر برودة، الأكثر عرياً، الأكثر علواً، وربما
كي ننظر للأشياء من أعلى
ومن على بعد، كي نشعر بأننا نراقب قدرنا
ونتغاضى عنه؛ على أيّة حال
عندما يأتي المساء وكل الأشياء تنحني دانية نحو الأرض الدافئة،
البرد هنا حاد كالسيف
يقطع الشوق لأي اتفاق أو أمل
للقاء غير تام؛ وهو صحيّ تقريباً
في كل هذا البرد الواضح غير المحتمل.
مثل مصباحين مطفأين في أكثر الشواطئ عزلة
ليس هناك سوى البرق الذي ينيرها ويطفئها لبرهة،
يمر من خلالها يثبتهما بشفافية في الفراغ،
فراغ هي أيضاً.

لكن، لو صُودفَ وتمشى أحد على التل المقابل مع الأشواك،

في وقت متأخر ساعة أن تغرق الشمس وتبدو كل الأشياء شاحبة، غائمة، بنفسجية،
في الوقت الذي كل الأشياء تبدو ضائعة وكل الأشياء سهلة التحقيق، حينها ذلك الذي يتمشّى على التل يبدو وديعاً ومحبوباً،
ربما يكنُّ لنا شيئاً من الود أيضا؛ - يظهر التل وقتها ساكناً على نفس مستوى ارتفاع شرفتنا،
بالشكل الذي إذا التفت هو نحونا لينظر إلى أشجار السرو
تظن أنه بخطوة واحدة سيعبر حافة النافذة،
سيدخل الحجرة كشخص مألوف قديم، و.. أقول، بالطبع
سيطلب منا فرشاة لينفض التراب عن حذائه
لكنه
بعد قليل يضيع خلف التل
وما زال في مواجهة شرفتنا
وانحناءة التل صامتة كالندم
والغروب المرّ الذي يدنو في الظلال.

وليس الأمر أننا اعتدنا كلية- لكن ماذا عساك أن تفعل؟
- كل الأشياء هجرتنا-
ونحن أيضاً هجرناها- هكذا تحقق
توازن عادل تقريباً، بدون استياء متبادل،
بدون شعور بالذنب، طبعاً، - كيف كان ليحدث؟

بقينا الآن هنا، كما تقطف ورداً في وقت الغسق،
ورداً كثيراً من أجل مزهريات المنضدة وغرف نوم الأموات
وتبقى في يدك بقع صفراء من حبوب اللقاح
وغبار الشارع الذي يدخل من السياج الحديدي ويلطخ السويقات
وقليل من الحشرات منها ما هو بأجنحة ومنها ما هو بغير أجنحة،

وبعض قطرات الندى الدافئة،
وأيضاً بعض العناكب الفضولية الرفيعة
التي تعيش دائما في الورد، وكما ينطفئ الغروب على الزجاج
يداخلك شـعور السـكين الحاد الذي يتشـبع من الدم ومن لبن الورود- شـعور غريب ومركب
بالرعب والجريمة- جمال أعمى، نبيل، قدري وأبدي،
غياب عار،
نعم.
كل الأشياء هجرتنا.

في هذا اليوم الأخير صرخنَ الخادمات وهرولنَ -
صرخة حادة ظلت ثابتة في الممر المظلم
كعظمة سمكة في حلق ضيف مجهول
أو كسيف صدئ في تابوت قتيل طويل،
صرخة- كهذه فقط- وغادرن مهرولات
ووجوههن مغطاة بإحكام بكفوفهن؛ فقط حين وصلن هناك عند طرف السلم الرخامي، خلف البهو المُعتم،
بَدَوْنَ سوداوات، صغيرات ومتملصات
مخادعات، شريرات، برغبة محسوبة وهادفة،
- توقفن لبرهة، كن غريبات كليةً عن صرخاتهنَّ السّابقات،
كشفن عن وجوههن،
فحصن السلالم بحرص حتى لا يسقطن
وبكل ما في أقدامهن من ثقة صعدن السلم درجة تلو الأخرى
السلالم التي كن يعرفنها على طولها، بكل وقفة فيها
كقصيدة كتبت في الصفحة الخلفية من كراس اليوميات،
أو كأغنية من الأغاني التي يغنّيها الجنود بعد المعركة

تعلمها بعض الجنود في طريق عودتهم من الجبهة-

بعض الجنود يبدو عليهم الحسن حتى وهم يكسوهم شيء من الحزن
بأقدامهم وأرجلهم الكبيرة، والبراغيث في ملابسهم،
أروقة مهدمة ونجوم محترقة في أعينهم،
بجفون زرقاء داكنة مرشوقة، كظل قصر عند الصنبور،
بشيء قاس ومتعجل في أفواههم،
شيء ذكوري جداً وغير مبال في نفس الوقت، كأنهم قد قبلوا الكثير من القتلى على أيديهم المعقودة أو على جباههم،
كأنهم قد تخلوا عن أصدقائهم الجرحى فارين نحو الخندق تحت وابل المطر الثلجيّ
بل أكثر، كأنهم سرقوا قربة المريض التي صنع منها وسادة. ورغم ذلك
كان الجنود يغنون في المساء في المطبخ، (كنا نحن صغاراً
كنا نسمعهم من خلف الأبواب- لم يسمحوا لنا أن ندخل المطبخ،
أشياء مجهولة،
الروائح السرية للفلفل، الثوم، الكرفس، الطماطم، وغيرها من الروائح المعقدة التي لا تفصح عن مصدرها،
وصوت النار المتوهج، الدخان، الماء الذي يغلي،
صوت احتكاك السكاكين لحظة سنها،
أبراج الأطباق المخيفة المتسخة
والعظام، الكبيرة، العارية الدامية لحيوانات أسطورية.
هناك كُنَّ الخادمات يسيطرنَ بزي عملهنَّ الحقير
داخل كيمياء الخضراوات، اللحوم، الفاكهة، وعظام الأسماك،

ساحرات خفيات، بخضم الملاعق الخشبية،
التي يستخدمنها فوق بخار أواني الطهي،
خالقات مع البخار حزنًا، امرأة مذبوحة بثياب بيضاء

أو قوارب ذات الأشرعة الثلاثة بحبال سميكة، سباب وبحارة
أو خالقات لحية طويلة لأعمى شفاف بقيثارة على ركبتيه -
ربما لهذا لم تسمح لنا أمُنا بالدخول؛
ذات مرة وجدنا حفنة من الملح خلف الباب،
أو رأس طائر، أو عُرفه في بصلة متعفنة.

لم يقل للكبار شيئاً، حيث أنه كلما فتح جانبًا من نافذة المطبخ،
خرج نسيج البخار من الجانب وأظلم الممر لساعات،
رفيع، مُهدِد، بخوذة زجاجية من حيث تعلق ذيل الحصان
النسيج
وحيد، مُعطر، بلا جسد
بدون عظام، ولكنه جبار. هكذا كنا نسمع من خلف الأبواب حتى منتصف الليل،
حتى يأخذنا نوم أحمر بشرارات). حسنا كان الجنود يغنون،
كانوا يرقصون مع الخادمات أحياناً،
كانوا يخلعون أحذيتهم العسكرية ويفركون أصابع أقدامهم الغليظة بأيديهم
ثم يمسحون النبيذ من على شفاههم الكبيرة
وكانوا يحكّون رؤوسهم وسيقانهم،
يلمسون بأكفِّهم صدور النساء بعشوائية
ثم يتغنون (كنا نسمعهم في نومنا) كانوا يتغنون
وجوههم محجوبة خلف شعورهم المهملة
محافظين بشكل ما على الإيقاع بأقدامهم على البلاط.
أو بأصابعهم على الجرة أو على الكأس
أو على خشبة المائدة (حيث تقطع اللحوم
ببطء، بهدوء شديد (حتى لا يسمع الأسياد من الداخل)؛
وحينها تفاحة أعناقهم تأخذ في الصعود والنزول
كعقدة في حبل سميك يشده اثنان يتباريان،

كعقدة في الأمعاء. لهذا كُنَّ النساء
يبكين وهن يسمعن بهستيريا،
كن يمزّقنَ ثيابهن، يبقينَ عاريات ويتوسلن إليهم
ويأخذنهم في حجورهن كأطفال مرضى أرادوا بأي شكل أن يداووهم
وأن يغلقن عليهم بطونهن
- ربما ليملئن بطونهن الخاوية،
أحشاءهن- يغلقن عليهم
في العمق ويغرقنهم
حتى يحمينهم ويحفظنهم-
ثم بعد ذلك ينجبنهم
في لحظة مناسبة أكثر، في منزل أكثر بياضاً
في بيت جيد التهوية مشمس أكثر وأقل ظلالاً من الأعمدة، الجرات
جرائم، سيوف، أمجاد وتوابيت، ثقوب غير مرئية أقل في الحوائط-
ثقوب من مسامير المرايا الحديدية كي نعلق عليها الحلل الليلية،
من مسامير كي نعلق عليها اللباس الرسمي، الأبواق، الطبول، الخوذات، الدروع
أو خيوط الألعاب الصامتة الأطفال قتلى
أو صور، أكاليل الزواج، أواني الطهي؛
ثقوب.. مغلقة بالطبع،
من الترميم، بطانات الحوائط الجديدة والجير،
لكنها دائماً مفتوحة في الداخل، أعمق، في الذاكرة.

حسناً، هكذا يردن أن ينجبنهم في مكان أوسع،
منير وثابت، أي أنه ليس مكانا مصمتا من أقبية، سراديب موتى وقبور،
في بيت بلا أبواب تغلق خلفهم
يسمع همس، نحيب، وضوضاء هائلة
من شعر امرأة ينسدل على ركبتيها، أو ضوضاء

من حذاء يخطو بعيداً عن الفراش؛ هكذا

في مكان عزلة، شفافية، وأمان غير مفهومة
في نزهة ربيعية وسط الشعير الصغير،
بجوار حصان أحمر أو حمار رمادي طيب،
بجانب كلب، بقرة، زوج من الغنم،
داخل الظل الوحيد للمحراث. لكنهم
لم يسمعوا ولم ينظروا ولم يشعروا،
رجال غير مبالين، سكارى من الموت،
غارقين في نفس أغنيتهم- أنشودة
ليست بطولية على الإطلاق، ولا يمكن القول بأنها حزينة أو مشوهة
أغنية تعلموها بالتأكيد من نساء قريتهم،
والآن وهم عائدون من الجبهة
علموها للنساء الصغيرات. حسناً تلك هي السلالم

كُنَّ الخادمات يعرفنها مثل الأغنية المكررة،
بكل قطع، ومساحات، وقياسات،
بكل الحجارة الواضحة وغير البارزة،
بالشق المركزي لتشعب السلم، آلاف المرات صعدنها وهبطنها
في كل الأوقات، في الأيام الحلوة،
عندما كن يحملن الصواني من الفرن
أو جرات النبيذ من القبو
أو أرغفة الخبز العريضة والذبائح والفاكهة
أو لفائف الورود، القرنفل، الأقحوان
أغصان الزيتون المتواضعة وأوراق الغار الملساء من ندى الصباح-

في أيام أخرى، في حفلات الزواج، حفلات التعميد، في الأعياد،
وفي أعياد الميلاد
في أيام النصر والمجد، عندما يأتي الرسول يعلوه الغبار،
كان يسقط لاهثاً على هذه السلم
وكان يقبل الرخام ويبكي
ويعلن بصوت رجوليّ، مبحوح،
صوت غريب من تنهيد رذاذ صدره؛

وخدم البيت وبعض المارة العجائز
كانوا يسمعون وهم محشورون في بهو الأعمدة
والخدم على الأبواب بمراييلهم مرفوعة حتى عيونهم
وأمُنا السيدة في منتصف مقدمة الفناء
المربية بجوارها مثل شجرة بلوط مصعوقة
على مقربة من المعلم، أصفر لونه كأن شمعة في لحيته الخفيفة
الكل كان مثل يد نحيلة مشبوكة في أوتار قيثارة
والأختان الصغيرتان ثابتتان في النافذة
مختبئتان خلف أحلامهما وشكوكهما،
تسمعان ولا تفهمان،
تلاحظان الانثناءة الجميلة لركبة الرسول،
لحيته الشبابية الكستنائية، شعره الأسود
وبالتأكيد طبقات العرق والتراب
غصن علق في ثيابه .لذلك فالغابات تسير والموائد ترتفع كالخيل
على قدمين
القوارب الحربية تمر فوق الأشجار عند الغروب
المجدّفون ينحنون ويعتدلون، ينحنون ويعتدلون، ينحنون ويعتدلون
في إيقاع عشق؛ والمجاديف

نساء عاريات معلقات من شعورهن
اللاتي يتخبطن وينتفضن، يتلألأن في البحر
إلى أن تترك القوارب الحربية خلفها رُغى المجرة ترتسم.
حسناً هكذا-

أعلن الرسول النصر المدوّي
بين ألف ميت واثنين -هذا غير الجرحى-
أعلن في النهاية وصول السيد
بغنائم كثيرة وأعلام وعربات وعبيد
وجرح في منتصف الجبهة-قال-
كعين جديدة، رائعة، يرى من خلالها الموت،
فالسيد يرى الآن إلى عمق الأماكن، الأشياء، البشر،
كما لو كانت كل الأشياء من زجاج شفاف، ويقرأ بحرية إيقاع دمائنا، مزاجنا، أقدارنا،
شرايين الذهب التي تجري في الحجر
عروق الفحم الممتدة المدفونة في ظلام الأرض
ومراكز أعصاب المياه الفضية المتشعبة داخل الصخور
وقشعريرة الذنب الصغيرة تحت الملابس وتحت الجلد.
كان الكل يسمع (ونحن معهم) كالمتحجرين
الجميع قلقون محنيّون وبلا دموع
كما لو صاروا جميعاً زجاجيين
الكل رآهم، كما رأوا هم أنفسهم
بهياكلهم العظمية عارية في الزجاج
هشة، بلا أي مخرج بعد، ولكن
في هذا الغياب الكامل للحماية
في هذا الضعف المميت
في هذه الشفافية بلا ظلال

أحسوا فجأة بالسكينة، بالذوبان
في هذه الشفافية الشاسعة، بالرحابة والأبدية هم أيضاً،
مثل الأبرياء في هذا الذنب العام،
الجميع كالأخوة في هذه الصحراء العامة للعداوة المتبادلة
كأنهم مسلحون بعزلة الإنسان
مرتدون عري العالم بنبل وجمال.

«ليأتي السيد- قالت السيدة أمُّنا.
مرحباً به. وهو زجاجي.
زجاجي. زجاجي. ها هو، - ونحن نعرف هذه العين-
نعم، فهي لدينا، نحن أيضاً، هنا، في منتصف الجبهة.
فقد عرفنا الموت جيداً نحن أيضاً. نعرف. نرى.
هو الذي عرّفنا به في البداية. نحن أول من نظر إلى أعلى.
مرحباً بالسيد الزجاجي وبسيفه الزجاجي
بزوجته الزجاجية، بأولاده الزجاجيين،
بأتباعه الزجاجيين، ساحباً خلفه قطيعًا من الموتى الزجاجيين،
غنائم زجاجية، جواري زجاجيّاتٍ، بطولات زجاجية.
لتُقرع الأجراس إذن؛
من قمة إلى قمة لتوقد المشاعل
لنصرنا الزجاجي- نعم، نصرنا،
نصرنا جميعاً. فنحن أيضاً حاربنا
من خلال الصبر وأكثر
من خلال الانتظار ذي الألف عين الذي لا يطاق. وهؤلاء الذين سقطوا
هم أيضاً منتصرون- هم أول المنتصرين- ويراقبون.

لنقرع إذن الأجراس حتى أطراف الأفق

وأنتن، أيتها الخادمات، ماذا تنتظرن، جهزن الأطعمة الزجاجية، النبيذ الزجاجي، الفاكهة الزجاجية؛
إن سيدنا الزجاجي قادم. قادم»

هكذا قالت السيدة.. وكان الدم يضرب صُدغيها
كان يظهر عرقها قبل أن يتشكل وقبل أن يجري على وجنتيها الزرقاوين.

المربية الكبيرة، أمسكت بها، في لحظة
عندما كادت تصاب بالإغماء، وثبتت الآن بصمتها الخبيرة،
غطتها بظلها الحكيم تحت القبب الكبيرة لعينها الرزينة. حينها نفضت مريولها الأسود وكأنها تطرد طائراً أسود. ورحل الرسول.

بومة طارت على مقربة من أرض حوش الفناء
رغم أن الوقت كان مساءً
لم يكن الليل قد أتى وظل البومة طُبع ولا يمحى
بالضبط فوق البوابة، (مازال موجوداً). وجرت الخادمات إلى الداخل.
نسيت السيدة أن تزين أطفالها. دخلت الحمام.
ملأته بالماء الساخن ولم تستحم. بعد قليل
أغلقت عليها حجرتها ودهنت نفسها أمام المرآة باللون الأحمر، الأحمر، صارت كلها أرجوانية، مثل القناع، مثل الميتة، مثل التمثال،
كقاتلة أو كمقتولة أيضاً. وكان قرص الشمس ساطعاً أصفرَ ومضيئاً كخائن متوج،
كمغتصب ذهبي لسلطة غريبة،
متوحش من جبنه ومخيف في رعبه.
بينما الأجراس كانت تدوي محمومة في كل أرجاء البلاد.

الخادمات يعرفن هذه السلالم إذن،

كل هذه السنوات في هذا المنزل،
ومع ذاك كشفن عن وجوههن ونظرن
التفتن بالطبع قليلاً إلى الخلف ليتأكدن أن أحداً لم يرَهُنَّ
ثم غطين وجوههن بأيديهن ثانية وانصرفن
سوداوات، صغيرات، مقززات حدباوات
كوصمات سوداء، كذباب في وقت الملاريا
تحت وابل من المطر الحجري في بهو الأعمدة
وبقيت المكنسة الكبيرة مقلوبة خلف باب المطبخ
مثل كابوس بشعر واقف ولا يستطيع الصياح.
كلهم تركونا.
أحضرنا خادمات ليمسحن السلالم،
ليغسلن الرخام جيداً، ليقشطنه. الرخام
كان ينضح دماءً من جديد كل مرة. الخادمات رحلن، تركننا.
ونحن تركناها كلها- مسح، تنظيف، إزالة أنسجة العناكب
والحجر مستمر دائما في عمله- يتقيأ دماء أكثر فأكثر.

كان النهر الأحمر يحيط بيتنا؛
عُزلنا عن العالم الخارجي
بعد ذلك نسيَنا العالم؛
لم يعد يخافنا؛ ونحن لم نعد نخافه.
بالطبع من بعيد كان يمر بنا عابرو السبيل،
لكنهم لم يرسموا الصليب على صدورهم
ولم يبصقوا حولهم ليطردوا الأشباح.
أقرب الشوارع إلى بيتنا
امتلأ بالحشائش الشيطانية
وطبعا ببعض الحشائش، نبات القراص، أشواك

وأيضاً بعض الورود البرية الزرقاء- لم يعد يشبه الشارع.

في الليل، إذا تأخرت إحدى النساء ذات مرة
وهي تغسل في النهر وكان يسمع صوت المضرب
فوق الأنسجة الطرية المبللة، لم يكن أحد يقول
أن ثمة سكّينًا يغرس في جسد
ولا كانوا يغلقون فتحة سرية
أو كانوا يلقون جثة من النافذة الشمالية في خندق-
فقط كانوا يقولون إن أحد المضارب على الملابس يضرب،
كانوا أيضاً يميزون بين الأصوات
إذا كان ضرباً على قماش من الصوف، أو القطن، الحرير، أو الكتان
وكانوا يعرفون أن امرأة تُبيّضُ أباريق ابنتها،
متخيلة - بالطبع – يوم الزفاف،
شحوب العريس، جمال العروس،
تعانق جسدين ملفوفين بشكل ما بقماش ستارة الفراش الشفّافة الرقيقة
والتي كان هواء الليل يَهُزها. كل هذه التفاصيل
بكل هذه الدقة أيضاً (ألم يكن هذا نموذج للاتّزان مثلاً؟)
مع ذلك الإحساس الضروري،
كما لو كان ضروريا ذلك الذي حدث وهذا الذي تلاه-
إحساس بالمحتوم وغير المسؤول، وأيضاً
ثمة شريان موسيقى ينبض في الهواء
وتسمعه وتسمعه مرات ومرات، ولا تعرف

أين يوجد- أعلى قليلاً من الشجر؟
تحت مقاعد الحديقة الخاوية؟
في ذلك الحمّام؟ فوق النهر الأحمر؟
أم في مخزن سلاح أبي المقفل بكل تذكارات النصر هذه من كل الحروب غير المجدية

أم في أحذية الأخ الكبير الفارغة والذي يغيب سنوات بحاراً على متن السفن،
ومن يعرف إنْ كان سيعود ثانية
أم في كراسات رسم الأخ الصغير الذي لم يعد يكتب إلينا من المصحة،
أم في خزانة ملابس أمي التعسة
بالفساتين الطويلة البيضاء الثمينة والمشابك العريضة المشغولة-

(دائماً كنت أرى الفساتين تسير وحدها تحت الأشجار
تهتز بخفة كظلال ضوء القمر، وخلف بخارها الأبيض، وخلف تموجها الشاحب،
تبدو النافورة جافة بالدلفين البرونزي
منحنيًا في بريق لحظة هروب أخيرة - تلك الشفافية
الزجاجية،
لم تترك بصمات إحساس بالذنب ولا ذكرى
لأن الذكرى لا فائدة منها في غياب أو حضور مستمر). على أيّة حال

شريان الموسيقى ذلك كان يُسمع في كل مكان، ولا تدري
لماذا أنت سعيد، ما السعادة؛ ترى فقط تلك الأشياء التي لم تنتبه لها من قبل ولم ترها
رغم أنها متحررة من ثقلها. ولا حتى الرسول عَرفنا،
ولا الجريمة، ولا حتى الخادمات المرعوبات اللاتي كن يهرولن،
وكنت أنا واحدة من بنتين كانتا في الشرفة
تنظران للوصيفات وهن تحت السلم أو في الشارع
تقريباً من مكان الرسول أو من مكان الخادمة الصغيرة،
أنا التي كنت أقف دائماً في الشرفة؛ (غالباً كنت أغار من الخادمات لفظاظتهن
الجميلة، من مكرهن، بهجتهن، وحريتهن،
حرية العبدة تلك التي تنقذك من القرارات والمبادرات- كنت أغار منهن)

آه، لم أر شيئاً ولا أتذكر؛ فقط ذلك الإحساس الرائع،

الإحساس الدقيق، الذي وهبه لنا الموت، أن نرى الموت
حتى عمقه الشفاف، والموسيقى تتوالى
كما يحدث أحياناً أن نستيقظ في الفجر بلا سبب
والجو في الخارج كثيف بشكل مبالغ
من زقزقة آلاف الطيور غير المرئية- كثيف جداً وضبابي
ولا يتسع العالم لشيء آخر- مرارة، أمل، شعور بالذنب، ذاكرة.
ذكرى-
الزمن غريب وغير عابئ..
كشخص مجهول مر بهدوء في الشارع المقابل
بدون أن يلاحظ أو ينظر إلى بيتنا،
متأبطًا كومة مبهمة من الزجاج المتسخ
دون أن تعرف ماذا يريد بها، إلى أين هو ذاهب بها،
أو ما هو مغزاها وإلى أي نوافذ ستذهب
وبالطبع لا تتساءل ولا حتى تراه أنت وهو يختفي
كتوماً وصامتاً في آخر انحراف الشارع.
من كان يخفي لنا كل هذا، بكل هذه الدقة وكل هذا الإسهاب،
مغسولاً، سارًّا، منَظَّفاً، مُرتّبًا، مفرغًا من كل جرح ومن كل موت؟
والنهر الأحمر حول البيت- لا شيء-
ماء نظيف من أمطار ليلة أول أمس الفاترة
يعكس لون الغروب الأحمر حتى آخر المساء، حتى الساعة
التي تمتد فيها تلك الشفافية، الأبدية، الكريستالية،
وترى حتى داخل المدى، الخالد، المحجوب،
أبدي أنت، خالد، محجوب، محاصر
بالهمسات الصغيرة للأثاث الصغير والنجوم. وأُمّنا تجلس
على مقعدها المنقوش تطرز بالإبرة عملها الخالد
تحت مصباح ذي ثلاث شعلات والتي تهتز

كلما تشكل تيّارٌ من النافذتين
والأب يغيب منذ الصباح للصيد
وعلى أذنيه تمر دوامة حزينة من بوق الصيادين
ومن نباح الكلاب الودود اللحوح.

الأخت الصغرى، هاربةٌ من انتباه المربية،
في الحديقة الندية وهي تحلم أنها تمتطي أسدا حجريا،
وكل الأشياء هادئة جدا-
أحدٌ لم يخطئ، لايحدث شيء،
فقط صرير أحد الأبواب في الطابق السفلي
أو ربما صوت باب الفناء الحديدي- ربما أحضر بائع اللبن
صندوق اللبن الخاثر من أجل حِمية الأم- التي تخاف أن تسمن،
وهو ما يسعد الأولاد أن يروا الأم تهتم بوزنها،
أن تعتني ولو قليلاً بنفسها، أن تنظر من حين لآخر
إلى نفسها في المرآة،
أن ترتب ضفيرتها بشعرها الغزير الجميل؛
– اللبن الخاثر
يأخذ بريقاً ندياً، رخامياً أزرق
تحت ضوء النجوم وظلال الأشجار؛ يُسمع
صوت الخادمة الصغيرة الهادئ
وهي تدفع ثمن ألبان الأسبوع ودائماً تتأخر
في إعادة عد باقي النقود. والحديقة
في أعلى مكان في الحديقة، في أكثر الأركان ظلمة، من وقت لآخر
يخرج وميض وبريق في منتصف الليل حيث يبدل عباد الشمس الكبير أكتافه الساخنة
وثمة بخار أزرق يرتعش تحت أنوف التماثيل
وكأن التماثيل تتنفس في سرية عطر الورد الرطب.

الأخ الصغير يرسم دائماً
داخل ورشة العمل مع الأنوال، صورًا مائية دقيقة
بذوق زخرفي مينويّ- أبداً لم يعرض علينا ماذا يرسم-
أو ماذا يصمم في ورشة الفخار، على أباريق صغيرة وكبيرة بخطوط سوداء أو قرميدية
لتضيف شيئاً من الجدية
محاربين مراهقين أو راقصين مختبئين تماماً خلف دروع ضخمة- إذا لم تنتبه إليها جيداً
ظننت أنها دوائر دوائر، سلسلة سوداء.
أخونا الكبير
استقال من البحرية الملكية؛ والآن
هو دائماً جاد يقرأ في الحجرة المجاورة. في سكون الوقت
تسمع صوت الصفحة تنقلب كأن باباً سريّاً فُتِح في مكان أبيض شفاف. والحقيقة

في اللحظة التي يُفتَح فيها الباب. يدخل الأب.
يُحضّرون المائدة. ينادوننا.
ننزل جميعاً من السلم الداخلي.
نجلس إلى المائدة ونأكل. بينما نسمع نباح الكلاب الصغيرة في الفناء.
وصوت مشرف العمال.

بسيطة جداً إذن هى الحياة. جميلة جداً
تنحني الأم على طبقها وتبكي.
يضع الأب يده على كتفها.
«إنه من السعادة»تُبررُ.
ونحن ننظر من النوافذ المفتوحة
الليلة الصافية الممتدة والقمر النحيل
كأصبع منسيّةٍ بين صفحات زرقاء لكتاب هادئ، مغلق.

إن الليلة باردةٌ قليلاً، قد بدأ الخريف،
أ تراه قد بدأ الخريفُ.
غداً أو بعد غد سنغلق النوافذ ثانيةً.
مؤونة من الخشب للمدفئة- هناك الكثير منه-
ليس فقط من الغابة، ولكن من أثاثنا القديم،
أبواب ثقيلة، دعامات، أرائك، مقاعد، توابيت، أنابيب،
بنادق، حتى عربة الجد التعس الذي تركنا منذ سنوات.

إذا رحلت، فقل، من فضلك، لعمنا ألا يقلق علينا
فنحن بخير. كل شيء على ما يرام.
والموت لطيف كوسادة اعتدنا عليها
من الصوف، القطن، الريش، أو القش؛ الوسادة أخذت شكل أجسادنا، مريحة، - إنه
موت يليق بنا تماماً
فعلى الأقل لا يخدعنا ولا يتهرب منا- إنّه واثق
ونحن واثقون منه أيضاً- الثقة الحادة الرائعة.
أما إذا لم تترك «أرغوس»، فسوف يسعدنا هذا كثيراً
أن نراك ثانية في بيتنا. ولأجلك
سأنزع مسامير أحد الأبواب
سأريك مخزن سلاح أبي،
سأريك ذلك الدرع الذي على معدنه الأسود
ما زال مطبوعاً ذلك البريق من أوضاع آلاف القتلى
أكشف لك عن بصمات أصابع الدم وصنبور الدم
والنفق السفلي الذي كانوا يهربون منه متنكرين بأزياء نساء
قادة المحاربين الاثنا عشر الملتحون ورئيسُهم الشاحب،
الذي حتى وهو ميت قادهم إلى طريق الخروج بالخطأ.

ومن الناحية الأخرى ظل المدخل مفتوحاً
صامتا، عميقاً، ومظلماً كمثل خطأ مجهول.

ونجم الشعرى- هل انتبهت إليه؟ - ناعم هو نجم الشعرى
مثل المِمحاة- تحك دائماً في نفس المكان
وكأنه يمحو أحد أخطائنا- أي خطأ؟ -
ويُسمع صوت غير واضح بينما تمر وتعبر الممحاة
فوق الخطأ- والخطأ لا يُمحى؛
قصاصات ورق صغيرة تسقط على الشجر وتومض
إنه انشغال سار- وليس له معنى حتى
إن كان الخطأ لا يطمس؛ تكفي حركة النجم
مهذبة ومستمرة وأبدية
كمعنى أول ونهائي- إيقاع طاقة سماوية
وممارسة في نفس الوقت، مثلما في النول وأبيات الشعر -
يذهب ويعود، يذهب ويعود، النجم بين أشجار الصنوبر،
وثبة ذهبية بين خيوط جنائزية طويلة،
تارة تُخفي، وتارة تُظهر خطأنا- ليس خطؤنا
خطأ العالم - خطأ جذري- فيمَ أذنبنا نحن؟ -
خطأ الميلاد أو الموت- هل انتبهت؟

جميلة هي الليالي في الخريف-استرضائية-
تمحو بهدوء، الذنب الأكبر، ذنب كل واحد منا
أو تؤسس صداقة سرية بيننا،
صداقة إيقاع- نعم، نعم، بالضبط، صداقة إيقاعية،
إيقاعية - هذا هو- تذهب، ثم تعود تذهب، ثم تعود،
ميلاد - موت، حب- حلم، فعل - صمت- إنّه خروج،

أقول لك
نحو المكان الخلفي، المظلم جداً، مباشرةً نحو السماء، -

يهب الهواء من هناك،
يجفف العرق- نفس يا إلهي،
راحة نهاية،
وتسمع بوضوح الأحاديث من الأسطح المحيطة في الليل
وصوت قرقعة الدلو الذي يُخرج ماء من بئر الحديقة،
والصوت من تحت الشجرة الذي يقول «سأعود»
ولهاث الطفل الذي يفك لأول مرة رباط حذائه وحده
وصوت الناي من نافذة الطالب المفتوحة- موسيقى هاو-
لكنها موسيقى على أي حال تعلو وتتحد
بكل هذه الموسيقى المنظمة الرائعة غير المجدية للنجوم.

وأؤكد لك، نعم، حتى وهو ميت قادهم بالخطأ نحو الخروج، -
ولو أننا نعلم أن الخروج في أكثر المرات،
موت آخر، ضروري، ماكر، وحتمي.

قل للعم إذن ألاّ يقلق علينا
بعيداً، هنا في سبارطة الرائعة المنضبطة.
نحن في أحسن حال هنا في «أرغوس».
ليس هناك شيء بعد ذلك- ليعرف هذا.
هذا لابد أن يعرفه.

(«نعم، نعم» تحركت بآلية ثم قامت. لم أفهم شيئاً. شعور سحري بالخوف تملكني، كأنّني وجدت نفسي فجأة أمام اضمحلال وجاذبية حضارة عتيقة.

قد حل الليل. أوصلتني إلى السلم أشارت إليّ بأن أنزل بمصباح قديم. ماذا كانت تقصد؟ وهذا الميت الذي قادهم للخروج؟ (الخلاص) ربما.... المسيح، بالطبع لا. والبنت- ليست بنت أغاممنون. وهذا الأخ الصغير ذو الميول الفنية؟

لم يكن هناك أخ آخر. إذن؟ ما الحاجة لمثل هذا البيت؟

وأنا ما الذي كنت أحاول استنباطه من كلام تلك المجنونة؟

خرجت للخارج. كنت أسير بسرعة، وأنا أسمع خطواتي توقفت. شيء لاذع وغير مُرضٍ بقيَ في فمي، ذاب في لعابي من كل هذا الغموض الأسود، وكأنّي عضضت على ثمرة تفاح الصنوبر، ولكن في نفس الوقت شعرت بشيء راسخ، غني، واضح، والذي كان يزودني بنشوة خاصة جعلتني أفكر بشكل عملي وحسابي دقيق كم هو من السهل أن أمر بكل صعوبات العمل في الغد والتي حتى الآن بدت لي لا تقهر.

بين أشجار السرو خرج قمر كبير. خلف ظهري شعرت بالكتلة المظلمة لذلك البيت مثل قبر عتيق صارم جهوري. إن لم يكن شيئا آخر، قد تعلمت ما الذي عليّ أن أتجنبه، أو نتجنبه)

أثينا، سبتمبر1959

أوريست

(شابان في مقتبل العشرين. توقفا قبيل الفناء بتعبير على وجهيهما كأنّهما يحاولان تذكر شيء، أو أن يتعرفا على شيء، بينما كل شيء بدا لهما مألوفا بشكل غير متخيل ومؤثر، لكن الأشــياء بدت لهما صــغيرة في نفس الوقت، من مكان لآخر، من زمن لآخر. بدت الجدران صغيرة، الأبواب الكبيرة، بوابة الأسـود، القصـر القابع تحت ظل الجبل.. كلها بدت كذلك. أصـبحنا في الصـيف، ها هو الليل قد حل. السـيارات الخاصـة وحافلات الرحلات قد رحلت، يتنفس المكان داخل السـكون، - نفس عميق آتٍ من أفواه مقابر الذكريات العتيقة، تحركت قطعة من جريدة فوق الحشــائش المحروقة. حرقت من زفير مجهول. يسمع صوت حارس الليل، والمفتاح الكبير يقفل البوابات من داخل البرج. حينئذ، تحررت نسمات الليل من حر النهار، دقت الجنادب طبولها، -في مكان ما- خلف الجبل يزحف بريق مشـكوك فيه - ربما القمر. وفي نفس اللحظة، سـمع صـوت سـلم خشـبي، حاد، قوي، سـيئ، ولولة امرأة. الشـابان نظرا إلى بعضـهما. اتحدا مع الحائط السـفلي كأنهما ظلان كبيران. بعد قليل، مسـح أحدهما عرق جبينه بمنديله، أشـار إلى هناك بإصـبع مرتخية وتحدث إلى الآخر، الذي ظل دوما صـامتا مؤازراً ومخلصـا مثل- بيلاديس)

أنصت- إنها لم تصمت بعد، لم تتعب. إنها لا تطاق،

في هذه الليلة اليونانية- شديدة الحرارة، الهادئة جدا،

كم هي مسـتقلة عنا غير مبالية، سـامحةً لنا براحةٍ ودية- أن نمكث فيها، أن ننظر إليها من الداخل ومن بعيد في ذات الوقت؛ أن ننظر إلى الليل عارياً إلا من بعض أصـوات جنادب قليلة، وشيء من الرعب يبعث جلده الأسود.

أنّى لنا أن نبقى مسـتقلين نحن أيضـاً، بتلك السـعادة الجميلة، سـعادة اللا مبالاة، سـعادة التسـامح، بعيداً عن كل شـيء، وبداخل كل شـيء، بداخل أنفسـنا - وحيدين،

متحدين، غير مقيدين، بدون مقارنات ومنافسات وسيطرة، بدون أن يُعَدَّ علينا الصبر الضروري للآخرين، هكذا فقط

أن أرى رباطَ حذائك الصيفي، الذي يفصلني

إصبعك الكبيرة غير القابلة للشكّ، في اتجاهي، نحو مكان سريٍّ، بجوار أكاليل الغار، وأوراق الليل الفضية تسقط على كتفِك

وصوت الينبوع يمر تدريجياً تحت أظافرنا.

أنصت، - صوتها يغطّي صوت الصمت العميق في القبة المعلقة بصوتها أيضاً

كصوت لسان الجرس، يتخبط ويضرب جدار الجرس، لا لمأتمٍ ولا لفرحٍ، فقط صحراء الصخور الطاهرة.

وأسفلنا هدوء السهل المتواضع وكأنه يضع خطوطاً عريضة تحت غضب لا أسباب له، ترفرف حوله ومضات النجوم كطائرات ورقية بريئة بإيقاع غير منتظم

وحفيف الورق المتذمر من ذيولها الطويلة

لنبتعد قليلاً عن هنا، كي لا يصل إلينا صوت المرأة؛

لنتوقف بالأسفل بعض الشيء - لا ليس على قبور الأجداد؛

لا قرابين الليلة. لا أرغب في قص شعري، - هنا أعلى رأسي

لطالما زحفت يدك. كم هي ليلةٌ جميلة..

ثمّةَ شيءٌ لنا، يطول، إنه مأخوذٌ عنا، وها نحن نسمعه

كنهر مظلم يسلك طريقه نحو البحر،

ومن حين لآخر يظهر تحت الأغصان، في شذرات النجوم،

وتحت هذا الحكم، يقع الصيف غير المشمس، بفواصل صمت غير مرئية، آنية، فواصل عشوائية (ربما هناك من يلقي حجارةً في النهر) - هذه القفزةُ الصغيرة تشع تحت صفحات حقول الكروم.

يا للغرابة،

حياةٌ كاملة وهم يعدونني، وأستعد لهذا.

والآن،

أمام هذه البوابة أشــعر أنني غير جاهز على الإطلاق؛ هذان الأســدان الرخاميان- أرأيتهما؟ - قد صارا أليفين، لقد نشئا منذ طفولتنا، في منتهى البراءة، متوحشان تقريباً، لِبدتاهما متأهبتان لقفزة جريئة، لكنّهما قد اســتراحا في هدنةٍ فوق أركان الرخام خارج البوابة

بفروٍ ميت، وعيون غائبة؛ لا يُرهبان أحدا، يبدوان ككلاب معاقبة، لا يعلوهما حتى الحزن، ولا الصدق، كلاب عمياء، بدون ضغينة،

يلعقان بلسانيهما من حين لآخر قدم الليل الدافئة.

لستُ مستعداً، نعم| لا أستطيع؛ تنقصني تلك النسبة الضرورية لاتزان المشهد، الساعة المفعمةُ بالأحداث والأشياء- ليس جبنا لا- بل لست مستعدا أمام عتبة الحدث، أشعر أنني غريبٌ تماما أمام الطريق الذي حدده لي الآخرون.

كيف يحدث هذا؛ أن يحدد الآخرون قدرنا شيئا فشيئاً ثم يفرضونه علينا

ونحن علينا أن نقبله؟ كيف يحدث أنهم بأقل خيوط لحظاتنا ينسجون لنا عمراً، خشناً، مظلماً، كقلنسوةٍ ملقاة على رؤوسنا حتى أقدامنا، تُغطّي وجوهنا وأيدينا، أيدينا التي رفضت سكيناً مجهولاً - مجهولاً تماماً - يضيء ببريقه الحاد المشهد، هذا ما أعرفه: ليس مشهدنا.

وكيف يقبل قدرنا هذا، ينساق وينظر كالغريب إلينا، وإلى قدرنا الغريب، الأخرس، القاسي، المهمل، السلبي،

حتى بادعاء الرحمة أو الرواقية،

دون أن يختفي حتى، أو على الأقل يموت،

لنبقَ هنا وحيدين حتى قدرٍ آخرَ، قدر واحد فقط؛ غير مزدوج وغير قابل للتقسيم.

ها هو يمكث هناك كما لو كان ناعساً؛ بعينٍ نائمة والأخرى رزينة

تاركاً إيانا ننظر إليه ملاحظاً تخبطنا الأزلي دون تشجيع ولا توبيخ.

تبدو أرجلنا كرافعاتٍ،

تبتعد الأولى عن الثانية فيتسع الفارق بينهما فتتمزق أوصالنا حتى الرأس

ثمة عقدة ما زالت تمسك بهذا الجسد الممزق،
بينما أعتقد، أن الأرجل مخلوقة للسير والحركة
كل رجل على حدة، بإيقاعٍ واحد، تسيران في اتجاه واحد،
حتى أسفل الحقل، بجوار عناقيد العنب، بعيداً حتى الأفق
الذي أخذ في الاحمرار،
تنقل الجسد عمودياً؛ .ربما
لهذا التمزيق العظيم خُلقت
فوق هذه الهاوية المجهولة، فوق هذه القبور وفوق
قبرُنا؛ لا أدري.

ولكن، خلف كل طبقات الإثارة والخوف هذه، أتنبأ
بأن ينبسط الهدوء كالمدى| عدلٌ؛
توازن حقيقي يحيطُنا
في تنظيم كمثل الحبوب المبذورة في الحقل أو مثل النجوم. انتبهت؟ في الظهيرة
وأنا قادم إلى هنا، رأيت سحابة تزحف فوق الحقول،
غطت حقول القمح، وأشجار الكروم، وأشجار الزيتون،
الخيول، والطيور، وأوراق الشجر، أثر شفاف من مكان بعيدٍ للمدى. فوق التراب؛
والفلاح يتجه نحو طرف السهل وكأنه يحمل تحت إبطه الأيسر ظل السحابة كله
كعباءة هائلة مهيبة لكن بسيطة كلونِه الأسمر.
هكذا تتناغم الأرض مع المدى، آخذةً شيئا من الأزرق ومن الغموض؛ وكذلك المدى
يأخذ من الأرض شيئا كستنائيًّا ودافئًا، شيئا من أوراق الشجر، شيئاً من الأواني
الفخارية والجذور، شيئا من بريق عيون تلك البقرة المترقبة (هل تذكره؟)
وشيئاً من أقدام المزارع الثابتة التي تضيع في الأعماق.

ومع ذلك لا يبدو أن هذه المرأة ستصمت. «اسمعها»

كيف لا تسمع صوتها نفسه؛ كيف تستطيع أن تكونَ محبوسةً بإحكام في لحظةٍ من زمنٍ قادم، في عواطف قادمة، كيف تستطيع، وبأيّة وسيلة،
تجدد عاطفة الانتقام تلك، وصوت تلك العاطفة
عندما يكذبها الصدى، ويسخر منها كل الصدى
صدى الشوارع، صدى الأعمدة، صدى الدرج، صدى الأثاث، صدى جرار الحديقة، صدى صوت الكهوف والقنوات،
صدى إسطبلات الخيول، صدى أماكن الحراس على التل،
والصدى من جوانب التماثيل النسائية بالفناء
ومن القضبان النبيلة للعدّائين الحجريين ورماة القرص؟
حتى مزهريات البيت كما لو كانت تتصدى لنحيبها
الورود الرقيقة التي بنبل وبذوقٍ رفيع نسقتها الأم على قطعة الأثاث المنقوشة أمام مرآة الأجداد العتيقة،
في ظهورٍ مزدوج، شفافيةٌ مائية - أذكرها دوماً
منذ سنين الطفولة - وهذا باقٍ في ذاكرتي بلا ظلال، واضحٌ كالماء
رقيق، محايد، به شيء من الغموض، ليس له زمن، طاهرٌ لا ذنب له، شيء رقيق، ناعم ورائع
كالوبر الخفيف في أعناق الصبايا أو على شفاه الفتية
كرائحة جسد - غُسل لتوه - في ملاءات مُدفئة في ليلة صيفية معبأة بالنجوم.
وتلك المرأة لا تفهم شيئاً؛ ولا حتى الصدى الذي يستنشق صوتها الرديء.
أخشى ألا أستطيع مقاومة ندائها - كم هو ضخم ومع ذلك مضحك-
في خضم هذا الكلام الانفعاليّ، العتيق، كأنه منبوش من صناديق «العصور الجميلة» (هكذا يقُلنَ العجائز)، كأعلام كبيرة، غير مستوية، توغل في خيوطها النفثالين، أو التكذيب، أو الصمت، كم هي شائخة
ولكنهم لا يشكّون في شيخوختهم على الإطلاق، ويصرون على الرفرفة والانثناء في حركات طقسية قديمة فوق العابرين المنشغلين عنهم وغير الآبهين، فوق الشوارع الإسفلتية متواضعون رغم العرض والضخامة والنوافذ الأنيقة

بربطات العنق، الحلي، حلل الســباحة، القبعات، الحقائب، الفرش وكل ما يتوافق مع
حاجات ساعاتنا هذه أي مع الحاجة الأزلية للحياة صاحبة الأمر.
أما هي فتصر على تحضير العسل والطعام للأموات
الذين لم يعد لديهم إحساس بالعطش ولا شهية للطعام وليس لهم فم
ولا يحلمون بالرفاهية ولا بالانتقام. ولكنها تدّعي
براءتهم (أيّة براءة تلك؟) ربما لتتنصل من مسؤوليّة اختيارها وقرارها |
عندما تتبعثر أسنان الأموات، عارية في التراب،
إنها البذور البيضاء في وادٍ أسود ممتد
التي تُنبتُ الشيء الوحيد المعصوم، أشجاراً غير مرئية، ناصعة البياض
تبدو فسفورية تحت ضوء القمر، حتى نهاية الزمان.

آه، كيف يحتمل فمها تلك الكلمات،
مسحوبة؛ نعم؛ من صناديقَ قديمة (كهذه المزركشة بمسامير كبيرة)، مسحوبة من بين
قبعات الأم القديمة، مر زمنها، ولم تعد ترتديها |
لا تقبلها. أ رأيتها في الحديقة هذا المساء؟ - مازالت جميلة - لم تصبها أي شيخوخة،
ربما لأنها تراقب الزمن وتمارسه
كل لحظة، أريد أن أقول إنها تتجدد
تعرف الشباب الذي يضيع منها؛ ربما لهذا تستعيده.

وصوت الأم، كم هو عصري، يومي، صحيح،..
تستطيع أن تنطق الكلام الرنان بطبيعية
والكلام البسيط في معناه العميق، مثلاً:
«فراشةٌ دخلت من النافذة»
أو: «إن العالم رائع بشكلٍ لا يحتمل»
أو: «ربما تحتاج المناشف الكتانية مزيدا من النيلة»
أو: «تنقصني سمة من رائحة هذه الليلة»،

وتضحك،
ربما لتلحق بأحدٍ كان على وشك الضحك..

هذا الفهم العميق والرأفة المعطاءة
للجميع ولكل الأشياء (كأنه ازدراء تقريبا)..
كنت دوماً معجبًا بها وخائفًا منها
بفخرها الواعي الراقي
مزيج من المكر والصغر في ضحكاتها المتعددة الأبعاد،
كصوت فرقعة الكبريت لحظة إشعاله،
وتعقب ضوء اللهب لخطوط فكها المنحوت
وتقاطيع وجهها الرقيقة النابضة، التي للحظات تتوقف عن التنفس وتضيق
وكأنها باتت قريبة منا، متوقفةً عن الحركة
علّها لا تذوب كالدخان الأزرق من أنفاس الليل،
علّ الأشجار بأغصانها الطويلة لا تأخذها
علّها لا ترتدي طوقا من ضوء نجم للأبد..

هكذا كانت الأم تجد دائما أكثر حركاتها ووقفاتها دقة
بالضبط في لحظة غيابها، كنت أخاف دائما أن تختفي عن أعيننا،
ربما كانت تأخذ شــكلاً أفضــل عندما تنحني لتعقد رباط حذائها الصــيفي الذي يظهر أظافرها الدائرية الملونة أو عندما كانت تهندم شعرها أمام المرآة الكبيرة
بكفّيْ يديها بحركات لطيفة، شبابية وخفيفة
كما لو كانت تحرك ثلاث أو أربع نجمات على جبين العالم،
كما لو كانت تضع أقحوانات تتبادل القبلات بجوار ينبوع
كما لو كانت تنظر بجرأة حنون لزوج من الكلاب يمارسان الحب في منتصف الشارع في ظهيرة صيف حارة، بهذه البساطة والإلحاح كانت الأم
قوية أيضا، جهورية وغير مستكشفة.

ربما يكون هذا الذي لم تسامحه أبداً شقيقتي -شبابها الخالد-
شــقيقتي، هذه العجوز الطفولية، حكيمة من التضــاد، واهبة نفســها لرفض الجمال
والفرحة؛ متقشفة مروعة في تعقلها،
وحيدة وغير متماسكة. حتى ملابسها
تشبه بإصرار ملابس العجائز، تبدو عليها متهدلة، شائخة
والحزام لا لون له، مهترئ
كوريد بلا دم حول بطنها (وتشد عليه رغم ذلك)،
كرباط ستارة ساقطة لا يفتح ولا يغلق
هكذا تظهر بشكلٍ غير مباشر مساحة من الصرامة المشاكسة
بصخورها الحادة وأشجارها الضخمة، العارية، الكثيرة الأغصان
فوق قوالب السحب المعتادة الفخمة؛ وهناك في العمق
حضور غير مرئي لنعجة تائهة،
وصمة بيضاء حية، بذرة حنان -مخفية-
وأختي نفسها صخرة عمودية
مغلقة على صلابتها؛ - لا تطاق. أسمعها، تافهة تقريباً- دائمة التمرد
وتراقب أمي
وهي تضع وردةً في شعرها أو على رأسها
عندما تعبر الممر بتلك الخطوات البهيجة الموسيقية
عندما تحرك رأسها بخفة وتمايل وتقطر منها أصوات رنين قرطها على كتفيها
والذي لا تسمعه إلا هي، امتياز حلاوتها. ويستشيط غضبها.

تحافظ على غضبها بحدة صوتها (الذي لو ضاع منها، ماذا سيبقى لها)
أظنها تخاف الوفاء
عقاب ألا يُبقي لها شيئاً. لم تسمع أبداً حفيف الحشائش السري ليلا عبر الممر
حيوانًا أليفًا على النافذة وقت العشاء؛

لم ترَ أبدا السلم، من غير سبب على حائط طويل وعار، يوم عطلة؛ لم تلاحظ أبداً الأفعال والأشياء التي تحدث هكذا؛ بدون سبب

خصلة نبات الذرة تكشط نعل سحابة صغيرة، أو منجلاً وحيدًا مهملاً جوار المياه، وقت الظهيرة، أو ظلاً يلوح في الحجرة المغلقة، عندما يضعون الكبريت على أشجار الكروم

وتسمع أصوات الفلاحين في الحقول، بينما عصفور وحيد في هذا العالم،

يلتقطُ من الفناء حشرات، بذورًا، بعض الفتات، ويحاول تهجّي حريته.

لم ترَ شيئاً.

عمياءٌ، مسجونة في عماها. لكن كيف تعيش في هذه الحياة فقط من ضد إلى آخر،

فقط من كراهية لأخرى، وليس من أجل حبها لحياتها، من غير مكان لها؟ وماذا يريدون؟

ماذا يريدون منّي؟

يصيحون «انتقام. انتقام».

ليفعلوها إذن وحدهم، بما أن الانتقام يطعمهم.

لا أريد أن أسمعها. لم أعد أحتمل صوتها. ليس لأحد سلطة على عيني، على فمي، على يدي،

على قدمي هاتين اللتين تدوسان الأرض. أعطني يدك.

لنذهب.

الليالي الصيفية الطويلة، كلها لنا،

مزيج من النجوم، عرق الإبط، أكواب مكسورة..

حشرة تطن في أذن الهدوء،

السحالي الساخنة أمام أقدام تماثيل الشباب العراة،

القواقع العارية على مقاعد الحدائق أو في دكان الحدادة المغلق

متنزهين فوق السندان الكثيف، تاركين فوق الحديد الأسود خطوطاً بيضاء من المني واللعاب.

تاركين مرة أخرى الأراضي الميكينية؛ يالرائحة الطين هنا
صدأ النحاس والدم الأسود. تبدو أتيكا أكثر خفة. أليس كذلك؟
أشعر
الآن، في هذه اللحظة، قد حانت ســاعة اعتزالي. لا أريد أن أصــبح موضــوعهم. موظّفًا لديهم، أداةً لهم، أو حتى زعيمهم.

فأنا أيضاً لديّ حياة وعليّ أن أعيشها. انتقام | لا..
ماذا يمكن أن يســتأصــل من الموت موتاً آخر وبهذا العنف؛ - وما الذي ســيضــيفه إلى الحياة؟ - قد مرت السنون.
لم أعد أشعر بالكره؛ ربما نسيت؟ أصابني التعب؟ لا أدري.
بداخلي شيءٌ من التعاطف نحو القاتلة.. كم هاوية مرت عليها
معرفة كبيرة ربّت عينيها في الظلام
وترى، الذي لا ينضب المستحيل والذي لا يتغير. تراني.

أريد أن أرى أنا أيضاً مقتل الأب في هدوء الموت الغالب،
أن أُنسى في داخل الموت كاملاً
الذي ينتظرنا. تلك الليلة علّمتني
براءة كل المغتصبين. وكلنا مغتصبون لشيءٍ ما، أصحاب الشعوب، أصحاب العروش،
أما تلك صاحبة الحب والموت؛ أختي
مغتصبة حياتي الوحيدة؛ وأنا مغتصب حياتَك.
يا عزيزي، أنت، بكل هذا الصبر تشارك
حالات حمقاء، غريبة. ومع ذلك يدي هي يدك
خذها؛ اغتصبها أنت أيضاً؛ هي لك،
لهذا فهي لي؛ خذها وشُد عليها؛ تنتظرها حرة؛ أنا أيضاً أريدها حرة،
لكي تؤول لي تماماً، هكذا فقط
كي أعطيها لك نهائياً. سامحني

تعرف.. هذه الوحدة السرية والمشاركة التي تفصلنا لاثنين.
يا لها من ليلة جميلة..

ثمة رائحة رطبة من التوابل، البخور، الكبر
أو ربما الأعشاب؛ ارتبكت بين العطور،
فيما مضى، كانت رائحة الدم مالحة، ورائحة المني غابة؛ عمَ أبحث الليلة،
كهذا الجندي الذي قص علينا ذات ليلةٍ في أثينا:
كان الشاطئ يضج من الصهيل والتأوهات،
وهو مختبئ عند الشاطئ،
كان ينظر إلى القمر وإلى تمايل ظل البلوغ على فخذه
في انتصابٍ غير مؤكد، بالكاد يوجد، مجربا رغبته على جسده
للاقتلاع من حقل الموت إلى أمل قوة ذاتية غير مؤكدة.

لنبتعد عن هنا، لا أحتمل أن أسمع أنينها
الذي يضرب أعصابي وأحلامي،
كما تضرب المجاديف الجثث الطافية
التي تنير من نبراس المراكب من آنٍ لآخر،
شهب أغسطس
ويتلألأ الجميع، شباب مثير للشهوة، خلودهم لا يصدق
في موت مائي كان يرطّب ظهورهم، مطارقهم، وأسلحتهم
كم تتغير الفصول صامتة. يأتي الليل كالمدى.
مقعد من الخوص وحيدٌ، منسي تحت الأشجار
في رطوبة حساسة وفي بخار يخرجه التراب.
ليس حزناً ولا انتظاراً إنه تقريباً لا شيء
إنها حركة ساكنة تمتد في الأمس وفى الغد.
السلحفاة حجر على الحشائش؛ بعد قليل ستتزحزح..

هادئ مباغت، تواطؤ خفي، سعادة.

ثمة أثر فارغ يبقي على ابتسامتك؛ ربما لما أقوله لك أو لما سأقوله ولا أعرفه بعد، حتى الآن لم أجد إيقاع الكلام الذي يسير قبل التفكير- يسير قبله بكثير- ينكشف لي نفس الإيقاع مع ذاتي. كما كان في ساحة الركض آنذاك، حيث يصل العداؤون، لاحظت بمحض الصدفة أحدهم كان يربط كاحله بسلسلة لا داعي لها. لا شيء آخر.

تضحيات، تقول، وبطولات، وما التغيير؟ سنوات وسنوات. ربما جئنا
لتلك الاكتشافات الصغيرة للمعجزة الكبيرة
التي لم يعد لها لا صغير ولا كبير ولا حتى جريمة ولا ذنب.
كل الأشياء عن الحب.. سحر و وهج، (كما كانت تقول الأم وقتذاك)،
عندما تلمس جبهتنا أوراق الليل البدينة، الرطبة وتسقط ثمارها
فهناك ثمة رسالة محددة وحصرية
كالدائرة، والمثلث أو كالمعين. أستجمع قواي
منشار صدئ في محل نجارة مهمل،
وأرقام البيوت تتحرك نحو الأفق..
9،7،3... والرقم الذي لا يعد. اسمع؛ لقد توقف.

هدوء شديد، مستحيل؛ كأن آلاف الخيول تصعد ليلاً نحو «تريتو»
ينزل نهر ذهبي نحو الحقل
مع الينابيع الميتة، الثكنات المهجورة والإسطبلات
التي يدخن قشها من حرارة عتيقة لأرواح ضائعة،
وذيول الكلاب بين أقدامهم، تضيع
كعلامات سوداء في عمق الليلة الفضية.

وأخيراً، توقفت.. سكون.. خلاص. كم جميل هذا.
أنظر إلى خيالات الحشرات فوق الحائط
تترك نقاط رطبة أو جرسًا صغيرًا
سيدق بعد قليل. في البعيد.. ثمة بريق
ثمة اشتباه مطول، أُرجوانيّ..
القمر صغير، حريق منفرد خلف الأشجار، المداخن التي
تحرق الأشواك، جرائد الأمس،
تاركةً ذلك التوافق المجيد تقريباً..
غير الاحتياطي، اليأس، اللا جدوى المؤكدة
حتى هناك، عند الهدوء الباسل، حتى طرف الطريق
مع عبور طيف قطة بنفسجي
يطلع القمر وتنزل البيوت أسفل السهل
تطقطق عيدان الذرة متبعة قانون النمو
تظهر جذوع الأشجار المجيرة كما لو كانت أعمدة رخامية تم حصادُها
في حرب صامتة، بينما تبدو لافتات الحوانيت المعلقة كتنبؤات محققة على الأبواب المغلقة.
كان الفلاحون قد ناموا وأيديهم الكبيرة فوق بطونهم
والطيور الصغيرة في أيديهم الخفيفة التي علقت بالفروع
وكأنهم لا يحاولون الإمساك بها، كأنهم لا يفعلون شيئاً،
كأن شيئاً لم يحدث، أو أن شيئاً لن يحدث.. بخفةٍ متناهية، وكأن السماء قد غربت في أجنحتهم،
كأن شخصاً يعبر الممر الضيق ممسكاً مصباحاً في يده
وكل النوافذ مفتوحة وفي الخارج في الهواء الطلق تُسمع الحيوانات تجترُّ في سلام وكأنّها في الأبدية.

يروقني هذا الهدوء الرطب. في مكان ما قريب من هنا، في بهو ما، ثمة امرأة ستمشط شعرها الطويل وبجوارها ستتنفس ملابسها الداخلية المعلقة تحت ضوء القمر.
كل شيء مائع، لزج، سعيد. تتدفق مياه كثيرة في الحمامات
أظنهم يسكبون الماء على ظهور البنات وصدورهن،
تنزلق الصغيرات، صابون معطر على البلاط،
تعبر الفقاعات ضوضاء الماء والضحك،
انزلقت سيدة ووقعت، انزلق القمر في الكوة،
الكل ينزلق من الصابون- لا تستطيع أن تمسكها أو تتماسك- هذا الانزلاق هو إيقاع الحياة المتكرر؛ النساء يضحكن ناثرات رغوة الصابون الهشة البيضاء فوق غابة أعضائهن. هكذا تكون السعادة؟

تلك الليلة تبقى للانتظار، تترك لي فتحة للخارج
وناحية الداخل. عسى ألا أرى النجوم. ربما تكون أقنعة كبيرة محنطة، أبوابا معدنية؛ وأحذية الموتى الصيفية تنسل من الرطوبة، وحدها تتحرك، كأنها تمشي بدون أقدام.. لا تمشي؛
تلك الشبكة المسدلة على الحمام - من الذي نسجها؟ - عقدة عقدة.. بحيث لا تنفك سوداء.. لم تنسجها الأم.

ظل لا ينتهي ممتد فوق الأقواس؛
حجر ينفصل ويسقط في الوادي - ربما لم يلحظه أحد-
ثم لا شيء؛ غصن ينكسر
من ثقل السماء الخفيف. ضفادع صغيرة تقفز صامتة بنعومة على الحشائش الرطبة. سكون.

في الآبار تسقط وتغرق فئران رمادية،
ضوء النجوم السميك يهتز ببطء؛ هناك في الداخل

تطير من تجمعات القارورات، الأغطية، المرايا، والمقاعد،
عظام الموتى، قيثارات، حوارات حكيمة. والآبار أبدا
لا تمتلئ.

شيء كأصابع النار والرطوبة يعبر صدورنا بالتتابع،
ترسم دوائر كشافة حول حلماتنا،
ونتمايل نحن أيضا كالريح، دائرة ثم دائرة، حول مركز مجهول، مطلق، ولكنه رغم ذلك محدد.. دوائر لا تنتهي حول صرخة خرساء، حول ضربة سكين؛ وسكين
أظنه قد غاص في قلوبنا
كالوتد المحتجز في وسط الدرّاسة
وحولنا الخيل، التراب، العقيق، القنوات
وعمال الحصاد بجوار المحصول ورأس القمر على أكتافهم،
يسمعون صهيل الخيول حتى النوم،
صوت تبول الثيران على الجريد والخيش،
الألف قدم لـ «أم أربعٍ وأربعين» فوق الإبريق
زحف الثعبان الهادئ في البستان
طقطقة انقباض الحجر الساخن حينما يترطب.

كلمة حب تبقى محبوسة في أفواهنا، غير مروية،
كحصوة في حذائك أو مسمار؛ تمِلّ لتتوقف، لتنزعه، لتفك رباطك، لتتعطل.. يتحكم فيك إيقاع الطريق السري
أكثر من مضايقة الحصوة،
أكثر من إصرار التعب في تذكيرك به
أكثر من حبك للتأجيل؛ وكأنك تحتفظ بهذا الشيء الصغير الشائك كذكرى نزهة سعيدة على الشاطئ وتأملات جميلة، وذكريات صور شاطئية طيبة
عندما سُمِعَ من الساحل صوت المجاديف وأحاديث تجار الدخان

مع أغنية البحارة وأغنية البحر
البعيدة، البعيدة، التائهة، القريبة، اللاذعة، إنها لنا.

لقد صمت صوت التعيسة. وفي هذا الصمت كأني أسمع صوت العدل لديها..
لا شيء يحميها من غضبها، يا للظلم الواقع عليها،
بشعرها المرّ الساقط على كتفها كحشائش شيطانية،
معشقة في عدلها الضيق. تستطيع أن تنام،
تستطيع أن تحلم بمنطقة بريئة وحيوانات طيبة،
ببيوت نظيفة، بروائح خبز ساخن وورد.

والآن تذكرت -لا أدري لماذا- تلك البقرة التي رأينا ذات ليلة في حقل في أتيكا، أتذكرها؟
كانت واقفة، قد تحررت تواً من رباط الناعورة، وتنظر إلى البعيد،
تخرج بخارا من منخريها، غروب الشمس الأرجواني،
صامتة، مكبلة في الحقل، أثر كرباج على جبهتها،
ربما تعرفت على الرفض والأمر،
على العداوة البغيضة في الاتفاق.

بين قرنيها حملت كالتاج
أكثر أجزاء السماء ثقلا.
بعد قليل نزلت بجبهتها لتشرب الماء، وهذا اللسان الآخر المبلل لصورتها المائية، كانت وكأنها تلعق بهدوء وأمومة ممنوعة، الجرح..
كانت وكأنها تلعق الجرح الصامت، الكبير، الدائري للعالم؛ - ربما ترتوي- فمن يدري؟
ربما من دمائنا فقط نرتوي..
ثم رفعت رأسها عن الماء، دون أن تلمس شيئا،
غير ممسوسة وهادئة كقديس،
وفقط بين قدميها، المغروسة في النهر،

ظلت تشكل بحيرة صغيرة من دماء شفتيها،
بحيرة حمراء، على شكل خريطة،
اتسعت شيئا فشيئا؛ واختفت
كما لو أن الدم مر بعيداً، حراً، بريئاً،
كوريد خفي للعالم؛ وكانت هادئة
لهذا بالضبط؛ وكأنها كانت تعلم
أن الدم لا يضيع، كما أن شيئاً لا يضيع في هذا اللا شيء العظيم
بلا عزاء، ولا رحمة، ولم يسبق له مثيل،
حلو جداً، مواسٍ جداً، لا شيء جداً.

هذا اللاشــيء هو الرحابة المألوفة، كل هذا اللهاث دون جدوى إذن، الهلع، المجد. بقرة كهذه أسحب دوما معي، في ظلي - غير مقيدة؛ لكن وحدها تتبعني- إنها ظلي على الطريق عندما يكون هناك قمر؛
إنها ظلي
فوق الباب المقفول؛ ودوماً، تعرفها:
ظل طري، لا جسد له؛ وظِلاًّ القرنين يمكن أن يكونا جناحين حادّين وتستطيع أن تطير بهما
وربما تستطيع أن تعبر بطريق آخر كل الأبواب الموصدة.

والآن تذكرت (رغم أن هذا ليس له معنى) عيون البقرة.. مظلمة، عمياء، ضخمة، منحنية، مثل تلين من الظلام أو من الرمل الأسود؛ ينعكس فوقهما جرس بشكل تدريجي وغربان جلست على الصليب؛ حينها صاح أحدهم وهربت الطيور من عيني البقرة. أظن أن البقرة كانت رمزاً في إحدى الديانات القديمة. بُعدًا لتلك الأفكار والاستدراكات.
إنها بقرة عادية من أجل لبن للفلاحين والناعورة، مع كل حكمة العمل، التحمل. ولكن،

في اللحظة الأخيرة، قبل أن تعود الحيوانات
- أتتذكر؟ -
زامت بشكل مخيف نحو الأفق،
مما أفزع وبعثر العصافير واليمام من على الأغصان،
الخيول والنعاج والفلاحين،
تاركين إياها في دائرة عارية،
من حيث كانت تصعد إلى أعلى في الفضاء
إلى دوامة النجوم، حيث ذابت؛ لا، لا
أحسبني أراها في القطيع
تصعد درباً كثيفاً، صامتة، خاضعة،
نحو القرية، وقت أوقدوا المصابيح في الأفنية، خلف الأشجار.
انظر الفجر يبزغ. ها هو، أول الطيور يصيح على السور.
استيقظ البستاني، ثمة شجرة ستقطع في الحديقة.
صوت مألوف
من أدوات العمل.. منشار.. فأرة..
وفرشاة الفناء؛ إن أحداً يغتسل؛ رائحة الطين؛ الماء يغلي في الأباريق؛ أعمدة الدخان فوق الأسطح؛
رائحة ساخنة لنبات المريمية. ما زلنا على قيد الحياة هذه الليلة.

لنرفع الآن هذه القارورة التي تحمل رمادي المزعوم؛
مشهد الاعتراف سيبدأ بعد قليل،
سيجد الجميع ما كانوا ينتظرون،
سيجدون العدل طبقاً لتشريعاتهم،
وأنا وأنت فقط سنعرف أن بداخل هذه القارورة
أحمل، في الحقيقة، رمادي الحقيقي.. فقط نحن الاثنان.

وعندما يهلل الآخرون لفعلتي، سنبكي سوياً على بريق السيف الدامي، الجدير بالمجد،
سنبكي هذا الرماد، هذا الميت، الذي حل محله آخر، يغطّي بعنف وجهه المخدوش
بقناع ذهبي، نزيه، وقور،
وربما مفيد بقالبه السميك
كنصيحة، كعظة، أفيون الشعوب،
خوف من الطغيان، ممارسة تستمر،
ببطء، ثقيلة، قصة الموت المتكرر والانتصارات،
دون أدنى حد من المعرفة (المحتملة من الشعب)
ولكن بالفعل الصعب، العقيدة السهلة،
الجامدة، اللازمة، العقيدة التعيسة،
ألف مرة زائفة، وألف أخرى محفوظة
بأظافر وأسنان الإنسان.. عقيدة جاهلة
تتضخم في سرية، دؤوبة كدأب النمل في الظلام.

وهذه هي التي أختارها أنا الكافر
(حيث لا يختارني الآخرون)،
هم يعرفون أما أنا. فأختار
معرفة وفعل الموت الذي يرفع الحياة.
والآن هيا بنا..
لا لأبي، ولا لأختي (لابد للاثنين أن يغيبا في وقت ما)، لا للانتقام، ولا للكراهية -ليست
على الإطلاق كراهية- ولا حتى للعقاب (من ينتقم؛ وممن؟)
ولكن ربما ليكتمل زمن محدد، حتى يبقى الزمان حرا،
ربما هو انتصار عقيم على أول وآخر مخاوفنا،
ربما لـ «نعم» التي تظهر غير محددة وبنزاهة بعيدة عنك و عنّي،
حتى يتنفس (إذا كان هذا ممكنًا) هذا المكان. انظر كيف يطلع النهار جميلاً.
هناك قليل من الرطوبة في أرغوليذا. قنينة الرماد مثلجة تقريبا، عليها قطرات الندى

كما لو كان قد بللها -كما يقولون- الفجر القرمزي بدموعه،
ممسكا بها بين ركبتيه. هيا بنا. لقد حان الوقت
ها هي اللحظة. لما تبتسم؟ أموافق أنت؟
أهذا ما كنت تعرفه ولم تقله بعد؟
هذه هي النهاية العادلة - أليس كذلك؟ - بعد أكثر المعارك عدلاً؛
دعني، لمرة أخيرة، أقبل ابتسامتك، مادامت لديّ شفاه. هيا بنا الآن. أتعرّف على قدري.
هيا بنا.

اتجها نحو البوابة. أحس الحراس كما لو أنهم في انتظارهما. الحارس العجوز فتح الباب الكبير، خافضًا رأسه دائما كأنه في وضع ترحيب. بعد قليل سُمع صوت تأوه غليظ من رجل، صرخة نسائية مفجعة.. سكون شديد أيضاً.
فقط، في أدنى الحقل، أضــواء من بنادق الصــيادين ورفرفة رعب غير منتظمة من الطيور والحشرات. السلحفاة تتقلب بإصرار في شمال القصر. الحراس خلعوا قبعاتهم العسكرية وراحوا يمسحون أجزاءها الجلدية الداخلية بأكمامهم. حينئذ، وفي وسط فناء بوابة الأسـود، توقفت بقرة كبيرة، تحدق في عين سـماء النهار بعيون مبتلة سـوداء ونظرة ثابتة.

1966

قصائد إلى كفافيس

مختارات

مكان الشاعر

المكتب الأسود المنقوش، الشمعدانان الفضيان،
غليونه الأحمر، يجلس، تقريباً غير مرئي، على الأريكة،
يُبقي على النافذة دوماً خلف ظهره، خلف نظارته،
الضخمة المتأنية، يلاحظ محاوره،
في الضوء الكثيف، هو مخفي داخل كلماته،
في التاريخ، في شخوصه، البعيدة، الحصينة،
مراوغاً انتباه الآخرين في انعكاسات خاتم الياقوت الذي يرتدي،
وهو جاهز تماماً أن يتذوق تعبيراتهم، والمراهقون الحمقى يبللون شفاهم بألسنتهم لفرط الإعجاب.
وذلك الماكر، النهم، الشهواني، المعصوم الكبير،
بين نعم ولا، وبين الرغبة والندم،
كميزان في يد الرب يتأرجح كاملاً،
بينما ضوء النافذة خلف رأسه
يضع إكليل الأسف والقداسة.
«إذا لم يكن الشعر غفراناً، -همس وحده-
إذن، فلن ننتظر الرحمة من أحد.»

إطفاء المصباح

وتأتي ساعة الإرهاق الشديد. صباح منير،
غادِرٌ؛ - يُظهرُ نهاية ليلته السابقة، يُزيد من ندم المرآة المصقولة،

حافراً بحقد خدوشاً بجوار الشفاه والعيون، الآن،
لا فائدة من مؤانسة المصباح أو إغلاق الستائر.
ضمير النهاية الصلب فوق الملاءات حيث يبرد أثر الليلة الصيفية،
وتبقى فقط قليل من بكلات الشعر الساقطة – سلسلة مقطوعة-
نفس السلسلة تلك- من الذي دق على معدنها؟ لا،
الذكرى لا تفيد ولا حتى الشعر. ورغم ذلك،
في اللحظة الأخيرة، قبل أن ينام، انحنى فوق زجاج المصباح
كي ينفخ في شعلته، لينطفأ أخيرًا،
يدرك أنه ينفخ في أذن الأبدية الزجاجية
كلمة خالدة، تخصه تماماً، أثرا من نَفَسِه-
أنين المادة.
كم هو جميل أن يعطر دخان المصباح حجرته في الفجر.

مخابئ

«التعبير- يقول- لا يعني أن تقول شيئاً،
وإنما ببساطة أن تتكلم؛ وأن تتكلم هذا يعني أن تتخفى؛ - فكيف تتكلم؟»
وحينها صار صمته شفافاً
حيث اختفى كله خلف الستارة
متصنعاً أنه ينظر من النافذة.
لكن، ما إن شعر بنظراتنا في ظهره،
التفت مخرجاً وجهه من الستارة
بدا كما لو أنه يرتدي سترة بيضاء طويلة،
مضحكة بعض الشيء، لا تناسب عصرنا،
هكذا أراد (أو هكذا فضّل) معتقداً ربما
أن هكذا، بشكل أو بآخر، سيشوش على
شكوكنا، عدائنا، أو حزننا

أو ربما سيمنحنا شكلا ما
لإعجابنا المستقبلي (كيف تنبأ به).

سوء فهم

معانيه الغامضة الملتبسة هذه، لا تطاق؛ تضعنا في اختبار؛
وهو أيضاً يُختبر؛ يُخان بوضوح تام
عدم دقته، تردده، الجهل، جبنه
ونقص المبادئ الثابتة. بالتأكيد، سيورطنا
في نفس ورطته. وكان ينظر بعيداً
شجاعا ومتسامحا (مثل هؤلاء الذين لديهم حاجة للتسامح)
بقميص ناصع البياض، وحلة رمادية أنيقة
وردة الذهب في عروتها. رغم ذلك،
عندما رحل، وفي المكان الذي وقف فيه،
بدت لنا على الأرض
بحيرة صغيرة، حمراء، جميلة الخطوط،
تشبه خريطة اليونان تقريبًا، كرسم دقيق للكرة الأرضية
بشيء من العشوائية وكثير من الحدود غير الدقيقة،
- بحدود مطموسة تقريباً داخل الألوان المتشابهة-
كرة أرضية في مدرسة بيضاء مغلقة، في شهر يوليو،
حيث يغيب كل التلاميذ، في ريف ساطع الشمس على الشاطئ.

الساعة الأخيرة

عطر ما بقي في حجرته، ربما
من الذكرى، وربما يأتي من النافذة المواربة في الليلة الربيعية.
كان يفصل الأشياء التي سيأخذ معه.
غطى المرآة الكبيرة بملاءة. وما زالت

في أصابعه تلك اللمسة من الأجساد الجميلة
واللمسة، الفريدة، لقلمه- لا ليس تضاداً؛
إنه الاتحاد الأسمى للشعر. لم يشأ
أن يخون أحداً. اقتربت النهاية.
سأل لمرة أخرى: «كأنه امتنان، أو الرغبة في الامتنان؟»
تحت فراشه بدا حذاؤه المنزلي العجوز. لم يشأ أن يغطيه-
(آه، بالطبع، أحيانا). فقط، عندما وضع المفتاح في جيب صدريته الصغير،
جلس فوق حقيبته، في منتصف الحجرة،
وحيداً تماماً، وأخذ يبكي، مدركاً،
لأول مرة وبدقة شديدة،
براءته.

الـ 12 قصيدة إلى كفافيس كتبت في أثينا في خريف عام 1963

تاناغريات

مختارات

الخزّاف

يوماً ما، كان قد انتهى من صنع الجرات، الأواني، الأوعية. وتبقّى لديه قليل من الصلصال. صنع به امرأة. صدرها
كبير ومنتصب. عاد إلى بيته متأخراً.
تذمرت منه زوجته وشكت. لم يرد عليها. في اليوم التالي
استبقى مزيداً من الصلصال، وأكثر في اليوم الذي يليه.
لم يعد إلى بيته. هجرته زوجته.
عيناه تحرقانه. نصف عار. بحزام أحمر على خصره.
ينام طوال الليل مع نساء من الفخار. وعند الفجر
تسمعه يغني خلف مخزن الجرات.
خلع حزامه الأحمر. عارياً. كما ولدته أمه. وحوله
الأواني الفارغة، الأوعية الفارغة، الجرات الفارغة، النساء الجميلات، العمياوات، الصماوات، بأثداء معضوضة.

الزمن

مع الوقت تعتاد. تكبر ذقنك في وقت أسرع
وكذلك أظافرك. باب حجرة الطعام القديم منذ شهر قد دهنوه باللون الأزرق- أزرق فاقع
لا يناسب على الإطلاق بقية ألوان البيت الهادئة. دهان هذا العام
له رائحة شباب براق؛ - في أيام قليلة ذهبت رائحتها. لكن قطرات الدهان الزرقاء تلك على الأرضية
كانت مثل فتات سماء جاف قد أكلتها
بعض الطيور الصماء الرمادية المجهولة ذوات المنقار المعقوف.

انعكاس المرآة

أكل الزئبق مساحات متفرقة من المرآة
لهذا عند النظر إلى وجوهنا كنا نرى في نفس الوقت
الجزء الداخلي من خزانة الملابس، - ذلك الأزرق الرمادي، الذي لا شكل له،
ريشة نعام من قبعة الأم القديمة،
السيف البحري، الحمالات البنفسجية، مشبك ذهبي
من حزام عتيق جميل، لامرأةٍ شهية
أو حلل الأموات السوداء المتصلبة. وكل هذه الأشياء
كنا نراها خلف وجوهنا أو من خلالها أو أحياناً من ثقب مظلم في منتصف جباهنا.

صليل

لا مبال، مع تلك اللامبالاة العميقة الجميلة للجسد
(ربما تكون نهاية رعب عتيق)
بأقدام حافية، مثل غجري متشرد، بلا وطن، يعمل
مع خاماته الأولية الماء والتراب، خارج الأفنية
يلمع ويصلح النحاس القديم، صواني، هاونات، أواني الطبخ. ثم
مشتعلاً، عاري الصدر، جميلاً، حاملاً بالمقلوب
صينية لامعة بكلتا يديه
يرسل إلينا بانعكاسات الشمس في أعيننا. قبل أن يدركنا الضحك،
استوقفنا هو أوّلاً، بضحكه.
بينما، كان يلمع كله من بريق أسنانه وعضلاته
ألقى بنفسه في الرقص، ضاربا على الصينية كالدف فوق رأسه.

كتبت في كارلوفاسي في يناير 1967

الجدار داخل المرآة

مختارات

وطننا

صعدنا فوق التل لنرى وطننا-
حقولاً معدودة، فقيرة، حجارة، أشجار زيتون.
أشجار الكروم تزحف نحو الشاطئ. بجوار المحراث
دخان من نار صغيرة. ملابس الجد
صنعنا منها فزاعة للغربان. أيامنا
تسير في طريقها من أجل قليل من الخبز وكثير من الإشراق.
تحت أشجار الحور تظهر قبعة من الخوص.
الطائر على الجسر. البقرة صفراء.
كيف بيد حجرية صنعنا بيتنا وحياتنا؟ الدخان
فوق العتبات، عامًا بعد عام، من شموع عيد الفصح-
صلبان صغيرة سوداء حفرَ الأمواتُ
وهم عائدون من عيد القيامة. كم يُحب هذا الوطن
بصبر وفخر. كل ليلة من البئر الجافّة
تخرج التماثيل بحرص وتتسلّق الأشجار.

انعزال

ارتقى التل، توقف، نظر حوله.
حجارة تنحدر إلى أسفل، تصطدم بالحجارة.

استقلال سري

هذه السحابات الخمس، متشابهات تقريباً، كأنّهن معروفات لنا

غامضات وجميلات بشكل ما، - ربما عددهنّ، أو من الممكن الاعتراف بأننا ما زلنا قادرين على العد. بعد قليل انتبهنا إلى فوارق الألوان-
الوردي يذوب في البنفسجي. حينها
سمعنا الصفارة. نهضنا. قاموا بعدنا
أمام البوابة واحداً واحداً. ابتسمنا نحن
عرفنا جيداً أننا بقينا خارج إحصائهم،
مع السحابات الخمس والقمر الشاب.

المحدد والغامض

إن المحدد صعب -يقول-؛ فهو يحددك؛ يضع دلائل أنت لست بحاجة إليها على الإطلاق، ولا هي موجودة حتى.
ينفخُ أنفاسه على زجاج النافذة. ليس لديه شيءٌ ليرسم بإصبعه- لا شمس ولا خيام ولا حتى طيور بعيدان الكبريت الخشبية.
خلف الزجاج المغطى بالبخار
البناية المقابلة تنقلب رأساً على عقب
تفرّغ في الجوّ كل المستأجرين أحراراً،
الأرائك، الأكواب، المكانس ومرآة كبيرة
(هذا الذي انتظرته قليلاً وتمنيته كثيراً)
تعكس شكلاً متدرجاً، أزرق، بلا عيون
مضادًّا تماما للموت كله.

أفق

يومًا ما بجُزرٍ وأسود رخامية،
ذلك المكان الذي يدمي ويؤلمك،
بأشواك صفراء حتى نهاية الحدود
عندما يهبط الجدي من التلّ

بأنف رزين، وزهرة بين أسنانه،
والحجارة خلفة تتدحرج نحو الشاطئ، هناك
حيث يسبح الجنود الهاربون
ينظرون أمامهم، في المياه البيضاء،
خطاً أحمر لدلفين جريح.

حضور

جبال عالية، سحب أعلى، متقابلة
بين أشجار وأساطير، في شواطئ شديدة الانحدار،
هناك حيث تردد بنقاء، الخطاب الجهوري
دون خوف من التأكيد، بينما، نحو الأسفل بقليل،
في صفين متراصين، صمتت التماثيل،
في الأبخرة المتصاعدة من حقول القمح الصفراء الزاهية،
عارية تماماً أمام الموت، بحلمات منتصبة.

سذاجة واضحة

نقاء منسي؛ سحابة وردية
فوق شرفة آيلة للسقوط؛ ورقة شجر
ورقة شجر هادئة، نبيلة، وحيدة. فوق الورقة
تجلس قطرة ماء؛ تلمع. فوق القطرة
يجلس طفل ويقرع الجرس.

اكتشاف المركز

حاصروه في دائرة. أصر أن يظل متأملاً، أن يلاحظ. أخذ بعض الخطوات داخل الدائرة، في فناء السجن الدائري. لم يتكلم. في الغروب استمرَ في دورانه منحنياً. ربما كان يدرس؛

ربما عرف أن لكل دائرة مركز
(أو أن لكل الدوائر نفس المركز؟)
على أيّة حال،
كان يبتسم من وقت لآخر، شاعراً أن فوق ظهره على ذلك الرقم الكبير الذي طبعوه له،
يجلس أكثر الطيور خفة، وأكثرها بياضًا.

هذا، نعم

بحر هادئ. ظل السمكة
عبر فوق السمكة الأخرى. ظهراً.
ذلك ما رأيته، ذلك ما تكلمته،
ذلك ما لم تتكلمه، هذا ما حققته
في عمق، المستحيل الشفاف.

أول 56 قصيدة من المختارات «الجدار في المرآة» كتبت في مركز تجميع المساجين السياسيين في بارنيثا في جزيرة ليرو من نوفمبر 1967 حتى يناير 1968 الـ 77 الباقيات كتبت في أثينا وساموم من مارس حتى اكتوبر 1971. - قصائد «وطننا» و «استقلال سري» والموجودة أعلاه، مكتوبة في بارنيثا.

إعادات

الحلقة الثانية

مختارات

قبور أجدادنا

كان لابد أن نحافظ على موتانا وقوتهم.
فربما ينبش أعداؤنا قبورهم ويأخذونهم معهم،
وحينها،
بلا حماية منا، وكوننا بجوارهم، سنتعرض لخطر مزدوج. كيف كنا سنعيش
بلا بيوت، أثاثنا، حقولنا، بلا، قبور أجدادنا قبل أي شيء،
المحاربون، الحكماء، لنتذكر
كيف أن الأسبارطيين سرقوا رفات أوريست من تيغيا.
كان لابد
ألا يعرف أبداً أعداؤنا أين ندفن موتانا.
لكن
كيف كنا لنعرف يوماً من هم أعداؤنا
أو متى أو من أين سيظهرون؟ إذن، لا للأضرحة الفخمة،
والحلي المبهرجة- فهي تثير الانتباه والحسد. أمواتنا
ليسوا في حاجة لمثل هذه الأشياء على الإطلاق، - مقتصدين، متواضعين وصامتين الآن،
لا يعنيهم الشراب، العروض، الأمجاد غير المجدية.
بالأحرى
حجر عادي، أصيص ورد، علامة سرية،
أو لا شيء على الإطلاق. لتأكيد أكثر، لنحملهم بداخلنا،

إن استطعنا،
أو حتى من الأفضل ألا نعرف حتى نحن أين هم.
هكذا كما صارت الأمور في زماننا - من يدري-
فمن الممكن أن ننبش نحن قبورهم بأنفسنا،
أن نرمي برفاتهم يوما ما.

بعد الهزيمة

بعد كارثة الآثنيين في أغيوس بوتاموس، وبعدها بقليل
بعد هزيمتنا النهائية، - ولت الحوارات الحرة، وذهبت أمجاد عصر بركليس، ازدهار الفنون، الجمنازيوم ومناقشات الحكماء. الآن
صمت ثقيل في السوق وكآبة، ومجون الطغاة الثلاثين.
كل الأشياء (حتى أكثرها خصوصية لنا) تحدث في غيابنا، دون أي إمكانية للاستجارة، للدفاع أو الاعتراف،
أو حتى اعتراض تقليدي. في النار أوراقنا وكتبنا؛
وشرف الوطن في القمامة. وإذا سُمح لنا يوماً أن نحضر صديقا قديما للشهادة، لن يقبل خوفاً
فربما يصيبه ما أصابنا - وسيكون على حق.
لهذا
إننا على ما يرام هنا، - ربما اكتسبنا اتصالا جديدا مع الطبيعة
ننظر خلفنا إلى جزء من السلك الشائك جزء من البحر، الحجارة، الحشائش،
أو إحدى السحابات في وقت الغروب، عميقة، بنفسجية، متأثرة،
وربما
يوماً ما سيأتي كيموناس[8] جديد، سراً، سيقوده نفس النسر، سيحفر ليجد ذروة رمحنا الحديدية،
صدئة، ذائبة أيضاً، ويحمله بشكل رسمي

[8] كيموناس: أسطورة كيموناس والنسر واحدة من الأساطير الإغريقية الشهيرة.

في موكب حداد مجيد، مع موسيقى وأكاليل إلى أثينا.

ليروس،21، III، 68

ويقصها

هكذا انحط الناس، الأفكار، الكلمات، ولم نعد حتى نهتم
بالأمجاد القديمة والحديثة، لسيرة أريستيذيس[9]؛
وإذا شرع أحد ذات مرة في تذكّر الثلاثمائة أو المائتين،
منعه الآخرون ونهروه تماماً، أو شككوا فيه على الأقل. لكن
أيّامًا كتلك،
حيث يتحسن الجو، - يوم أحد، على مقعد، تحت أشجار الكافور،
في هذا الضوء الثقيل، - حنين سري يتملكنا
للعظمة القديمة- وإن قلنا رخيصة.
كأن الموكب قد تحرك في الفجر-
والبوّاق أمام الأساطيل المزينة من الخلف بجدائل العريش والأكاليل،
ثم الثور الأسود، وراءه الفتيان بجرات اللبن والنبيذ
لإراقته للأموات، وزجاجات جميلة من العطر والزيت-
لكن أكثر الأشياء إبهاراً، في آخر الموكب، حاكم البلاد، بثيابه الأرجوانية،
الذي لم يكن مســموحاً له طوال العام أن يلمس الحديد أو يرتدي لوناً غير الأبيض،
الآن كله أرجواني
وبالسيف الطويل معلّقًا بالخصر، يعبر الميدان بجَلالٍ
حاملاً إحدى جرات النبيذ نحو قبور الأبطال.
وعندما،
تم الانتهاء من غسل أعمدة الأضرحة وبعد الأضحيات الغنية،
رفع كأس النبيذ وأراقه على القبور، وشرع خاطباً:

[9] أريستيذيس: أحد القادة الأثينين الشجعان.

«أقدم هذه الكأس إلى أشجع الرجال،
الذين سقطوا
من أجل حرية اليونانيين» - قشعريرة كبيرة مرت
خلال أكاليل الغار؛
قشعريرة ما زالت تمر بين أوراق أشجار الكافور تلك
وهذه الملابس المرقعة، المتعددة الألوان، الممددة على
حبل الغسيل.

ليروس 22.3. 68

نحن و هيراكليس

كبير وعظيم، يقولون لك، ابن الإله، ومعلمون كثيرون فوق كل هذا: -
العجوز لينوس، ابن أبوللو، يعلمه الكتابة؛
إيفريتوس
فن إلقاء السهام؛ إيفمولبوس، ابن فيلاموناس[10]، الغناء والقيثارة؛ والأفضل من هذا كله، ابن هيرميس، الخطاف،
الذي كان حاجبه السميك يغطي نصف جبهته،
علمه جيدا فنون أرغوس: - المراوغة؛ - بها
كان يفوز في الكثير، الملاكمة، المصارعة، وحتى في القراءة والكتابة.
أما نحن، أبناء فانين، بلا معلمين، برغبتنا نحن فقط،
بإصرار واختيار وعذاب، أصبحنا ما نحن عليه.
لا نشعر بالدونية على الإطلاق، ولا نخفض أعيننا.
فقط مخطوطاتنا: ثلاث كلمات: ماكرونيسوس، ياروس، ليروس[11].
وإن بدت لكم أبياتنا يوما ما تنقصها البراعة، تذكروا فقط كيف كتبت

---

[10] فيلامنوس: شخصية أسطوريّة اشتهر بالموسيقى والغناء

[11] ماكرونيسوس، ياروس، ليروس: جزر يونانية كانت تشتهر بالسجون والمعتقلات السياسية

تحت أنوف الحراس، والسلاح دوما في جنوبنا.
ولا حاجة للأعذار، - خذوها عارية، هكذا كما هي، -
سيحكي لكم ثوكيذيذيس[12] عن تفاصيل بلاغة كسنوفون[13]

ليروس 32، 3، 1968

يأس بنلوبي

لم يحدث أن تعرفت عليه أمام ضوء المدفأة؛ لم تكن
خرق المتسول، التنكر، - لا؛ لم تكن علامات واضحة:
الندبة على ركبته، الشجاعة، المكر في عينيه.
مرعوبة،
أسندت ظهرها إلى الحائط، كانت تبحث
عن عذر،
مهلة، قليل من الوقت، كي لا تعطي إجابة،
كي لا يُغدر بها. من أجله هو، إذن، أنفقت عشرين عاماً،
عشرين عاماً من الصبر والأحلام، من أجل ذلك البائس،
السفاح ذي اللحية البيضاء؟ سقطت صامتة على أحد المقاعد،
نظرت إلى الخُطّاب القتلى على الأرض، كما لو كانت تنظر
إلى أفكارها وأشواقها الميتة. و: «مرحباً» قالت له،
وسمعت صوتها غريباً، بعيداً. في الركن كان نولها
امتلأ السقف بظلال متشابكة؛ وكل الطيور التي حاكت بخيوط حمراء زاهية على أوراق خضـــراء، فجأة، في ليلة العودة تلك، تحولت إلى اللون الأســـود والرمادي طائرة على سمائها المتدرجة آخر صبرها.

ليروس 12،6، 1968

[12] ثوكيذيذيس: أحد المؤرخين اليونانيين صاحب العمل الشهير «بوليبونيسوس»
[13] كسنوفون: فيلسوف وأحد تلامذة سقراط.

نهاية ذوذوني[14]

هكذا كما انهارت الآلهة، لم يعرف أحد إلى أي جهة يمضي.
المرضى ظلوا على أسرّتهم بعيون مغلقة.
تعفنت جواربهم داخل أحذيتهم. و وردتان في الكوب.
الماكرون تكيفوا بسرعة. ارتدوا أحسن مالديهم،
يمرون على السوق، يتجادلون، يتبضعون. تولوا الدفاع عن المعتدي. غيروا أسماء الشوارع والمعابد- بدائل هزيلة. زيوس وذيوني[15] أعطوا مكانيهما للمسيح والعذراء. الرب ألغاها كلها- أي أضرحة وقداسات، وتلك الشجرة الكبيرة المزينة بكل هذه القرابين.
ورغم ذلك ما زال
هناك كثيرون (والأفضل منهم) الذين لم يقتنعوا، يعترضون، يحلمون، يتمنون. نحن، القلائل (الذين، على أيّ حال، نفكر) اعتزلنا تلك الرفاهية، ومن نفس الفكرة؛ نحفر حقلاً صغيراً؛ وأحياناً ننظر إلى السحاب،
هادئين، تقريباً آمنين. يوماً وجدنا في أحد الخنادق
ذلك التمثال ملقى، الذي كان يضرب بعصاه الأواني المعدنية معطياً أصواتاً تنبؤية. أثر بنا لقليل من الوقت. قلنا نحفظه.
من أجل ماذا؟
أنحتفظ به كتحفة موروثة؟
وإذا وجدوه لدينا؟ تركناه هناك في مكانه. رمينا عليه حفنتين من التراب.
الكلب كان متعجلاً. يشم الشجر. وكانت قطرات المطر الكبيرة تسقط.

ليروس، 7-5-68

---

[14] ذوذوني: مدينة يونانية كانت مركز عبادة الإله زيوس رب الأرباب في اليونان القديمة. وما زالت موجودة حتى الآن بنفس الاسم.

[15] ذيوني: شخصية أسطورية.

الجلالة والغار

قلنا: هذا العام سنبقى هنا. كفى. يا لها من غارات غبية.
حكمة الإنسان الوحيدة: العزلة، ما عسانا نجري الآن،
بالليل، بشعلات، متعرقلين بالحجارة، دون أن نعرف
معنى هذه الرمزية التافهة – إعداد الكوخ الخشبي،
الموكب السري وطفل على رأسه، السهم المثبت على الباب،
ثم حرق الكوخ، والناس تجري نحو الطبول
دون أن يلتفتوا برؤوسهم نحو الخلف ولو مرة. وبعد تلك التضحيات،
نعود ثانية محملين بأغصان الغار. ونفس الشيء يتكرر
كل تسع سنوات (ربما لننسى في هذه الأثناء؛ - والحقيقة أننا نسينا). لا؛
هذه المرة لن نتحرك خطوة، - هكذا قلنا. لكن عندما سُمعَت
من بعيد طبول الليل ومرّ حاملو المشاعل بلا صوت من أمام المنزل،
لم نحتمل ثانية، قفزنا إلى الشارع، حُشرنا بين التجمعات،
شـــاركنا في النار، في الهروب، في التضــحيات، وعدنا من طريق بيثياذا نحو دلفي، مرّ
منتصف الليل، ونحن نحمل
الغار والغار، وعجزنا (لسنوات مضت)
عن تكليل أحد -
وكان ثمة حزن، وفخر في نفس الوقت، حيث لم يعلم أحد،
والكل قال إننا معه. – ما زال الكوخ يدخن.
في طريق العودة للمنزل،
نظرنا إلى السماء، صافية، لبنية، هادئة، وردية؛
نظرنا إلى التراب
أوراق مضغوطة من أثر الأقدام، صندل طفل، منديل عليه منيّ؛
نظرنا بهدوء، بتفحص، بنبل غامض ودوخة، بإرهاق ممتع وانبهار السهر،

كممثلين نزعوا تواً الطلاء من على وجوههم، في نهـايـة يوم عرض جميـل، خرجوا محتفظين في سمعهم النائم بصدى تصفيق الجمهور غير المُجد بشيء من الضيق، كما لو بقي قليل من الصمغ على فكهم من الذقن المهيبة المستعارة

ذقن أوديب وبروميثيوس، والتي ارتدوها مرة أخرى في هذه الليلة.

كتبت في مركز تجمع المساجين السياسيين في بارنيثي في جزيرة ليروس من 17 مارس حتى 29 أكتوبر 1968.

إعادات

الحلقة الثالثة

مختارات

الشمال الضائع

علمنا جيداً أن القطب الشمالي غير موجود
بعيدا عن سلاسل الجبال الحادة، ومهما كانت حدودها الجميلة،
طبقاً لاكتشافات الجغرافيين، تتحرك إلى أماكن أبعد.
اليوم تأكدنا:
كانت البلد مجرد خيال من حيث كان يأتي لنا البجع والسمان،
وحيث بنات الشعب الفاضلات أعددنَ أول فاكهة الحصاد للآلهة، بعناية غلفناها
بقش القمح والورق الرفيع.
والآن نتساءل
أين كان يا ترى يرحل أبوللو كل شتاء
بعربته التي يجرها البجع المتلألئ والغريفين[16]،
ضارباً على قيثارته، عندما كنا نحن ننتظر عودته شهوراً وشهوراً دون جدوى
نؤلف في البرد ألحان أعياده؟
أم لم يعد ربما لأبوللو ولا للقيثارة وجود؟

رغم ذلك مازلنا مستمرين في اللحن نصف المكتمل
تاركين فاصلاً فارغًا في مكان الاسم، ربما
يأتي أحد جديد ونضع اسمه في الساعة الأخيرة،

---

[16] الغريفيين: حيوان أسطوري.

لكن دوما هناك خوف من عدد مقاطع اسمه،
أكبر أو أصغر، كي لا يفسد لنا الوزن.

كارلوفاسي 7-6-69

حياتنا في فاريس

صرنا متشائمين جدا من كثرة سوء الحظ –
ننتبه إلى ظل الطيور وأوراق الشجر،
نصغي إلى أصوات غير مسموعة، نسير إلى الخلف،
ندخل المعبد عصرًا ببطء، على أطراف أصابعنا،
نحرق البخور في البيت، نلقي الزيت في المصباح،
نضع عملاتنا النحاسية في مذبح القرابين،
نتقرب إلى أذن الإله ونسأل بهمس:
«متى؟»، «من أين؟»، «بماذا؟». وبعدها مباشرة
نغلق آذاننا جيداً؛ نرحل. عندما نصل خارج السوق، ننزع أيدينا من على آذاننا مرة واحدة –
وأول كلمة تصلنا هي الإجابة
التي يرسلها لنا الرب. أبداً لم يصادف أن تكون هذه الكلمة هي الكلمة التي نتمناها –
ربما لم نسمع جيداً. ثم نبدأ من البداية نفس الخطوات المملة –
المعبد، المصابيح، المذبح والسوق، حتى الساعة التي يغلقون فيها المحلات، يطفئون المشاعل،
ونحن، في الشارع، وحيدين، نسير بجوار الجدران،
نفحص تلك الكلمة حرفا حرفا، نغير ترتيب مقاطعها، دون أن ننتهي يوماً إلى الذي نريده.
هكذا، نهدر حيواتنا هنا في فاريس
بين السوق الهادئة وبين نبوءة الشؤم.

كارلوفاسي 17-6-69

الـ «أو» البديلة

وصرخ أريس بردائه النحاسي
كصرخة تسعة أو عشرة آلاف رجل وهم يتجمعون للحرب

الإلياذة، 859- 861

عندما غرس سـهم ذيوميذيس[17]، مسـاقا من يد الإلهة في ضـلوع الإله المتوحش، ذي القبعة النحاسية، أريس
حينها
أطلقت صرخة أرعبت الآخيين والطرواديين،
لماذا (يقول الشاعر) كانت كأنها تسعة أو عشرة آلاف محارب عتيد صرخوا في آن واحد.
آه، هذه الـ «أو»-
تعبير مراوغ ودقة نبيلة في نفس الوقت،
ابتسامة مترددة لحكمة غير معدية ولا متورطة
والذي يتجه هازئاً نحو نفسه ونحو الآخرين
وهو يعلم جيداً أن الدقة مسـتحيلة، وأن الدقة غير موجودة، (لهذا فالتباهي بالثقة غير مغفور، - ليحفظنا الرب).

«أو»، هي تعبير عن البديل، نتيجة متواضعة لطقس الغموض،
رد عميق لتعدد الجوهر والظواهر،
معك نواجه صعوبات العيش والأحلام،
وكثرة فوارق وتدرجات الأسود حتى الأبيض الخفي.

كارلوفاسي، 18-6-6

كتبت في كارلوفاسي من 30 مارس حتى 27 يوليو 1969

---

[17] ذيوميذيس: أحد الأبطال الأسطوريين والذين شاركوا في حرب طروادة.

حجارة

مختارات

وسيلة للتفاؤل

حقود، - كان يذكر كل الأجزاء المظلمة – كان
يضع تحتها خطوطًا
كان يعممها أيضاً، بشكل عشوائي ومقنع في نفس الوقت –
نظام
عميق، مظلم، وربما متوقع. كل الأشياء قاتمة،
سوداء تقريباً –
أثاث، وجوه، نوافذ، الزمن. رغم ذلك بقي شكله مضيئاً،
ينضح ببعض السعادة الغامضة – ربما
لقدرته
على التمييز في الظلام، أن يميز الظلام، ويميز أيضاً
الرصاصات البرونزيات الأربع يلمعنَ في العمق، على الفراش الكبير
حيث كان يستريح زوج الأموات الجميل في وضع جماع.

بلا ثقل موازن

اشمئزاز – قالت – اشمئزاز؛ سد آذانك، أنفك، أغلق عينيك.
أن تسمع ماذا؟ لترى ماذا؟ سبع رصاصات، ثماني رصاصات.
والقاتل مقتول، والآخر نفس الشيء،
هنا وهناك. إلى أي اتجاه تنظر؟ ماذا عساك أن تقارن؟
كل الأعلام موزعة على مدار السنة،
ولا علم واحد حتى منصوب في الشرفات على منتصف السارية،

جرائد قديمة تطفو على الماء، بجوار الغرقى.

68-6- 5

منتصف الليل

خفيفة، متشحة بالسواد، - لم تُسمع خطواتها قط.
عبرت الممر. مصــباح الشــارع مطفأ. وبينما كانت تصــعد الدرج الحجري، «آلت» نادوا
عليها. وجهها
كان البخار يتصاعد في الظلام من وجهها، ناصع البياض. تحت مريولها
كانت تخبئ الكمان. «استوقفوها» هيييي؟ لم تتكلم.
وقفت ثابتة؛ يداها مرفوعتان عاليا؛ كانت تقبض على الكمان
بين ركبتيها. وتبتسم.

68-6-15

سرطان

وفجأة كل شيء ابتعد - الأشكال، الأشجار، البحر،
الأشياء، الأحداث، الشعر، - بعيداً، فأبعد،
على الشاطئ الآخر- رآها، لم يرها.
هل تركته الأشياء ورحلت أم تركها هو؟ الموت
ساكن، ينظر إليه حتى نهايات أظافره. كل ليلة
قبل النوم وبعده، كان يداوم على غسل أسنانه
بفرشاته القديمة المتآكلة،
مظهراً ابتسامته الأخيرة بيضاء بالطبع نظيفة.

68-7-27

خاتمة

الحياة، - جرح في العدم.

68-7-27

ليل

شجرة كافور عالية مع قمر عريض.
نجمة ترتعش في الماء.
سماء بيضاء، فضية.
حجارة، حجارة مخدشة إلى أعلاها.
سُمعَ في الماء المجاور الضحل
ثاني، أو ثالث قفزة سمك في الماء.
يُتمٌ كبير، مذهول - حرية.

68-5-21

كتبت في معسكر المساجين السياسيين في بارنيثي من 15 مايو حتى 21 أكتوبر 1968.

ثماني عشرة أغنية شعبية للوطن المر

مختارات

1. إعادة تعميد

كلمات فقيرة تعمّد في المرارة والبكاء،
تخرج أجنحة وتطير- طيور تغني،

وذلك الكلام المخفي- هو كلام الحرية،
بدلاً من الأجنحة يُخرج سيوفاً ويمزق الهواء.

2. حوار مع زهرة

أعشاب، أعشاب، في شرخ الصخرة،
من أين لك الألوان وكيف نبتِّ، من أين لك البراعم وتهتزّينَ؟
- داخل الصخرة أجمع الدم قطرة قطرة،
منديلاً ورديًّا غَزلتُ وشمساً أحصد الآن.

4. شعب

شعب صغير يحارب بلا سيوف ولا سهام
من أجل خبز العالم كله، النور والأغنية.

تحت لسانه يحمل التنهيد والهتافات
وعندما يشرع بغنائها- تتشرخ الحجارة.

8. يوم أخضر

يوم أخضر ومشمس، شاطئ جميل وممتد
أجراس وأصوات الغنم، عريش وخشخاش،

البنت تغزل جهازها والفتى يصنع أقفاصًا
والجِداءُ في كل مكان ترعى الملح الأبيض.

9. قداس

تحت أشجار الحور سرب من الطيور ورفقة من البحارة
قداساً بدأوا مع شهر مايو الجديد،

أوراق الشجر تظهر شموعاً في حوش الوطن
ونسر من أعلى يقرأ التوراة.

12. بنات نحيفات

بنات نحيفات على الشاطئ كن يجمعن الملح
منحنيات جداً، مريرات جداً، لم يكن ينظرن إلى البحر.

وشراع، شراع أبيض، يومئ لهن من البحر الأزرق
ولأنهن لم يسرحن فيه
. اسْوَدّ شوقهنّ

14. شاهد قبر

الفتى الذي سقط على رأسه عمودياً

لم تغطه الأرض، لم تلمسه دودة-

صار الصليب على ظهره جناحاً يشده إلى الأعالي
ويرافق النسور الجسورة والملائكة الذهبية.

15. هنا النور

ذلك الرخام هنا لا يصيبه الصدأ
ولا سلاسل الروم ولا قدم الهواء.

هنا النور، هنا البحر، - ألسنة زرقاء ذهبية،
على صخر خفيف تضرب، وتأكل الحديد.

18. لا تبكِ على روح اليونان الحديثة

لا تبكِ على روح اليونان الحديثة- فعندما تنحني
والخنجر مغروس في العظم، والحبل ملفوف حول العنق

ها هي، تقفز من البداية، تنهض وتقوى
وتصيد الوحش بصنارة الشمس.

كتبت كلها ما عدا الـ 17 والـ 16 في معسكر السجن السياسي في بارنيثي في جزيرة ليروس 16 سبتمبر 1968. الـ 16 والـ 17 تمت كتابتهما في

كارلوفاسي 1 مايو 1970

سياج حديدي
مختارات

استدعاءات

يقول، كان لابد أن يحضر في أسرع وقت ممكن- هذا مكتوب في أمر الاستدعاء.
أين؟ متى؟ أمام من؟ لأي استجواب؟ في أسرع وقت ممكن يقول.
نظر إلى الورقة من الناحية الأخرى. لا شيء. نظر إليها ثانية.
أخفاها
تحت حشية الفراش. أخذها مرة أخرى. وضعها داخل خزانة الملابس.
بعد ذلك خبأها في فجوة في الأرضية، دخل غرفة نومه،
أغلق مصراعي النافذة، أوصد الأبواب، دخل غرفة النوم،
ألقى نظرة متعجلة في المرآة، خلف الستارة،
أخرج الورقة، دخل الحمام ببطء، قطعها إلى أجزاء صغيرة،
ألقاها في حوض المِرحاض، بينما كان يرفع يده ليجد سلسلة السيفون؛
الأول ذو الخوذة قبض على أصابعه، الاثنان الآخران أمسكا به من كتفيه.

1969.21

تفتيش

تفضلوا أيها السادة، - قال، لا توجد أيّة مضايقة على الإطلاق.
فتشوا كل شيء؛ ليس لدي ما أخفيه. هنا حجرة النوم،
هنا المكتب،
هنا حجرة الطعام. هنا؟ - مخزن الأشياء القديمة؛ -
كل الأشياء تبلى يا سادتي؛ لقد امتلأ، كل الأشياء
تبلى، تبلى،

وعلى عجل أيها السادة. هذا؟ - خاتم؛ - كانت ترتديه أمي؛
ذلك؟. مصباح أمي، مظلتها -كانت تحبني كثيراً؛ -
لكن هذه البطاقة الشخصيّة المزيفة؟ المجوهرات الغريبة؟ المنشفة المتسخة؟
هذه تذاكر مسرح؟ القميص المثقوب؟ بقع الدم.
وهذه الصورة؟ صورته، نعم، بقبعة نسائية، مليئة بالزهور،
مهداة إلى شخص مجهول - وهذا الخط هو خط يده -
من الذي وضعها هنا؟ من الذي وضعها هنا؟ من الذي وضعها هنا.

1969.2.5

إيماءات

مختارات

المدينة الأخرى

- يقول- هناك عزلات متقاطعات، أعلى وأسفل
وأخريات بينهم؛ مختلفات أو متشابهات، حتميات، حاسمات
أو مثل المختارات، مستقلات - متقاطعات دوماً.
لكن في العمق، في المركز، توجد عزلة واحدة - يقول:
مدينة صماء، دائرية تقريباً، بلا أي إعلانات كهربائية ملونة إطلاقاً،
ولا محلات، ولا دراجات نارية،
بفراغ أبيض، وحيد، ضوء ضبابي، متقطع
من شرر الإشارات المجهولة. في هذه المدينة
يسكن الشعراء منذ سنين. يسيرون في صمت
بأيدٍ مربوطة متقاطعة،
يتذكرون أحداثاً، كلمات، أماكن، منسية، غامضة،
تلك التي تواسي العالم، هؤلاء هم مواسو العالم، هم غير المواسين الدائمين،
والمطارَدون
من الكلاب، الناس، العثة، الجرذان، النجوم
ومطاردون من أفكارهم اللحوحة والكلمات التي لم ينطقوها.

وسائل التوصيل

مواقع كثيرة، مع التكرار، تأخذ معاني أخرى
من ليلة إلى ليلة، من ممارسة إلى أخرى والكلمات نفس الشيء
شيئاً فشيئاً يصيبها الوهن، تتقعر؛ وداخل هذا التقعر
تصدر بوضوح صوتاً أو غموض الزمن والطريق

عندما تمر عربات محال الورد، السماك، البقال
محملة بالورود والأسماك والخضروات؛
والعربة الأخرى السوداء،
بالنائمين الشاحبين، تمضي قدماً نحو الخلود، بهدوء
ونبل، وذلك بالضبط لأن الكلمات تقعرت
مثل الذاكرة القوية، بترس دائري، حيث
كل طريق بمثابة دائرة، والأموات يعودون إلى
موقف القيامة (حيث كلام الإنسان)
يحملون الشمعة، الصمت، شريطًا أبيضَ و وردة-
داخل الوردة يوجد جعران مبثور باللقاح.

إرشادات

المعلق والشجرة؛ - آه، لا؛ المشنوق
مما لا شك فيه أنه لابد أن يُترك - ثقيل جداً ذلك العمودي؛
يقسم اللوحة لاثنتين، يهدم علاقة الحروف؛ ربما
الميل يليق؛ -
كثافة الهواء، بقعة حمراء، سوداء؛
وتوأم الظل الذي يستمر بعيداً عن السبورة، في الخارج
حرا، غير متأثر (لم يعد هذا من شأنك) ربما يكون
ظل زوج من الطيور التي حلقت بحذائه المهترئ
من فوق نجاري الضاحية، فوق الغيوم.
والتراب (خلف اللوحة) في ركن محجوب ويحمل
اللوحة المرسومة على مسمار معلق على حائط في غرفة الطعام.

إنسان

إنسان غريب، حقيقةً، ذو نظرة خرقاء،
خطوة خرقاء. بداخله (كنا نعرف هذا بالتأكيد)
لم يجمع أبداً صوراً، ولا نسخاً - بل الأشياء نفسها
جبال الصنوبر الجميلة تلك، التل ذا الثلاثة أعمدة،
شجرة الزيتون أسفل التل، الحصان الأحمر، الدرج المنحوت في الصخر والذي يؤدي
إلى المنزل الذي يصعد منه الدخان،
كوبينِ على صينية فضية. عندما يغلقون عليه،
يصعد
جبال الصنوبر تلك (داخل جسده)، يجلس على الصخرة،
ينظر إلى البحر، يربت على ورقة من شجرة الدلب عريضة على ركبتيه
كأنه يسوي حرفاً قد تعرج عليها من الغضب أو من الحزن.

مراقبة

خلف الصبار مر الحمال بحصانه
قال - رأيته؛ أعرف أشجار الصبار؛ لا أعرف الحمال.
عصفور طار من السقف؛ جلس على غصن؛ طار ثانية.
منشفة تتأرجح على حبل الغسيل- خط أزرق،
آخر أحمر، برتقالي، - تتماوج فوقهم
ألاحظ
إيماءات الريح غير المنتظمة (كأنها تهديدات .ليست كذلك).
أنا سعيد أني مازلت أراها - يقول. وأنا الذي يروي
ما يلعبه العميان على آلاتهم الموسيقية على نواصي الطرق.
الأكورديون والقيثارة إنها أقنعة قديمة لأبطال خائفين لأن الأبطال، يخافون أكثر منا
جميعاً لكنهم يتظاهرون.

إذابة

أحياناً تأتي الكلمات وحدها تقريباً، مثل الأوراق على الشجر-
بالطبع، الجذور، محجوبة، الطين، الشمس، والماء قد ساعدوا،
وساعدت الأوراق المتعفنة السابقة. ثم
المعاني
تلتصق بسهولة فوقها مثل العنكبوت على أوراق الشجر؛
التراب
وقطرات الندى تتلألأ ببريق متذبذب.
تحت الأوراق بنت صغيرة تشق بطن دميتها العارية؛
قطرة تسقط على شعرها؛ ترفع رأسها؛
لا ترى شيئاً؛
فقط في كل جسدها ذابت شفافية هذه القطرة الباردة.

قصة

المخططات لم تفد في شيء - تنقلب كل حين،
مثل تلك الحافلة في الريف، - الغالبية قتلت،
والآخرون حُمِلوا إلى أقرب مشفى؛
عجلة
انحدرتْ إلى أسفل؛ ووجدها طفل؛ صنع منها عربة يدوية
يدور بها الآن في الضاحية؛ يبيع البرتقال؛
البرتقال يتلألأ،
كومة من الشموس غير الهامة. بهذه البساطة نمر. بكل بساطة نتكلم، ننسى، نعتاد.
بهذه البساطة نُنسى.

إزهارٌ غير طبيعيٍّ

أراد أن يصرخ - لم يعد يحتمل. لم يكن هناك أحد يسمع؛
لم يكن أحد يريد أن يسمع. كان نفسه يخاف من صوته،
كان يخنقه بداخله. كان صمته ينفجر. كانت أشلاء من جسده
تنطلق في الهواء. كان يجمعها بحرص شديد،
في سكون تام،
يضعها في مكانها كي يرتق الثقوب. وإذا وجد مصادفةً
زهرة خشخاش، زنبقًا أصفرَ، كان يجمعها أيضاً،
ويضعها
في جسده، كأنها قطع منه، - مثقوب هكذا،
مزهر بشكل غريب.

الإيماءات كتبت في كارلوفاسي من سبتمبر 1969 حتى مايو 1970.

هيلين

مقتطفات

(من بعيد كان التدهور واضحاً - جدار غير مجصص، متساقط، نوافذ بالية؛ أعمدة الشرفات صدئة. ستارة مصفرّة مهترئة من جزئها السفلي تتطاير خارج نافذة الدور العلوي.

عندما اقترب، - متردداً دائما، - نفس الإهمال في الحديقة: نباتات كثيفة، أوراق طويلة، أشجار غير مقلمة؛ الزهور النادرة مخنوقة في النبات القراص؛ النوافير بلا ماء، متعفنة؛ نباتات متحجرة على التماثيل الجميلة. سحلية ثبتت ساخنة على صدر تمثال أفروديتي الشابة، كم سنة مضت على آخر شعاع غروب. كان شاباً وقتها؛ - اثنان وعشرون؟ ثلاثة وعشرون؟ وهي؟ لم يكن من السهل أن تعرف، - كان سطوعها كثيفاً- يعمي العيون؛ يخترقك؛ - لم تعد تعرف ماذا كان؛ إذا كان، أو كنت. طرق جرس الباب. سمع الرنين من الخارج، يشعر وحيداً في مكان يعرفه جيداً، مرتب بشكل مجهول، بأقفال مجهولة، ألوان داكنة. تأخروا في الفتح. انحنى أحد من النافذة. لم تكن هي. خادمة، - شابة صغيرة، - شابة جداً. بدت وكأنها تبتسم. ابتعدت عن النافذة. تأخروا جداً. ثم سمعت خطوات من السلم الداخليّ. فتحوا أقفال الباب. صعد. رائحة تراب، فاكهة متعفنة، صابون جاف، بول. من هنا حجرة النوم. دولاب. مرآة معدنية. زوج من المقاعد المنقوشة البالية، مقاعد، منضدة من القصدير وفناجين قهوة وأعقاب سجائر. وهي؟ لا، لا، - مستحيل. عجوز- عجوز - مائة أو مائتي سنة.

قبل خمس سنوات- لا، لا. الملاءة بالية مثقوبة، هي هناك ثابتة؛ جالسة على الفراش؛ حدباء. عيناها فقط - مازلت واسعة جداً، متسلطة، نافذة، فارغة.)

نعم، نعم، - هذه أنا. اجلس قليلاً. لم يعد أحد يأتي
قد أوشكت أن أنسى الكلام. الكلام الذي لا حاجة له، أظن أن الصيف قد اقترب؛
اختلف اتجاه الستائر- كأنّهنَ يردنَ أن يقلنَ شيئاً، - هراء.

إحداهنّ خرجت بالفعل من النافذة، تبتعد، ستكسر التروس، ستذهب فوق الأشجار، - ربما ستطلب أن تشد البيت معها إلى مكان آخر - لكن البيت يصمد في كل أركانه، ومعه أصمد أنا، رغم أنني أشعر، منذ شهور، بالتحرر من أمواتي ومن نفسي؛
ومن صمودي هذا، المبهم، غير المرغوب، الغريب، إنه يخصني أنا فقط -
إنه وثاقي بهذا الفراش، بهذه الستارة - إنه
خوفي، وكأني أتشبث بكل جسدي بهذا الخاتم ذي الحجرة السوداء الذي أرتدي في أصبعي.

...

لقد مر زمن الصراعات؛ وعادت الرغبات
ربما نستطيع الآن أن ننظر في نفس نقطة العقم واللا جدوى
حيث أظن أن هناك، لا تحدث إلا المقابلات الحقيقية الصحيحة - ولو كانت غير مجدية،
لكن يبقى مجتمعنا الجديد - ساكنا، مهدئا، فارغا، هادئا،
بدون تحركات وخلافات، - فقط نقلب الرماد في المدفأة،
نصنع من الرماد من حين لآخر قارورات رماد طويلة وجميلة،
أو نجلس على الأرض ونضرب عليها بكفوفنا الصماء.

...

حقيقة، كم من الأشياء التافهة، ناتجة عن طمع كبير؛ -
تغلي في المكان - لم نستطع التزحزح، رُكَبُنا كانت تصطدم في الركب الخشبية، الحجرية المعدنية.
شخنا، كثيراً، حتى نصبح عادلين، حتى نصل إلى الحياد الهادئ، إلى اللا مبالاة المقارنة العذبة، في الأزمات،
حين لم يعد لمقياسنا وجود إلا في هذا السكون.

آه، نعم، كم من المعارك الحمقاء، البطولات، الطموحات، الغطرسات، تضحيات، هزائم وهزائم، ومعارك أخرى، من أجل أشياء كانت بالفعل

مقررة من آخرين، عندما كنا غائبين. والناس، الأبرياء
يغرسون دبابيس شعورهم في أعينهم، يضربون رؤوسهم
في حائط طويل، مدركين بالطبع أن الحائط لن يسقط، ولن يشرخ، ليروا من الشرخ
شيئاً من نور الزمن الأزرق
بلا ظلال وظلهم. رغم ذلك
- من يدري - ربما حين يصمد شخص بلا أمل، ربما حينها
تبدأ قصة الإنسانية، كما نقول، وجمال الإنسان
بين الحديد الصدئ وعظام الثيران والخيول،
بين حوامل عتيقة حيث يحرق قليل من الغار
والدخان يصعد نافخاً على الغروب شعر الصوف الذهبي.

انتظر قليلاً. حل الليل. الصوف الذهبي كما كنا نقول
- آه، التفكير
يأتي إلينا ببطء نحن النساء- يريح الذهن نوعاً ما.
على العكس، الرجال
لا يكفون أبداً عن التفكير، - ربما يخافون،
ربما لا يريدون
أن يروا خوفهم مجزّأً، أن يروا تعبهم،
أن يستريحوا -
جبناء، تائهين، منشغلين، يسيرون في الظلام.
ثيابهم
دوماً لها رائحة حريق مروا بجواره أو عليه دون أن يشعروا.
يخلعون ملابسهم بسرعة؛ يلقون بها على الأرض؛ يسقطون على الفراش. ولكن أجسادهم أيضاً
لها رائحة الدخان، - يخدرهم. في شعر صدورهم
كنت أجد، أوراق شجر رقيقة محترقة كما لو كانت نائمة
أو بعضًا من رماد ريشة طير مقتول. حينها

كنت أجمعه وأحفظه في صندوق-
العلامة الوحيدة
لاتصال سري؛ - لم أكشفها لهم أبداً؛ -
فلم يكونوا ليعترفوا بها.
وثمة لحظات، آه، نعم، كانوا جميلين، - وهم عراة، مستسلمين للنوم العميق،
على سجيتهم تماماً، مرتخين، بأجسادهم القوية
مبللة، طرية، مثل أنهار صاخبة قد انحدرت من جبال عالية في سهل هادئ، أو كأطفال مُهمَلينَ
حينها كنت أحبهم، حقيقة، كما لو كنت أنا قد أنجبتهم.
كنت أراقب رموشهم الطويلة
وكنت أود أن آخذها بداخلي لأحفظها، وهكذا
أتزاوج مع أجسادهم كلها.
كانوا نائمين.
والنوم يفرض عليك
الاحترام، لأنه نادرٌ. مرت هذه الأيام.
نسيت.

لا يعني هذا أنني لا أتذكر بعد، - ما زلت
أذكر فقط؛ أن الذكريات لم تعد بعد مؤثرة، -
لا تحرك مشاعرنا - ليس لها وجه، هادئة،
واضحة حتى أركانها الدامية. ذكرى واحدة فقط ما زالت تحمل هواءً حولها، تتنفس.
ذلك الغروب
كنت محاطة بصرخات الجرحى اللانهائية،
بلعنات العجائز وإعجابهم،
داخل
رائحة الموت العام الذي، لحظات لحظات، كان يبرق

فوق أحد الدروع أو على ذروة الحافة أو على واجهة معبد مهجور او على عجلة إحدى العربات، -

صعدت وحدي

على الأسوار العالية وتسكعت،

وحيدة بين

الطرواديين والآخيين، شاعرة أن الهواء يلصق عليّ أوشحتي الرقيقة، يوقف حلمتيّ، يُبقي على جسدي مستقيماً، متدثراً وعارياً، إلا من حزام فضي كنت أرفعه عاليا عند صدري -

هكذا، جميلة، بكر، مختبرة،

في الساعة التي كان عاشقاي يتباريان في المبارزة والتي كان يتقرر فيها مصير حرب دامت سنوات؛ -

لم أرَه يقطع رباط قبعة باريس[18]، ربما رأيت بريق نحاسها

بريق دائري، بينما الآخر كان يدور غاضباً فوق رأسه- ضوء كامل تافه،

لا يجدر أن تنظر إليه؛ -

النتيجه كانت مدبرة من قبل الإرادات الإلهية؛ وباريس

بدون صندله المترب، سيجد الفراش بعد قليل

مغسولا من قبل الآلهة، ينتظر مبتسماً،

كأنه يخبئ بلاصق أحمر جرحًا مزيّفًا في جنبه.

لم أكن أنظر إلى شيء آخر، ولا حتى كنت أسمع صرخات الحرب منهم -

أنا، كنت على الأسوار، فوق رؤوس الفانين،

هوائية، جسدية،

دون أن أنتمي إلى أحد، دون أن تكون لدي الحاجة لأحد،

كما لو كنت (مستقلة أنا) عن العشق كله، - حرة

من الخوف من الموت والزمن، بزهرة بيضاء في شعري،

[18] باريس (باريوس): هو خصم أخيليوس في (أسطورة) طروادة، الذي خطف هيلين.

ووردة بين نهديّ، وأخرى على شفتيّ
تخبئ
ابتسامة الحرية.
كانوا يستطيعون أن يطلقوا السهام على جوانبي.
كنت أثبت علامة
وأسير ببطء فوق السور، عمودية مستقيمة
في سماء المساء الذهبي الأرجواني.
أبقيت عيني مغلقتين
كي أسهل أي إيماءة عدوانية - مدركة
في العمق
أنّ أحداً لن يجرؤ. كانت أيديهم ترتعش من البريق
من الجمال ومن خلودي -
(وربما الآن بإمكاني أن أضيف:
لم أكن أخاف الموت، لأنني كنت أشعر أنني بعيدة عنه).
وقتها
ألقيت بالوردتين من شعري وصدري؛ -
والثالثة
أبقيت عليها في جسدي؛ ألقيتُ بهما على جانبي السور بحركة في منتهى الحرية.
وحينها الرجال في الداخل والخارج،
هاجوا وماجوا وداسوا على بعضهم البعض حلفاء وأعداء، كي يلتقطوا
تلك الورود، كي يهدوني - زهوري.
لم أر
شيئاً بعد ذلك - فقط ظهورًا محنيّةً. وكأنهم جميعاً
قد نزلوا بركبهم على الأرض، حيث الدماء التي جففتها الشمس؛ ربما بالفعل
يكونون قد داسوا على تلك الزهور.
لم أرَ.

حركت يدي،
رفعت نفسي على أظافر قدمي، وضِعتُ
تاركة الوردة الثالثة تسقط من شفتيّ.

كارلوفاسي، ساموس، مايو. أغسطس 1970

عودة إيفيجينيا

مقتطفات

(بعد منتصف الليل، ذات ربيع. غرفة كبيرة، مزدحمة بأشياء كثيرة، أثاث قديم. مصباح زيت، معلق، مذهب، يُلقي ضوؤه بظلال على المنضدة المستديرة في المنتصف، عليها مفرش مخملي أرجواني اللون، حيث توجد مزهرية نحاسية منقوشة بلا ورد، ليس في المنتصف، بل قريبة من طرفها، بجوار كوب من الماء. الأخ والأخت يجلسان تقريباً متقابلينِ، على مقاعد سطحية، بينهما المنضدة، لا يتكلّمان- كأنّهما في طقس اليقظة أو في وقفة وداع. داخل وخارج المنزل لا يُسمع شيءٌ- ولا حتى همس الليل، فقط النافذة مفتوحة. الخدم، قد شاخوا، من ظل منهم على قيد الحياة، ازدادَ سرية وغموضا، سوف ينامون بالطبع.. [...] الأخوان ما زالا صامتين بعد الكثير الذي تبادلاه أثناء رحلة العودة الطويلة، داخل الخطر الحاد الذي تفادياه والأخطار المجهولة التي كانت تحدق بهما. [...]رغم ذلك فالبنت وفي محاولة أخيرة؛ في موطن عزلتها، سعتْ للتحدّث أو طرح سؤالٍ ما؛ رَغم يقينها أنْ ليس ثمّة متّسع للسّؤال أو حتّى الإجابة. ربما كانت تريد أن تُظهر شيئاً من السذاجة لمرة أخرى، شيئا من البراءة وعدم الريبة والمعرفة - أن تجرب بلا أي هدف أن تغطي بشكل ما عدم التناغم السابق، الآتي، في صراحة حزينة ومهددة):

....

أُسُود البوابة الحجرية بخار؛ إذا نفخت فيها
تتزحزح، ترحل؛ والبوابة لا تقع
لأنه لا توجد بوابة على الإطلاق كي تدخل وتخرج،
فقط الملابس المبلّلة والمعلّقة على السلك
تتأرجح بغريزة لامبالاةٍ مكبّلة.

قل لي، إذن، لم كل هذا؟ - ما الذي حدث؟ جرائم، حملات عسكرية
انتقامات، سفن غرقى، مدن مهدومة وفوق الأطلال عمود شاهق

(هل انتبهت إلى هذه الصورة في حجرة الأب؟) فوق العمود
أعمى رخامي واقف بقيثارة
تظنه يحدد بوقفته العمياء
غياب أي معنى.
ونحن، -
ها نحن في أرغوس، على التراب الأحمر
حيث خطونا أولى خطواتنا كي نبدأ، دون أن نجد الآن
لا أثر قدمنا ولا أثر
صندل الأم المبتل على رأس الدرج الطويل،
كما يقولون،
عندما تخرج من الحمام. ها نحن، هنا، منتصــرون كأننا مهزومون حققنا بنجاح هدفًا كبيرًا لم نكن قد حددناه لأنفسنا.
وانظر
تمثال الإلهة الذي كنا نحمله - انظر إليه فوق المقعد -
قطعة خشب صماء، عارية، غليظة. منذ سنواتي الأولى
قبل أفليذا[19] بكثير، كنت أشعر
أنهم قد ربطوا عيني بمنديل غريب، غيّروا من شكلي - لا أدري كيف-
ربما حولوني إلى ملاك
أو غزال أو فراشة- فقط لم أكن أدري ماذا ألصقوا بجوار كتفي (لا أعني علّقوا)
قفص بورود ورقية بيضاء
أو برنامج مسرح، وكان ضرورياً
أن أسير إلى الخلف حتّى أراه
أو شيء أشبه بأجنحة ورقية
التي كانت تقع من ثقلها بين الحين والآخر، آخذةً معها قطعة من جلدي؛ كانوا يلصقونها ثانية فوق جراحي، - ولم أستطع، طبعاً، أن أطير

[19] أفليذا: مدينة على مقربة من إقليم أتيكا الذي تقع فيه العاصمة أثينا.

ولا أســـتريح. وعندما كان يمر عقرب على قدمي لم أكن أســـتطيع الانحناء، كي أطرده.
واقفة فقط وبالأيدي فقط
مثل العميان، صرت أستطيع أن أتعرف على الهواء، الأشياء، الجدران.

أعلم، - أن نفس الشيء معك، عزيزي؛ وربما أسوأ.
أنت
ألصقوا بكفيك سكينين. لم تكن لتطير، مثلي لكن
لتجري. منذ تلك السنوات ونحن مريضانِ في رعاية ثالث.
في غرفتنا كانوا يدخلون، في أيّة ساعة، رجال متسلطون، مجهولون،
كانوا ينزعون قبعاتهم الكبيرة (ليس للاحترام، لكن لأسباب تعنيهم)
كانوا يتربعون على الأرائك، ويضعون قبعاتهم على ركبهم -
ربما كانوا يخفون فيها شيئاً - ربما شعر أيديهم الشائك أو بخار رؤوسهم الفاتر، كانوا يجلسون هناك. وينتظرون
الموت المؤكد؛ ينتظرون أن يأخذوا
المجد الذي، كانوا قد رتبوا له، ودفعوا كل التكاليف.

ونحن، كي نتهرب من أعينهم، كنا نغمض أعيننا بشـــدة تحت أيدينا التي كانت تضـعـف ساعة بعد ساعة، وبسرعة كنا نخبئها تحت آباطنا، كنا نغمض أعيننا بشدة ونرخيها كي تستريح (و، بالطبع، كي نختبئ)؛
كنا نغمضها
بإحكام، بإحكام بتمويه حتى تكون مرتاحة؛ - أعيننا، يا إلهي
أعيننا التي أوصدوها لنا تماماً، ولم يبقَ إلاّ
أن ننظر إلى الداخل، إلى الداخل أكثر؛ لكي نرى
ما هو أعمق من المُبهم، نرى تحت الخوف والألم
ذلك التواضع، المشجع، المعسول
ذلك الحرمان، الأليف، الأساسي، غير المحدود.
الخادمات الثلاث قد خرجن منذ فترة للتسوق؛ قد تأخرن؛

رائحة الطعام من المطبخ كانت ترقى الدرج
مقرفة وأكثر قوة من نفاد صبر جوعي؛
وبندول الساعة في غرفة الطعام لم يتوقف.

في ذلك الصيف كنت قد مرضت حقيقة. أذكر طبعاً،
أنه،
بعد مرضي، امتلأت بالبثور. وكنت أعرف:
كان المجهول قد انتفض بداخلي كالشجرة. صرت قبيحة جداً.
رغم كل التعاطف
أظهر لي أخوايَ مرضي بشدة
نفرا مني. تجنّبا النظر إلي
وكأنّي قد اقترفتُ بحقّهم شيئًا لم يرغبوا بالاعتراف به،
وكأني قد وشيت بأحد أسرارهم. هكذا
بقيت وحدي أخيراً، حتماً وحدي
اعتدتُّ على وجهي الجديد. تركوني وشأني
في أي غرفة كنت. كان باستطاعتي
أن أجرب مجوهرات أمي أمام المرآة -
أقراطًا طويلة مثل ذيول العصافير؛ أساور من ثعابين ذهبية حتى الكوع؛
هذه القلادة ذات القناعين المتجاورين
قناع تراجيدي، والآخر كوميدي
ملتصقان برابط أعلى آذانهم؛ - وهذا نادراً، ما كانت أمي ترتديه، -
وكأنها كانت تحترمه أو تخاف منه.
كان يعجبني
غربتهم الباردة تلك، حكمتهم السرية
تحت سطحهم دقيق الصنع. داخل المرآة
كان وجهي المظلم يذوب عندما يأتي الليل،
كانت خطوط المجوهرات تذوب؛ وكان يبقى فقط

شيء كالشذرات من حرائق قديمة فوق التل
أو بريق غامض ذاك الذي ربّما ولدت منه.

أذكر حينها أن أعياد الهالوين قد اقتربت. الأم
فكرت أن تلبسني غزالة. كانت قد جهزت بالفعل قناعًا جميلاً لغزالة صغيرة
ربّما يحجب عن الآخرين بثور وجهي. عندما ارتديته
شعرت أني غارقة في عمق مظلم، ورغم ذلك كنت أستطيع أن أرى من خلاله بوضوح أكثر.
كانت له رائحة دهان الزيت، ورق مقوى وصمغ، ورائحة فراغ ضروري أيضاً. استغربته بعض الشيء في اللحظات الأولى
لمسة خشنة على خدي-
كأن لم يكن يتسع لي. بعد قليل
تم وضعها بشكل صحيح دون جهد كبير. كنت أشعر بحماية جادة وبعيدة وبشيء من الحرية.
هذا القناع الجيد نزع عني تقريباً مسؤوليّة أيّة حركة لي. لم أعد أنا بعد؛
كنت الآخر؛ وتحت هذا الآخر، أو داخل هذا الآخر،
كنت أنا نفسي، أنا فقط. كنت أستطيع أن أقفز وهو شيء لم أكن أستطيع تقريره من قبل.
كنت سعيدة بسهولة الحركة، الاستحسان، مهارة حادة.
كلماتي
تنفذ عبرَ ممرّ الجسد الغريب، وتأخذ جرأة أخرى وصدى آخر.
ناطقة على لسان الغزلان (والغزلان لا تتكلم) كنت أكتشف بوضوح وبلا توقع
حقائقَ مذهلة وأصواتًا أعمق لم أكن أعرفها، ولم أكن أتخيلها.
وكان لدي شعور خاص بكلمة «النبع»، وربما أيضاً
دلال خفيف والذي قبل ذلك كنت أجده غير لائق بي.

مساء أمس، ذلك القناع وجدته

في أحد أدراج الأم، ملفوفًا بالقطن
في ورق حريري جميل، مربوطًا بأشرطة زرقاء في أماكن متفرقة
قد بهتت ألوانه، انسلّت خيوطه، أردت للحظة أن أرتديه ثانية؛ -
لم أجرؤ. أترى
منذ ذلك الحين دخلت غزلان أخرى، أفعالٌ أخرى، حروب، أساطير
ولم يكن صعباً تطبيق جلد على جلد.
...
ماذا ننتظر إذن في هذا الخراب؟ أي شيء ننتظر بعد؟ -
لماذا (لا يجدي أن نخفيه):
مازلنا ننتظر خلف الباب، خلف ملابسنا، خلف موتنا،
خلف أعيننا، داخل الظلام العام،
في غرف شائخة، ستائر طويلة آيلة للسقوط
مسدلة بتركيز إلى أسفل، كي تظهرَ
وكأننا ننتظر.
في وقت ما،
عندما أفتح النافذة، أشعر أن الأشجار
تقفز في الغرفة
مثل رجال سُمر، أقوياء، ماهرين في قوتهم،
مرتبكين أمام لحظة شحوبي، من قلة الشمس،
من الانغلاق الذي بداخلي. وأنا أصاب بالذهول.
أشعر أنني مجتهدة جداً، قادرة جداً على الإنجاز، وكأني
منذ قليل انتهيت من أصعب تدريباتي على القيثارة وعلى الشعر
تبقى أجزاء من الموسيقى عالقة، مثل جلد حيوان؛
وحينها
أتعجل الابتسامة، من أجل عذر
من أجل أي شكل لعذر مزيف. أذهب إلى المطبخ

أحضر الصينية، كوبين، قارورة كبيرة من الكريستال،
أتركها على المنضدة، والقارورة فارغة؛ أخرج ثانية
وأسمع من الخارج الرجال يتحدثون وحدهم بشكٍ بسيط، رائع،
دون أن ينتبهوا إلى القارورة الفارغة، وأن أحد الأكواب كان مشروخاً.
وفجأة يحل الليل.

في الخارج تمر الجموع بالمشاعل، عمداً، ليس من أجل رؤية أوضح،
فقط من أجل الظلال الكبيرة التي تصعد المخازن، الدرج
تقفز من الكوات والجدران والأرائك،
يجهزون الأقواس هناك حيث لا يوجد شيء
أو بكرات خيط من الخيط الملقى على الأرض
أو دُمى عوراء على أسرة الأموات.

آه، نعم - ليس هناك أحد لم ينتظر، وبخاصة
في الصباح،
في الساعة التي تصحو بها متأخراً تُدخِلُ قدميك في الحذاء المنزلي،
تتأخر لأنك تنصت إلى كل صوت في الداخل والخارج،
صرير، خطوة، شرخ، سعال، لأنك تود وبشدة
أن تحتفظ بموقف اللا مبالاة، أن تحافظ على تلك الحركة،
في الأيدي، في العيون، في الشفاه،
موسيقى نفاد الصبر التي لا تتعب. كم أن الصباح عميق
بعمق نوره المُطفأ، في ساعة استحمامك، الساعة التي تشرب فيها قهوتك بحذر،
وخلف الزجاج، والزجاج متسخ، والنور فوقه يخرج متدرجاً،
ولا تسمع الخادمة التي تسأل عن شيء. قد التصقت أذنك بمكان آخر، تستمع إلى
عبارة غير مسموعة
مثل الماء في الكوب: «حتماً اليوم».
في الهواء

تبقى الرائحة الغادرة واقفة، وكأنها شاردة من جلد حقيبة الأم القديمة
أو من حقيبة ساعي البريد.
خطوتان نحو العتبة
يقف رسول جميل، ليس متربًا على الإطلاق
حتى لو كان قد وصل من أبعد الأماكن. كان شعره مصففا بحرص،
ما زال انعكاس المرآة على شفتيه نديًا.
«أنت خالد» يقول
باحترام شاب. «أنت خالد» ويرحل.

ننظر إلى السجادة، - لا يوجد أي أثر لقدميه. إذن
لابد أنه قد أتى ورحل طائرًا، رغم أنك تذكر
لم تبد على كتفيه أيّة أجنحة ولا على كاحليه.
تقوم وقتها
تضع نفس الأسطوانة في الغرامافون، وتجلس ثانية؛
تنظم جسدك بشكل ما منسجمًا مع الموسيقى، -
لأن الموسيقى
دائمًا تسهل الصبر، تملأ المسافة نوعًا ما
بين موقفين عديمي الحساسية،
تخلط في اتحاد مؤقت هذا وذاك، تذيب الوقت
تاركة البقية مرئية داخل الانعكاس الذي يتيح لك أن ترى ثانية
في عمق هادئ، ألوانًا ثابتة من حجارة، غابات مائية ومفتاح الصندوق الضائع.
...
حصانك الخشبي
وجدته بالأمس، لم أجده في مخزن أثاثنا القديم،
وجدته تحت فراش الأم؛ وغريب، أن ذهني ذهب إلى حصان طروادة.
حسنًا
أخي. ليس لديك شكوى، أحيانًا

كل الذي حدث يبدو لي كأنه لم يحدث. ألا تظن ذلك؟
ليلة أمس
سمعت ثانية خلف الجدران تلك الكلمة:
«نور» «نور» «نور»«نور»، ترددت بشكل منتظم كأنها هتاف تشجيع وتهكم في نفس الوقت- ربما كان ببغاء الأم الثالث؛ أتظن، أنه فعلاً ما زال على قيد الحياة
بسبب رعاية خفية لإحدى الخادمات؟ كنت أسمعها بوضوح.

نهضت. نهضت كي أنصت أفضل. لم أستطع أن أعرف مصدر الصوت - من هنا، من هناك، من داخل البيت أو من خارجه؛
نظرت من النافذة؛ لا شيء. أسفل الحقل
كانت المدينة نائمة. نوافذ قليلة مضيئة. لم يكن هناك قمر.
ثم مرة أخرى «نور»؛ - وقفة؛ - «نور»؛ وقفة أخرى.
شعرت به:
في شيء يستجيب داخلي، أعمق من الذاكرة. عيناي كانتا
تبحثان رغماً عني في الظلام عن شجرة، عن مدخنة،
عن حشرة، عن نجم مختلف أو عن سياج الحديقة،
أو عن حريق من تل إلى تل، عن شيء
أستطيع أن أقول له «شكراً»
ورأيت
تحت غرفة الأب بالضبط حصانينِ لونهما أبيض
بعنقين منتصبتين ينظران نحو الأعلى، وكأنهما كانا يريان
الأب واقفاً أمام سور النافذة (لم أكن أستطيع أن أنظر إلى هناك، رغم أني كنت قد انحنيت حتى منتصف قامتي)
كان الأب واقفاً بملابسه الرسمية واللمعان من خوذته ينعكس على أنفيهما، على أعينهما، على غرتيهما-
وكان لون الخيل الأبيض يبرق
مثل ملاكين على الأرض بأجنحتهما مضمومة إلى جنبيهما،

توأم بريق وحيد، موزون من صوت الببغاء
«نور»«نور» أقوى وأكثر انتشاراً.
ربما قد نمت، - لا أدري. في الصباح، رأيت
خيل الأب، نحيفة، شائخة، مجروحة،
تدخل عبر البوابة، محملة بأقفاص، ربما كانت عائدة من الحقول.
نظرت إلى عيونها.
لم تعرفني.
كانت عمياء. حياني الحمال. وسمعت ثانية
ذلك الصوت: «نور»، «نور»، أكثر نعومة الآن،
أكثر رحمة، أكثر حزناً.
ألا تسمعه أنت من حين لآخر، يا عزيزي؟ لا تقل لا.
حاول ثانية. فأنا مثلك، أعرفه جيداً أنا أيضاً:
هو ما نريد، رغم كل هذا، أن نسمعه،
لكن لا يُسمع، الذي لا يُسمع
انظر، إنّ الفجر يبزغ.
هذا ليس هو النور؛ (ولو أنه لا يُسمع). انظر كيف يظهر
الماء في الكوب صافيا.
يظهر على وجهك قبول معسول - ياله من بريق جميل.
ربما نحن الاثنان نعرف أنه لا يوجد أي عزاء في الحياة،
ربما لهذا بالضبط، نحن الاثنان (حتى وإنْ كُلٌّ على حدة)
أن ننجح في أن نواسي ثانية وربما أن نوَاسَى.

ساموس، أثينا، ساموس نوفمبر1971 أغسطس 1972

غراغاندا

مقتطفات

- 1 -

مناوبة ليلية طويلة مع سجائر كثيرة، أحاديث جائعة، دخان، كلام؛
ارتكب النجم خطأً على باب الشرفة، رجع، يرحل؛
العجوز تتنصت خلف أبواب المستأجرين،
تتصنع بأنها تمسح الدرج الخشبي؛
ولدها الجميل – إحدى قدميه في الحذاء والأخرى في الجبيرة،

آه، - بائع القضامة الصغير دفع بكوعه بائع الدخان الصغير؛
تمر النساء اثنتينِ اثنتينِ بالسجائر الطويلة؛

آه، أيام السبت الربيعية الوردية في الضواحي
أمام المحال التي تغلق أبوابها، صالونات الحلاقة،
في العربات القديمة، في محلات الأثاث، بالدواليب الرخيصة،
المرايا المزيفة، لزواج الخادمة الصغيرة بالسباك الأسمر، القصير البدين،
على قدر بساطك مدّ قدميك - قالت افتربي، العالمة بالأشياء؛
آه، آه، يا أولادي، أولادي، يا حواة - صرخت -
وهي تدوس حافية على جمرات نار كبيرة من الحطب الجاف،
الشعارات المرفوعة، السجون، المنافي، رجولة غير معلنة،

أولادي، أيّها العزاب، مع حفنة من الأطفال، مع سهر عار، مع الإشعارات،
عندما تبدأ دور السينما الصيفية، البذور، القضامة، المياه الغازية،
أقماع البوظة، المحصلون، الأصدقاء، القرارات،
رائحة الأسماك المقلية شامخة بجوار مخازن الفحم
كوب الجِعة الكبير مثل مدخنة زجاجية بجناح،

ومحل الخردوات مغلق، والموظف الأحدب نسي على الحائط
لوحة الورق المقوى المثبت عليها كل أنواع الأزرار الكبيرة والصغيرة
.يالها من ألوان. سوداء وبرتقالية،
أزرار كثيرة تجعلك لا تعرف حتى كيف تغلق سروالك
وليلة يونيو وحيدة في العالم تنتفض بتشنج
رغم أن الكلاب تنبح أمام الخرائط الممزقة، الدبلوماسيين، الواشين
وأسطوانة الغاز في المطبخ متسخة
مغلقة على رائحة البترول بفمها الذهبي المحكم على الدخان

درجة حرارتك عالية، كنت تجلس بالداخل
كنت نافذة مزينة بالفسيفساء؛
والسفن كانت تعبر بين أشجار البلوط الحمراء والقديسين
ذوي اللون الأزرق.
في العام التالي جاءنا الصيف أسرع.
امتدت محطّات الوقود إلى ما وراء التلّ.
خراطيم ضخمة كانت تزحف على الأرصفة.
الأنابيب الزجاجية على المنضدة كُسيت بالتراب.

عاد المغتربون واحداً تلو الآخر بآذان متهدلة متخاذلة، وحقائب مخدوشة؛
توقفوا قليلاً، نظروا، تعجبوا، كانت الشرفة مربعة مثل منضدة مقلوبة
بالأرجل الكثيرة مرفوعة نحو السحب. غريب. الشارع
لم يتحرك. مضوا. أحدهم
حاملا كيس النوم وشريحة كبيرة من السمك المجفف.
الملح
انتثر بجوار الرصيف. الآخر
بسلحفاة في جيب سترته - كانت تخرج رأسها،
تنتظر، وتختبئ ثانية؛

على الأقل كانت لديك يدان، قدمان
بينما الآخرون في السراديب لا يملكون شيئاً.

كنا نتعلم أن ننسى. ماذا كان عسانا أن نفعل؟ كنا نهون على أنفسنا.
ماذا يحمل الغضب؟ قال - الزمن - لا يعمل حساباً لأحد.
- قال آخر -؛ ومن طلب منه؟ - ألا بورك في الموت.
النبات القراص
ينبت في الخرائب. نجمعه. نأكله. لا، لا -
قال الأول؛ - الموت لا - في الليل

يترطب الجو. تضيء النوافذ خلف الأشجار.
الصيادون العجائز
ثابتون، متحجرون في المرسى القديم
حتى آخر الليل، بعد منتصف الليل. من حين إلى آخر
تحدث حركة مفاجئة من أيديهم وكأنهم يتفادون مصافحة القمر، الجبل، المدى،
يلقون خيط الصيد، ينتظرون، لا ينتظرون،
ينعسون، ينامون، هلب يسقط في نومهم،
يَعْلَقُ بالخطّاف بدلاً من السمك
فردة حذاء، قميص، ساعة الغرقى.
في تلك الليالي

كنت تسمع بداخلك الكلمة المرفوضة، المنفية
أو الأخرى الممنوعة - كنت تسمعها إلى ما لانهاية
مثل تنهد حجارة القمر، متنكرة إلى الورشة؛ وهناك من الداخل لم يكن يظهر قمرٌ على الإطلاق، فقط صندوق كبير من الخشب غليظ، بأحزمة حديدية؛ وفوقه ثلاثة غربان واقفون متقوقعون. آنذاك

كان فانغيلي قد عاد - كان غائبا لخمس سنوات.

لم يتحدث إلى أحد عن رحلته. لم يختلط بالآخرين.
ضفدع صغير كان يتبعه بقفزات ووقفات متزامنة
هادئة، هادئة جداً حتى الصمت والنشوة
لأن الضفدع كان يعرف أن القديسين فقط هم الذين
ينتابهم الحزن الشديد،
أولئك فقط هم الذين يسيرون بحرص شديد أكثر من المجرمين
حتى لا يتركوا بصمات على مقبض أي باب
يغطون بأيديهم رؤوسهم المقطوعة أمام بطونهم -
إذا رأيتهم ذات ليلة تحت ضوء البدر
أمام أحد الجدران المجيرة أو خارج سياج الحديقة المروية
تظن أنهم حوامل من أسفهم
ويبحثنَ عن مكان لينجبنَ
هؤلاء هم متمردو العالم
هؤلاء هم الذين ينزعون الحبال المعلقة من على الأشجار
هؤلاء هم الذين يتكلمون من بعيد مع الدلافين
هم الذين يرافقون جنادب الليل المضللة غير المرئية
المعسولة الكلام بالمناشير الصدئة
بفردة صندل واحدة مع اليراعات

فانغيلي، ليفتيري، إيفغينيو، بيروخيتون، سيندروميتيس
هكذا كان ينادي، العصافير
هذا هو بقطعة الجبن المعضوضة والخبز في حزامه
هذا هو بالقمع الصفيح على طرف عصاه
هذا هو بالقميص المقطوع في المراحيض العامة
هذا هو بالسيجارة المقلوبة على سرته
هذا هو بالفلقة على قدميه
هذا هو بالصليبين على ركبتيه

العداء الثابت
ستافروس حامل الحطب
ستاثيس خادم الكنيسة مشعل القناديل
ثوماس صاحب أثر القدم الأبيض جامع قطع الطباشير
من مدارس الأرياف من أمام السبورات السود
أيدٍ فقيرة زرقاء، لأولاد عدميين معاقبين
في ذلك الوقت بالضبط كانت الأم الممزقة
تنظر خلف صور أبطال 21
وكل ظل على السقف أو على الأرض يساء فهمه

الضفدع الآخر، الصغير، مختبئ في تجويف
بين الكعب المنخفض وثقب افترش حذاء البنت الميتة
يقسم بكلتي عينيه: لن أشي
لن أقول شيئاً عن ممارسات عشق القديسين الخفية؛

بيض السمك والطيور يوجد في درجة الحرارة الصحيحة،
الشراع الأبيض يتحرك في المياه الضحلة،
الحَجرة الزرقاء سقطت، أخاطِب تنخدع،
تخرج من بين فتحات الصخور. ليفتيريس، ليفتيريس،
ليفتيريس - نادى ذيونيسوس - ليفتيريس؛

وثانية من أعلى التل: ليفتيريس، ليفتيريس
(ذلك الصوت وحيد جداً، مثير جداً، فوق أشجار الكروم، تحت النجوم)
ليفتيريس، ليفتيريس، ليفتيريس
يُسمع صوت البريق والأغنية؛ سنترابط؛
الأزرار المقطوعة تتجمع ثانية في الصندوق الحديد،
لا يسمع صوت رنينها؛ لن تحيكها بعد ذلك
تأخذ أماكنها على الخطوط العريضة للوحة الفسيفساء

فوق درع أخيليوس بعد المعركة. حسناً - قال -
أخرج من جيبه، أخذ يُعدد-
لفافة تبغ نصف فارغة، مشط، مرآة صغيرة،
مددها على راحة يده، نظر إليها،
ألقى بها في الكوة مع الزجاجات المكسورة،
مع القفازات القديمة، الطائرات الورقية البالية،
مع الأطباق الورقية الرخيصة من محلات الحلوى،
هناك عند النافذة، ضحك وحيداً؛
ذيونيسي، ذيونيسي - رد -
ذيو . ني . سي.

- 4 -

كيف يحدث - قال- مع الوقت أن يكون الناس بالنسبة لك-
مريبينَ، ناخبين بعيدينَ في مستقبل غامض،
هذا فقط؛ ولا حتى هذا؛ ولا حتى ناخبين
وحتى حين كان يمكنك أن تصدق
القش المخبّأ في إبط طائر اللقلق،
ولا حتى؛ النّاخبين فقط - أصوات ضائعة.

هذا من يقف عمودياً، وهذا من يُعلق مقلوبا،
الرأس المقلوب، الكوب المقلوب،
خدش على الزجاج من ظفر العجوز،
أحمال ثقيلة بلا ثقل-
آخر القواقع تتسلق الجدار المقابل
تماما فوق صوت بائع اللبن في ساعة مسائية
والعجوز تطوي ببواقي خيوطها المقطوعة من حياكات قديمة
نجمتها، عقربة أو جندب ليل جاف؛

ما زالت للأحلام أقدام - يقول- تسمعها فوق الأرضية
مع الأريكة الكبيرة متروكة مثل سفينة في منتصف الليل،
تقلب الصندوق الحديدي، تسقط الأزرار، تتدحرج،
كل الأشياء تحدث عن طريق الخطأ، وعن طريق الخطأ يتم التعرف عليها،
تبقى نصف كاملة عن طريق الخطأ،
أغراب يدقون مطارق الأبواب، ليلاً، سكارى،
يستيقظ المستأجرون، يُطلّون من النوافذ؛ ليس هناك أحد؛
لم يكن هناك أحد أبداً؛ - مم تخاف؟ ماذا بك أو لديك؟ ماذا ستخسر؟
الليل وحدَه فقط مع آلاف المفاتيح المحشودة؛
من حقائب، أكواخ، خزائن، مخازن، توابيت، بيوت مهجورة،
آلاف وآلاف المفاتيح، جمع لا حدود له، جلجلة لا حدود لها،
هذا اللامحدود الذي يجعل
البحارة يوّلون ظهورهم أمام واجهات عرض الملابس الداخلية النسائية
دافن الموتى الذي يتبول في الخزانة ينسى أن يبول
يرفع رأسه، ينظر، يتنصت، يتذمر
يبحث في جيبه عن مفتاحه - لا يجده
وفجأة يُنزِلون مرساة من العربة
يحملها الغواصون الخمسة إلى الصيدلية الساهرة
الخامس يربط على عنقه منديلا أحمر
المصباح الداخلي أخضر
الأحمر والأخضر أو هم 1 و2
العكس، متفقان، غادران، حادان، تصعبُ السيطرة عليهما
1 و2 أو 1 و1، لا تدري أيهما يبدأ قبل الآخر،
أيهما المسموح أيهما الممنوع،
المسموح: الممنوع- تنازل، إجباري؛

تَذكُر الحشائش، الدم، النهر، الجماع،

الدخول، الخروج - السرة الحمراء الكبيرة
المرأة المعضوضة، حوض الحمّام، المرآة الضيقة،
حوض الماء الساخن الذي كانت تصعد به المرأة الأخرى
السلم الخشبي
المرأة الثالثة كانت ميتة بملابسها في الصندوق مع النفثالين
مع صورها وزوج حذاء بُنيّ،

الأسماك الواقفة تدور على أعمدة الإنارة
المظلات كانت متروكة في الخزانة مع الستارة الممزقّة فردة حذاء المطّاط الطويل يعلوها
الطين الجاف. - قال- هنا
الجرذان حرة، تدحرج البكرات، تأكل المقاعد؛
- يقول- أنا طويل، أنت قصير
الأرض دائرية، الصفر دائري - قال-
أو دائرة رقص البنات بالفساتين البيضاء والشعور الزرقاء؛ -
يا للمكر لقد خدعونا، كيف بدلنا الأشياء،
القفازات، القبعات -
نحن متشابهان إذن، في الحرية - يقول-
في تدهورنا
داخل موتنا المختلف- نفس الموت،
هو يعطس، هو يسعل، هو يغنّي
ونفس الموت نلقى كلنا
في السفينة، في البورصة، في برج أجراس الكنيسة في الـ...
يا طيوري، يا مراكبي، سلالمي الحبلية - قال-
الكلب الميت في البئر مع ساعة يدي.
أنا
جمعت ريشاً من الدجاج، الإوزّ، من النسور، من العصافير صنعت أجنحة، جربتها عارياً أمام مرآة غرفة النوم،

لبستها في أعياد الهالويين، لبستها في المسرح،
لعبت دور الرسول، الملاك، ملاك الوحي،
طلعت ونزلت بالفعل، مربوطًا بحبل شديد من الخصر-
صوت البكرات لم يكن مسموعاً تقريباً
حركات الأجنحة قلدتها جيداً
الطيران كاملاً قلدته بجوار قمر ورقيّ
صفقوا لي كثيراً- لا أنكر ذلك – لا شكوى لدي -

وأنا عائد إلى بيتي سيراً على الأقدام بعد منتصف الليل
سمعت الضوضاء المكتومة من ورش الحدادة المغلقة
المنفاخ القديم كان في الخارج في الشارع، توقفت للحظة،
حاولت أن ألعب الهارمونيوم، هناك في الشارع،
كنت أعرف أن الموسيقى قد مرت من خلال الحديد الساخن
لكن نظرت إلى امرأةٍ متأنّقةٍ -ولم أعزف-
رأتْ أن أجنحتي مزيفة -
ومن فرط اليأس لَمَسَت تلك اللا جدوى
كان باستطاعتها أن تقولها في وجهي؟ وكانت تعرف
أن الحبل الذي يرفعني من خصري كان نفس حبل المشنوق؛
لم تنطق بكلمة؛ لم تنظر إلي؛ مدت يدها
وأعطتني بعض القضامة المبللة بعرق كفها.
«أنا
- تقول- لا أستطيع أن أمضغها؛ لأني أركب طقم أسنان.»
«وأنا كذلك» قلت لها.

نزعنا طقمي أسناننا
ونظرنا إليها تحت ضوء القمر؛ نظرنا إلى بعضنا؛ ابتسمنا؛
ضحكنا؛ ضحكنا كثيراً؛ عند المحطة انحنينا من كثرة الضحك؛

ضحك معنا ناظر المحطة. وصلنا إلى البيت؛ استلقينا على الفراش؛
مارسنا الحب صامتين، مرة ثانية، مرة ثالثة،
بشكل جميل، عميق، بلا تظاهر، أعمق من الزمن، أدنى من الموت.
في الفجر
ارتدت ملابسها وشرعت في الرحيل. عادت للحظة،
رفعت الملاءة على كتفي. «همست في أذني
- أنا أعرف- أن جناحيك حقيقيّان؛ لا تُخفِ هذا علي؛
لابد أن يكون التابوت كبيراً، حتى يتسع لجناحيكَ. نَمْ»
كان الباب مرهقاً مثل صوت أمومي «نَمْ»
وكان كل شيءٍ متعباً. الشروق ورديٌّ رماديٌّ
بخر الزجاج
وشرفة ماريا ذات الأصص الأربعة
معلقة في كف السماء. عند درج مكتب البريد سنقابل مرة أخرى
تلك القطة بفروها المنتوف من الغراء الذي ألصقه بها الأولاد الأشرار
هي نفس القطة جالسة بالقرب من سلحفاة، بجوار بعضهما،
صحبة في منتهى الوحدة،
مع ظلالهما الصباحية الكبيرة الأكثر شفافية منهما
في الوقت الذي تشعر فيه البراميل في الأقبية أنها مهجورة من الجميع
صبي النجار ينتظر أمام باب ورشة النجارة المغلق
حيث يعدون الدواليب الكبيرة بالمرايا الداخلية
كي تعكس في الظلام الملابس الفارغة، متحررة من الأجساد
محتفظة برائحة العرق وتعبير الجسد
كقشرة جندب متآكلة من النمل
والحشرات غير المرئية،
هناك حيث يصنعون التوابيت الكبيرة كي تتسع لجناحيك.
وكنت تسمع حبات القضامة تلك تسقط في النهر واحدة تلو الأخرى.

- 5 -

كان الوقت مستوياً - تقريباً غير موجود. إيفانغيلوس
نزع أولاً سرواله الداخلي ثم قميصه؛
تذكر يرقة على ورقة شجر كبيرة في مساء قمري
وبينما حرك نظرته من اليرقة إلى القمر
هذه الحركة نحو الأعلى كان بها شيءٌ محدد
قوة أخرى، خاصة به ومنسية،
ذكره ذلك بالذي ينام عارياً- رفعوه بوسادة الفراش
صعدوا به إلى السطح؛ لم يستيقظ؛
عرف فقط أنه في العراء، وأنه عار
بخيط أحمر معقود في ذراعه
على الحبل كانت الملابس الداخلية لسكّان البناية معلقة ومبللة لا تتحرك
على إحدى الملاءات كان مسكوباً ضوء أصفر
وكلب كان ينبح عند الجمرك
وكان الغواصون يخرجون بندولاً كبيراً من السفينة الغارقة
حتى أن النائمين ظنوا أنهم ليسوا نائمين-

كل الأشياء كانت مصنوعة من ماء ومن بريق الماء
ولم يكن هناك ماء، فقط الأزرق والعلوّ
وموت غير موجود
فقط عندما كان القبطان الثاني يستيقظ من شخيره
سمع ذلك البندول في مكان آخر، في كل مكان، في لامكان،
في ساعة غير مناسبة لعمق مالح، ساعة مبللة،
زجاج، عقارب الساعة، نباتات مائية، شعر الغارقة، عين الغارق
المرآة من الحقيبة في بطن الدلفين؛ القبطان

كان ينظر إلى الشـــريط الذي يزين قبعته المعلقة على الحامل في حجرة القيادة نســي النوم، نام مباشرة
داخل قناديل البحر، القُريدس، قنافذ البحر، ســرطانات البحر، أحزمة النجاة، الليمون،
حوت فتح فمه وبه علم
تذاكر الركاب السابقين كانت تزحف على سطح السفينة
كانوا قد بدلوا تخصصاتهم مع قفزات السمك الطيار،

حارس الفنار حينها أصابه العمى
بقيت كل حركاته ثابتة
أضاء الأنوار في وقتها - لم يكن يحتاج إلى ساعة
كان قد وضع الساعة في صدره
كما تحشر في صدرك إوزة مسروقة
كانت نفس البندول المبلل بعين الغريق

آه، - قال- طوال الصباح الأفق
وردي بخرز أزرق؛ رأيته
داخل البئرين؛ هذا يعرفه جيداً
العميان والغرقى؛ تصيح به الديوك من فوق الشجيرات:
أعلى الأجراس غارق في أعمق البحيرات؛

وذلك الذي يجلس على الحجر خلف الجدار،
مؤقتا، مؤقتا، خائفا،
يلملم أقدامه حتى يشغل مكاناً أقل على الحجر
مع ذلك الانكماش المستمر للمتسلل
مع ذلك الصبر المستمر باستمرار المعجزة
هكذا حيث تمتلئ يده وحدها بحبوب الشعير، القمح، عباد الشمس والذرة
ليطعم في الخفاء طيورا كبيرة غير مرئية غالباً بيضاء

يكفي ألا يراه أحد داخل تجمعهم المجيد
ألا يفهمون أن غير المرئي يجوع
رغم ذلك يرونه بوضوح في الساعة التي يرفعونه فيها
عمودياً على أجنحتها الألف
برباط حذائه الأيمن مفكوكًا
وثلاث شفرات صدئة في جيبه.

أنا رأيتك وقال الآخر الذي يجلس على الحجر الآخر،
على نصف ظله الثاني؛
لم أش بك؛ رأيتك عندما كنت تثبت رأس الذي قطعوا رأسه فور رحيل الحراس؛
رأيتك في مساء آخر وأنت تطعم القتلى والتماثيل واحداً واحداً؛
أتعرّفُ من بعيد على كيس ترحالك ذي الشرائط الحمراء والسوداء
كنت تسنده إلى الكرسي الكهربائي

كنت أرتعد خوفاً ألا تلحق؛ لم أرك عندما كنت تطير
كنت أمر بجوارك؛ بقيت؛ كنت أطلب أصدقاءَ أو حلفاء
لأن كُلاًّ منا كان لديه أعداء كثيرون ومجهولون أكثر.

أنا أيضاً من نفس الجنس؛ أُصر؛ لا أستسلم؛
قلت: الحقل بأزهار الأقحوان صباح ربيعي بالأجراس على التلال
قلت: مظلة مفتوحة مقلوبة مليئة بالضوء داخل الرماد
قلت: قبلة، خبز، عنب، صدر، مرساة، امرأة، حرية
قلت للموتى: انتظروا؛ لم ينته شيءٌ؛
أصنع التفعيلة بتحيز، باصطناع، أضع خطوطاً تحت الكلمات
أصعد بالمصعد، أحرك الهواء بقبعتي على وجهي، أنظر إلى المرآة،
أربط الأرقام الكاملة، أتوقف
مع صوت من الشرفة المجاورة يقول: «أنبتت البازلاّء»
مع المرأة التي تغتسل - في كل قدم لديها خمس أصابعَ

مع المرأة التي تتمشط - شعرها يُمطر نيازك
وهو يحمل المطرقة في نفق المحطة، لديه مقياس حديدي في جيبه الخلفي
النملة تتمشى على ورقة شجر الدلب
أستقطبها، أظهرها كدليل
مثل ملعقة الحلوى الفضية في الكوب
مثل ثقب السرة وانحناءة بطن المرأة النائمة
مثل المنشار المتمرس المعلق خلف الباب
وناهيك عن عقل الإنسان وقلبه – رأيتهما في التشريح وفي كتاب الجراحة وفي الخندق
وناهيك عن الأسنان النظيفة والقصائد والثورة.

الأقنعة بالطبع كانت حمراء من الداخل ومن الخارج
ربما من الجلد المخدوش من الداخل - ربما من الخارج أيضاً-
كل الأقنعة - قال- إلا السوداء؛
الأقنعة ترتدي نظارات شمسية، تنظر إلى البحر؛
الأسود يليق بالأحمر مثل كيس ترحالك
تحت الممر تمر الخيول في الظهيرة
أنفاسها تترطب في الظل
يتوقف الجميع لحظة ليفكروا، ثم يغلقوا أعينهم ويستمروا،
البيطار في الفراش من أثر إصابته من الفرس البيضاء-
يتأمل جناحيك واللون الأبيض.

أنا لم يكن لدي ما أفعله؛
لملمت الشاش الذي كان يغطي حلوى القرفة في محل الخرداوات والذباب يغطيه
غلفت الصليب الحديدي، نزلت إلى الشاطئ، لم ألقه في البحر
لأن الركاب من المراكب البخارية كانوا ينظرون
نزعت اللفافة وأكلته -
كم من الممارسات السرية تؤكد الراسخ والدائم

الذي لا مفر منه، المستحيل،
رجعت للخلف، نظرت إلى البجع والبط في البحيرة الصغيرة
هناك خمس نســاء متوســطات العمر بوجوه مغلقة وبقبعات مهلهلة كن يصــطدن بالصنارات
على بعد قليل من المسرح المدمَّر بالقنابل
لم يبقَ منه سوى عمود واحد
فوق العمود حصان رخامي بقدميه الخلفيتين مرفوعتين -

ماذا بنيت؟ - سأل. ماذا بنينا؟ - سأل ثانية
(كان له صوت؛ رأيت شفاها تتحرك).
حصان وحيد داخل السحابة؛ - ردد لنفسه؛
يكفي ألا يسقط بياض الحصان على البط وعلى القبعات القديمة
قال هذا وتاه خلف العمود الوحيد -
لماذا في المساء تتألّق الانعكاسات من الرخام
داخلةً عبر الزجاج إلى الحجرات المغلقة
إلى المرايا، في خزانات الملابس، في أذرع الجص الجوفاء
في الجرات الزجاجية المغلفة بالخيوط المغزولة، في مكنات الحياكة،
في حبات الكرز الشمعية على طبق الفاكهة
في قفازات وأحذية الأموات
في المزارات، في الأسلاك المكشوفة على السلم الخشبي القديم
على المصابيح المتربه في دار المسنين؛

العجائز ليس لديهم أطفال، فقط بيجاماتهم تلك الواسعة ذات الخطوط الطولية
أولادهم يسافرون مع زوجاتهم وأطفالهم؛ - إي، إي،

- إي - صرخ- دائرة، عجلة، أعلى وأسفل؛
- أسفل العجلة انغرس في الطين، واختفى جزؤها العلوي،
- نفس العجلة تدور بسرعة في الطين وتدور في الهواء

الجزء العلوي في الهواء لنفس العجلة
هناك حيث وضع العجوز عصاه وغرس أصابعه في لحيته
هناك حيث نظر الأعمى وضبط قيثارته
هناك حيث داس سائق العربة وربط حذاءه
رأيت البريق من الركبة - لحقته،

دائمًا ما كنتُ – مثلك - أخشى ألا ألحق بشيء
لأن كل الأشياء لها امتداد رغم حركاتها السريعة
وعندما صعدت السلم المسند إلى الجدار
كي أبدل المصباح المحروق في أعلى المكان
عرفت أنني وحيد
وأنني في هذا العالم بلا قِسمة
في أخمص قدمي كنت أنتعل الهواء
قبل أن أصعد كنت قد خلعت حذائي
وفي الأسفل الممثلان الهزليان اللذان كنت قد أعرتهما ملابسي الملونة
وأنفي الورقيين اللذين قد ربطوهما بحبل خلف الأذن
صرخوا عمداً: «سيسقط، سيسقط؛ إنه لا يطأ السلم»
وأشعلوا ثقاب الكبريت أمام أسنان الأُسُود
بينما الدبة ذات القدم الكبيرة كانت تمشي طوال الليل خلف الخيمة-

لا جدوى من تقديم الطلبات، من الاستعطاف - قال-
ولا بالفم المغلق؛ لا شيء، لا شيء؛
أن تنسى كدح أجر اليوم
أن تنسى التاريخ، أمك، الأموات
أن تنسى ما نسميه بالعدل؛
الأشياء الأخرى - الصمت، التنكر، الريش، الأجنحة -
الأشياء التافهة؛

وضعت المصباح الجديد، هبطتُ السلم، قلت:
ها هو القرن الجديد يربت على كتفي بيده الدافئة
أشعر بالود في سرية العالم
لأنني داخل الزمان والمكان
داخل ساعتي الخاصة
في ساعتنا الخاصة
أقسم أيضاً، وأبكي
أشعل سيجارة، أنفث الدخان من الشق
الحمال يفهم، يلعب بحاجبيه
البرتقالة تتدحرج على حجارة المنحدر
طائر بمنديل ورقي
صورة الملتحي الجميل على واجهة الحافلات
قيثارة كبيرة، مثل السفينة، بأوتار ومكبّر صوت
إضراب عمال الميناء
الرّافعات مع المعَلقين الآخرين وغيرهم من غير المعلقين
صناديق عجينة السردين، جبن وسمسم،

حسناً أقول لك إن العالم أغنى من مستغليه
أغنى من بائسيه ومعهم
امرأة صغيرة ابتاعت سكّرًا
الكيس الورقي مثقوب؛ خلف المرأة الصغيرة
يسقط نهر السكر، تلعقه الكلاب
نَزلت سلم المحطة، صعدت السلم الآخر؛ خلفها
نهير السكر، الكلاب الطيبة؛ لا ينفد الكيس الورقي؛
هكذا رأيت اللا محدود الذي لا ينضب؛ قلت اللا محدود؛

شددت حزامي مرة أخرى؛ صار خصري نحيلاً؛

سمعت صوتي بداخلي؛ أعجبني
سمعت صرير عمودي الفقري داخل جسدي.

قال فانغيليس - حسناً- الحياة خدعة؛
إذن ليس هو الموت فقط؛ خذ وهات الكلمة،
الفعل؛ آآخ - قال-
سنأخذ نصيبنا من العدل بالكلمة والفعل؛
يكون ما أكون؛ توجد استمرارية. آآخ؛
رأيت على زجاج المحلات العريض
تماثيل جيوش صابرة، نَزَلت إلى المسيرة
رأيت معهم الآخرين الذين لم يكونوا تماثيل
كانوا يحملون رايات بيضاء عليها شعارات: خبز، حرية، حب،
كانوا يحملون أعلاماً وتماثيل أصغر؛ كانت المسيرة تبدو بيضاء
وهي معكوسة على زجاج المحلات
والمايوهات الحمراء داخل الواجهات، بنادق صيد السمك، الأقنعة الزجاجية، أحذية الضفادع الزرقاء
كان هذا الانسجام جميلاً
كان رائعاً وقد انتبهنا إليه؛ صار ماءً؛ يتدفق
ازدادت سيولته وسرعته؛ وفجأة
طلقة البندقية الأولى، المعاكسة، الثانية، الثالثة؛
لم يَثبَتوا؛ ثم، مظاهرة، الموتى، الأطفال
نساء بشعورٍ شُعْث، رجال كثيفو الشعر
وتحت الركب الكبير
تحت العلم الوحيد
سُمِعَ صوت كوستاس يصرخ داخله
الناس يا إلهي، لا تعد ولا تحصى
رفع أحدهم الكمان عاليًا

والثاني صندوقًا فارغًا به فنجان،
الثالث رفع مع يده الكرسيَّ بقدمه
فوق الكرسي كان قفاز ملاكمة كبير
حاملاً الثلاث وردات نفسها. وحينها صرخت أنا:
غراغاندا
والآخرون فهموا مباشرة وصرخوا: غراغاندا
والخصوم من على التلال المقابلة وهم يصعدون
صرخوا:
غرا و غا و ندا
و غرا و غا و ندا
غراغاندا.

ماذا كانت في الحقيقة غراغاندا.

أثينا، كاروفاسي، يونيو – اغسطس 1972

جسر شديد الانحدار

عندما وصل حافّة الهاوية، وقف بهدوء، نظر إلى أسفل
وأخذ يتراجع بخطوات بطيئة، متأملة؛ - وكان يسمعها بالفعل
أصوات تجويف بعيد خلف ظهره.
توقف ثانية،
انحنى كأنه يبحث عن شيء على الأرض. أخذ حجرًا
وألقاها بقوة رياضي غير متوقعة على الفجوة؛
ثم تحرك ثانية نحو الأمام، اقترب من الحافة
وبخطوة مستوية
عبر الجسر النحيل الذي رسمته مسيرة الحجر.
تحقق منه قليلاً
على الجبل المقابل؛ لوّح بقبعته؛ - لم يكن ظهوره واضحاً؛
طمسه الضوء؛ وكان من الضروري عليّ أن أتبعه.

أثينا، 20. 11. 1976

مجموعة «قبل وبعد» كُتبت في يوغسلافيا، أثينا وكالاموس من 20 أغسطس حتى 20 نوفمبر 1976.

الروائع الوحشية

ذكريات شخص هادئ لم يكن يعرف شيئاً

إلى أراغون

مقتطفات

وحيد بليالٍ كثيفة تحت الأثاث مع جموع غير منتظمة غير مرئية
في الهواء والوحل
اشتراكيّون صغار متعبون من معاناة القرون
آخرون أقوياء بحنجرة بارزة في العنق من الكلام الحاد
وسحابة منتصرة في الفجر تدعم ولاية منيرة
وضوء طائرات سرية تضيء بالكاد واجهات البنايات
وأسوار الحدائق

ماركسيون قدامى طاهرون والجدد بشعورهم الطويلة
عجينة من الطلاب الأحلام العراك الصداقات النقابات
سياج حديدية وأبواب أخرى منهارة
لقاءات عالمية تحت أشجار صغيرة
صور سرية مأخوذة من معسكرات عسكرية فاشيستية
أفنية الجامعات بيضاء ببقع حمراء وسوداء

أقرأ الكلمات بالعكس وأجد معناها الصحيح
أتأبّط سبّورةً سوداءَ وأرحل
ممحاة السبورة تسقط وتتدحرج على السلم فتجري الفئران
رغم ذلك كنت قد احتفظت بمقص وعصاة بمقبض فضي وصينية
ماكينة حياكة في مدخل غرفة الطعام
وردة محنطة في علبة قصائد قديمة

شعور بالذنب من لمس طبشورة تلاميذ مسروقة

عندما ضبطوني باتصالهم الهاتفي
ضاعت مني كلها
كان انقطاعًا عن كل الماضي الذي
كان يتجهز ليصبح رائعة من الروائع
وكنت أفكر ألاّ أهمل النهر وخاصة الجراد
...
كنت أشعر حقيقة أنّني حر وجميل
وأنا أمزج صيحات الهتاف الياسمين وحبات القضامة
دون أن اضطر أن أعطي سبباً لأي تافه
وإن كان ماياكوفسكي قد انتحرَ
وبنطاله الكبير كان معلقاً على السحاب ممزقاً إلى آلاف القطع
من مخالب كلابه
...
وكنا نقرأ الموسوعة باليونانيّة الكبيرة عن
مرض الزهري والوزن الشعري وسونيا سونوريه
ولم يكن كاريوتاكيس[20] قد ذهب بعد إلى بريفيزا[21]
وورق اللف المقوى بالملح الخشن من عجين السردين
لم يكن قد مر بعد إلى منطقة الذوق الرفيع
(هذا بالضبط ورق الزبدة الذي كان ينتظرني
ويُشكُك بي مباشرة على منضدة المطبخ)
وحواجب بالاماس[22] ازدادتْ كثافة مثل العلم
وكلمات ماركس الرنانة ثابتة

[20] كاريوتاكيس: شاعر يوناني مات منتحراً وكان معاصراً لريتسوس.

[21] بريفيزا: مسقط رأس كاريوتاكيس، وهو المكان الذي انتحر فيه الشاعر.

[22] بالاماس: أكبر شعراء اليونان في ذلك الوقت، شيخ الشعراء اليونانيين من جيل الثلاثينات.

وصارت أفعالاً وخططاً خمسية
وبدأت المظاهرات المترابطة في شارع ليكورغو[23]
أمام مدرسة أثينا للموسيقى مباشرة حيث كانت تخرج ألحان شوبان من البيانو
تجري على النوافذ رافعة
إشارة النصر بالإصبعين

واجلس الآن إن استطعت لتحل ألغاز القانون أو اللغة اليونانية القديمة أو مع تلك الأخرى أصوات الدوم دوم دوم تلك في حُجرة شارع أغيوس قسطنطينوس
التي تهتز كلية عند مرور الترام

لحسن الحظ جاء نفث الدماء ليخلصنا من الجبر
ولنتأمل من الداخل
لأنني أبداً لم أكن بارعاً في الرياضيات وكنت أَعُد فقط
الأشياء التي لا تعد ولا تحصى وبالكاد حتى العشرة

كنت أعد الخبز والأدوات السماء والأقحوان
على أصابعي
والأرقام كانت تنظر بعيداً إلى سحابة في الغروب أو إلى
باب مقفول أو إليّ أنا الذي كنت أتهّرب من النظر إليها
وكنت أترجمها بداخلي مع أصوات بائعي الكعك
وباعة السمك المتجولين
...
ورغم ذلك لم أكن أحب أن أعطي تفاصيل كلامي العام

[23] شارع ليكورغو: أحد الشوارع الرئيسية في أثينا

أي بنادقة[24] وقباطنة ومونوفاسيين[25] وعرجان وبخلاء وأعيان وعربات
لا أعرف شيئاً إلا الصخرة الكبيرة أشجار الزيتون أشجار الكروم
والبحر أعرف
الفلاحين المعدمين بخوصهم وشواربهم تحت شمس الألوناري[26] الحارقة في الظهيرة
مثل القديسين البيزنطيين الشعثاء بأكاليل القداسة الباهتة حول رؤوسهم ومتآكلة من الأجناب
والنساء العجائز بالغترة السوداء على رؤوسهن ويعضضنَ الصبر راكعات أمام حوض العجين الفارغ
وليفتيريس[27] مروض الخيل الصغير الذي كان يتغوط تحت شجرة التين وهو يأكل تفاحة
والصيّادين بأقفاصهم يتسكعون على أقدامهم في ميرتو[28] تحت البدر الممتلئ
يا لأعياد القديسين إلياس سارانديس ذيميتري
قيثارات وخيول زمارين وكمنجات وقرقعات الأقدام في الهواء
رقصات التساميكو والكالاماتيانو[29] وردة مونوفاسيا وعطر الليمون
أغانٍ شعبية وحكايات فافو أو نيرانزيا[30] وحكايات أخرى

غوص وغطسات طويلة لإخراج إبريق قديم مرقش بالمحار والمرجان
الشرود وقت الغروب على صخور كوركولاس إثارات جنسية صبيانية أحلام وأبيات شعر

---

[24] البنادقة: أو الفينيتسين من فينسيا وكانوا قد احتلّوا أجزاء من اليونان في فترة ما في تاريخ اليونان الحديث

[25] المونوفاسيّون: هم أهالي مونوفاسيا مسقط رأس يانيس ريتسوس وهو ما يشير إليه الشاعر بالصخرة الكبيرة.

[26] الألوناري: أحد جبال اليونان الكبيرة.

[27] ليفتيريس: اسم رجل

[28] ميرتو: أحد الشواطئ البديعة في اليونان - تساميكوس، كالاماتيانوس هى رقصات يونانية محلية.

[30] نيرانزيا تعني البرتقال المر أو شجر البرتقال المر وفافو ونيرانزيا هما حكايتان شعبيّتان.

...

رغم ذلك كان الشعر منذ ذلك الحين يستعد بعظمة تقريباً
بملابس عمالية؛ قبعة؛ شعارات الضواحي
مع المناشير وإضرابات عمال البناء مع الخطب والإسكافيين
مع معول ومطرقة كيلير[31] بجوار أوراق الغار
وأوراق اللعب المشتعلة ملقاة من نوافذ نوادي المقامرة
ورجال الإطفاء الذين كانوا يتأخرون

عدت من شباب أبدي يأبى أن يشيخ
مليئًا بنساء كثيرات يحببْنني بعيون زرقاء
تزداد كبراً من الكحل
أولاد كثيرين بشعر طويل وفكوك حادة
لا أدري كيف أضعها في شراييني وكلماتي
تأخذني الثورة من يدي ونخرج في تجوال
في الشوارع المضيئة
متأخراً في الليل في الساعة الثانية بعد الشعر
الذي ما زال ساهراً
الشيوعيون يدرسون لينين غير ناعسين
أحاول ألاّ أنحني عن سعادتي ولا حتى مليمتر واحد
عن سعادتي
أفخر كمطرقة غجرية ولديّ حق فيما أقول
لأن خلف جذوع الأشجار كان ألف واش يتربصون بي
ويخاف مني جنود، ديكتاتوريّون، ضباط، ملوك وقضاة، عسكريّون
رغم أني لا أحمل مسدساً في جيبي الخلفي
ولا مطواة لأقطع خبزي

[31] هيلين كيلر: كاتبة وناشطة سياسيّة ومحاضرة أميركيّة (ولدت 27 يونيو 1880 وتوفيت 1 يونيو 1968)

ولا عصا ولا مدفعاً
لا شيء لا شيء
ابتسامات غريبة مرتعشة أمام معجزة العالم
التي يَعدُّها الثوار الحقيقيون
...
هذا الرجل قالوا عنه أنه صلب في التحمل والعمل والالتزام
صحته قوية مبرّأة من كل الأمراض
لديه حياة هائلة بلا موت
ومنشار كبير في الغابة اللا محدودة
كري كري وكري كري مع صراصير الليل، النجوم، الأغصان، ابن آوى
كري كري كري يقطع أخشاباً كثيرة لصنع السقالات والسفن
حطب من أجل تدفئة أكثر القرون قسوة

كما ترى بعد ذلك كنت أخاف التسلسل الإيقاعي
كان لابد أن أغير المكان كي أكون دوماً حاضراً
متفقاً مع التغيرات التاريخية مغيراً أدوات المطبخ
متفقاً مع تقليعة المعاطف الشبابية
محتفظاً بهذه الكوفية الثقيلة للطيار الروسي قافز المظلات على التلّة الجليدية من سنوات الاحتلال
وذلك القرار المطبوع لمؤتمر الحزب الممنوع حيث
أفصح ليَ الرفاق برعاية أخوية عن شكواهم
أن قصائدي الجديدة تنبع من بعض الميول الميتافيزيقية
وكنت أجيب بقصائد أكثر ميتافيزيقية لواقعٍ أكثر عمقاً
تقريباً مثل تلك القصيدة لزندانوف لكن معها القطط الملعونة لأحمدوفا[32]
أظن كانت سوداء تجلس جائعة خلف الزجاج

[32] زاندوف. أحمدوفا: شعراء روس

وتنظر إلى مياه نييفا أو موسكفا الجليدية لا أذكر جيداً
بعيون واسعة مثل قرنين جليديين
...

حينها كانت لوْلا[33] نحيفة بضفيرتين غليظتين سوداوين
وكانت تمسكني من يدي كأم صغيرة أو مثل عذراء قاصر
وفستانها المفرود كانت له رائحة خشب محروق من مدفأة قروية متواضعة في لاكونيا[34]

بعد ذلك كانت عنابر الأموات المشرحة سلالم المصحات النفسية
ملابس عليها دماء في ركن الأرضية الرخامية
مسالخ غيثيو البدائية وتلاميذ الإعداديّة يقفزون القناة الحمراء التي تصب في البحر
فرقة جوكوندو موريتي للهواة تعزف كل يوم أحد في الساحة فالسات شتراوس
...
حينها صنعت تحويراً للقرويين من أنتيغوني لسوفوكليس إلى أم الشعر لبسيخاريس[35]
وضعت دراجة فانغليي الخرِبة لتصدأ في مخزن الخشب
وطلبوا الأوصياء عليّ لكن لم يكن لدي أوصياء
لأنهم قد ماتوا قبل سنين
وكنت أنادي صيادي الجزيرة العجائز أعمامي حتى لا تشعر لولا بالوحدة
وفرضوا عليّ أن أكتب الشعر لمدة شهر
غيرة من الكمان القديم لبوليمس[36]
و لكريماى ريروم[37]

---

[33] لولا: أخت الشاعر
[34] لاكونيا: إقليم في اليونان

[35] بسيخاريس: أشهر لاعب وحاكي أراجوز في اليونان.
[36] بوليميس: آخر أحفاد الأسرة البيزنطية.
[37] لكريما ريروم: ملحمة دموع الأشياء لفرجيل.

الاثنا عشـر حديثاً للغجري[38] وضـعتها مع الإمبراطور تحت قبة كنيسـة القديس نيقولا البحرية
خفت أن يسحبني القديس نيقولا إلى احتفالات حساء السمك
مع دفوف كثيرة وكمنجات الأعياد الخيول الملونة والفساتين المنقوشة
خفت أن يُشتت انتباهي عن يقين التماثيل الحزين
وأبقى وحدي تماماً
رغم أني كنت أقضي ساعات طوال على صخرة مونوفاسيا دون أن يهتز رمشي
سارحاً في البحر ومحاكياً أحد أوضاع بوسيدون[39] الرخامي
منتظراً أن يضعوا تحت قدميّ أكاليل عمي الكبيرة
نيكولاس بليارخو الذي قتل في خيّو[40]

حينها كانت أول مرة أفكر ملياً أن في الثبات تجري الحركة الأبدية
والعكس بشيء من سهولة الموت والشك في نفس الوقت
...

قال لي عليك أن تلتقط صوراً طبيعية كثيرة
سريعة جداً وغير مترابطة كما هي حياتنا والبراميل الكثيرة التي لابد أن نرتبها
فإن خبز الرأسمالية قليل إذا أطلنا السهر في المكان الذي حدده لنا التاريخ
التقط قارورة الماء والمنبه والنجم الأصفر على النهر الأحمر
وثقب الرصاصة من على القميص الذي ينظر للمستقبل من بعيد

وصوراً أخرى معاصرة جداً أو حتى منسية تماماً
مُحَمضة بعناية كبيرة في غرف الغاز المظلمة
والتقط صوراً أخرى من فترة الثورة الرومانسية

---

[38] الاثنا عشر حديثا: إحدى أشهر قصائد كوستيس بالاماس.

[39] بوسيدون: إله البحر عند الإغريق.

[40] خيو: جزيرة في جنوب شرق اليونان.

الأسقف الخضراء لقصور الشتاء لقصور بطرسبورغ
وكيسي سكر حكمت[41]
وهما يصعدان الدرج الرّخامي

يانيس غالازوبترا ونيرودا الذي يحلق ذقنه أمام الحوض الأسمنتي
تســريحة أراغون البيضــاء الكبيرة وهي تهفهف من فالس الوداع خلف عربة الكاميون الضخمة

ولا تنسَ ريلكه مع لو سالوميه في حصار بوتمكين وهما يقطفانِ أقحوانة
أو في شوارع موسكو يجمعون أكياس تيل رمادية،
قشور الكستناء الصفراء ورقائق اللقاح من أشجار الليمون
أو في الميدان الأحمر الذي لم يكن أحمراً حينها بسترته الرمادية
التي تتموج من دقات أجراس الكرملين الرمادية في أعياد الفصح
أو في ياسيانيا بوليانا غازلاً بلحية تولستوي أسماءً خيالية تنتهي بـ فسكي أو بـ أوف

قال لي أمسك كاميرتك بثبات لتلتقط صوراً واضحة لمدافع الصباح في أفرورا
لأن الروبلات القديمة كانت تدور في دوامات الهواء على جسور نييفا
وكانت تسقط في النهر كقطيع غربان مضغوطة
ونزل ويتمان إلى بدروم دوستيوفسكي مع علب السردين الكثيرة والمشانق
ورفع لحيته الديمقراطية بكلتا يديه حتى عينيه
ونظر من بين أوتار القيثارة الكبيرة
وأكثر التواريخ بعداً اختلطت بالأعلام في أول مسيرات ما بعد الثورة
ولأنني لم أكن قد ولدت بعد
لم أكن أعرف بماذا ألحق أولاً

ورأيت والتقطت الصور وتكلمت وتكلمت

---

[41] ناظم حكمت: الشاعر التركي الشهير.

سكرت مع الكلمات أكسر الأكواب أغني بوردة في فمي
أحياناً أجلس لوقت طويل أمام كلمة وأحلم
بالألعاب الأولمبيّة
أحياناً أقبلها على شفاه الشعب وأغلق عيني
أحياناً أسحبها بملقاط من رمال التاريخ اللا محدودة
أحياناً أنظر إليها هذه الكلمات اللعينة مباشرة في السوق
أبصقها إلى الشعب وأعيدها على لساني
أحياناً أجمعها واحدة واحدة من الطين كحبوب الأرز الضائعة
أغسلها بالصابون وأجففها في الشمس
فوق سطح خلفية بيضاء من نول نسيج السيدة قسطنطينة
أحياناً ألفها في ورقة سيجارة صمت وأدخنها وحيداً أمام النافذة
مساءً في مقابل ظل معبد الأرخثيوم المشعشع
أحياناً أجرب أن أصنع منها طلقات وأقول ربما يوما ما ستقتل الظلم
أحياناً فيضان داخلي يغطيني من الخارج من قمة رأسي حتى أظافر قدميّ
مثل شاب جميل ميت ماكر مغطى تماماً بالورود
يدري أنه ليس بميت وينتظر أن يرحل الأغراب
حتى يضع الورد في المزهريات
ويعلم أن كل كلمة هي برج لأشباح الحروب
السيوف الأعلام شرفات ومقاعد
وبصنبور في حمامات أوريست بلا مصفاة
...
في الليل كانت تظهر لي أبيات شعر طويلة المقاطع
مثل حفارات كبيرة تحفر آباراً ارتوازيّة صناعية في تلال كالاموس المستحيلة
قريبًا جداً من مركز تنبؤ أمفياريو حيث تغرد طيور الحجل في الفجر
أو ربما كانت طيور السمان أو طيور أخرى-
عموماً كنت أفهم لغة الطير

ولم أكن أعرف لهجاتها المحلية - وحينها
ناديت بقوة يا أولادي يا أولادي يا بطاتي يا عصافيري الصغار
تعالوا أُحمِمَكم يا أولادي أغسلكم وأُمَشطَكم
وأخذوا في الوصول من الجبال والمدن

هؤلاء بالمكانس الكبيرة
هؤلاء بالرباعيات الكريتية المريرة والقيثارات
هؤلاء يطحنون نجماً بأسنانهم الأمامية
الراعي والثور ومزمار أركاديا
قاطع الأخشاب مع الشجرة كاملة وفأسه مثبتة في الشجرة
إيروتوكريتوس يمتطي ميزان الخمسة عشر مقطعًا
وأريتوسا خلفه على مؤخرة الفرس وعلى التل المقابل
ايروفيلي[42]
صاحب الكشك بنظراته الشهوانية على نساء المجلات العاريات
الجزار يفاخر بلحم ذبائحه الأحمر
لوكاس عامل مخزن الأدوية بدهان شعره الكثيف
بائع الجرائد ملتصق بترام 12
الرسام الثائر
الحداد بحدوات الحظ الثلاث
النجار ومطفأة السجائر
الغجري الراكع بمنديل لوركا الدامي
العاري بحذائه المطّاطي الطويل
باخيات يوريبيديس بأكاليل التوت
يوينفيرا باربارسكو بشعر ميزان المرارة الطويل

---

[42]. إريتوكريتوس، أريتوسا، إيروفيلي: أبطال ملحمة شعبية كريتية.

ماريا بانديوتسا[43] بغزالين ومرآة روبسبير
لم أعرف لماذا تجمع كل هؤلاء في بيتي
لم يكن لدي مصباح آخر
وحشروا واقفين في الممر
وآخرون جلسوا على صناديق الكرتون
وكنت أخشى فربما تنهار بهم
وكانت البطاطس منثورة على الأرض

ميتسوس كان يجمع الأحذية العسكرية والبطاطس في قفص كرة السلة
كانت تسقط ثانية بشكل طبيعي على البلاط
مثل تلك الأخطاء الناجحة التي يرتكبها لاعبو كرة السلة الزنوج
...

أخذنا إذن قليلا من الزهور من محطة القطار في النفق
نصف كيلو من البوظة من محل يوكا
وذهبنا لنزور ماريا
لكن فكها كان متورماً من ألم الأسنان
رغم أن ماريا كنت تحتفل بعيد ميلادها
رمينا باقة الزهور من النافذة
وبقينا فقط بالمجاز الجميل

بعد ذلك وبلا أي تساؤل
واحدًا تلو الآخر نزلنا الدرج المجنون مع ماريا
وخرجنا إلى الطريق الكبير المضيء
دون أن ندفع غرامة هذه المرة

[43] ماريا باندايوتيسا: إحدى النساء المناضلات في تاريخ اليونان الحديث.

ودخلنا كأول أفراد في المظاهرة الكبيرة
من أجل إنقاذ الأكروبول وإعادة ترميمه
رافعين رايات طويلة حمراء
ضد كل رجال الأمن والشرطة المركزية

ملحوظة-
(هنا تنتهي القصيدة التي كان من الممكن أن تكون أطول من هذا بمائة مرة أو من الممكن ألا تكون على الإطلاق) تصبحون على خير
أو ربما
(إذا كنتم تفضلون مثلي)
صباح الخير
من أجل الرفاق لم أقل شيئاً مهماً - فقد قالوه هم بأفعال أكثر وضوحاً وتواضعاً
جميعهم كان لديهم قلب وقسم وأمنية
رحلوا قبلنا - الصباح لم يعد يعرفهم
وذلك الذي كان يخطو بقدمٍ واحدة فقط
لماذا كان لديه عصفور صغير في جوربه الأيسر
وإن كان عليّ أن أكتب سيرتي الذاتية سأستخدم مقاطع صغيرة من – سبت الأرواح في ميلوس-

طاب صباحكم إذن وطاب صباحكم رفاق العالم والأسطورة

أثينا، كالاموس 1977

العالم واحد

إلى نيكولاس كروتشتي

مختارات

استعادة الحقوق

دراجة نارية كالبرق. مرت. كان العشق.
تطاير الشعر. بريق البحر. في السوق
كميات من الصبار في أقفاص من البوص
تتشمس بوقاحة - خُصى عتيقة،
النور ينبثر كالشذر على شعورهن الشُّقر
البنات يضحكن
أمام الأبواب. يشققنَ بالمطاوي
قشرة الصبار الغليظة. ضحكهنّ
يغطي على جريمة عشق خفية. وربما لهذا
في عمق الأفق سحابة بيضاء طفيفة تلقي
بقيد شبر من الظل على الجبل الأزرق المقابل.
ياله من يوم جميل،
جميل، جميل جداً، يحمي مرة أخرى،
متأخراً، ثمة حق لنا في التعجب،
ثمة حق لنا في شباب العالم الخالد.

كاستييرا، أمالفيتانيا 1978.IX.17

القصيدة. بوزيتانو

رصاصية، قرميدية، بيضاء، بأوراقها الخضر الداكنة،
في زرقة السماء والبحر. تناسبات جميلة،
وسعادة المشاركة الودية هذه، كما لو كنا
قد شاركنا أيضاً في اختيار وترتيب الأشكال
متمسكين بنبل بحق إخفاء الاسم.
رغم ذلك
هذه النوافذ الخمس المقببة، حيث كانت خمس بنات
وقد أزحن الستائر البيضاء لينظرن إلى البحر، -
واحدة كانت تحمل عنقود عنب وتلتقط حباته البنفسجية بفمها حبة حبة؛
الأخرى كانت تمشط شعرها الأسود؛
الثالثة كانت تمسك بمنديل- وربما كانت تلوح إلى المراكب البيضاء؛
الاثنتان الباقيتان دوّرتا شفتيهما، كأنّهما تصفّرانِ بأغنية حب.
حسناً
كم أريد هذه النوافذ الخمس، مثل قصيدة خماسية الأبيات،
وأوقع عليها اسمي بخط جميل بارز.

بوزيتانو 17. 9. 1978

المتع البومبيّا

متحف بومبيا[44]، حياة بومبيا، شهوة متبخترة،
بومبيا، بحفاظات قضبان كبيرة، مصنوعة بعناية
في بدر سبتمبر. بومبيا
عارية، عاشقة للمتع الحسية - بإبرة ساخنة مختومة

---

[44] بومبيا: مدينه رومانية قديمة ردمت تحت رماد بركان، اشتهر أهلها وفنونها بالمتع الحسية

على أذرع وصدور البحارة.

في المخرج

وجدت في التراب المحروق من الشمس موسين صدئين -
آه، بالتأكيد، بهما كانت بنات الليل المبهجات
يحلقن آباطهنّ، فروجهن، - هن اللاتي
رُسمن على أسرة حجرية الآن، نظرن إلينا
من داخل الموت بابتسامة بلا ظلال
يضفن متعاً حسية مجهولة على المتعة كي نظل نعيش.

بومبيا 17. IX. 1978

في ميدان نافونا

كنت أقول - ناظراً إلى الخارج، تَرى في العمق.
آه، ليلة، ليلة إيطالية، خفية غير مرئية، ميدان نافونا،
أعمدة إضاءة عالية، مقاعد ندية، نافورات، أبواب كبيرة
ومقوسة، منحوتة - مثل تلك التي حكت عنها
قارئة الأوراق العجوز:
ستعبر باباً كبيراً؛ أرى إكليلا؛ أرى مفاتيح حديدية؛ لا تُلقِها؛
احتفظ بها تحت إبطك.

آه، ليلة
بنت سوداء من حرقة الشمس بمنديل دانتيل أبيض،
ولد. بنت شقراء كأنّهما خرجا من فيلم لبازوليني،
عشش خشبية بألوان كثيرة، سهارى عتيدون، اثنان من السكارى،
أقماع بوظة رخيصة، قُبل عشوائية، وهذا الجميل العاري الصدر، -
جبهته مستندة على خصر أحد التماثيل، وقد ابتلّ تماماً من النافورة المتدفقة،
وكأن كل ليالي روما كانت تبكي فوقه.

روما، 17. 9. 1968

متحف الفاتيكان

دافينشي، رفائيل، مايكل أنجلو، - كيف حصروا أكبر السماوات في وجه الإنسان، في جسد الإنسان،
أظافر الأقدام والأيدي، أوراق شجر ونجوم، حلمات،
أحلام، شفاه، -
الأحمر والأزرق؛ المحسوس وغير المعقول. ربما من لمسة هاتين الإصبعين قد ولد العالم المسافة
بين هاتين الإصبعين تقيس بدقة حتى جاذبية الأرض ودورانها.

قال - لا أحتمل
كل هذا الجمال وكل هذه القداسة المذنبة.
سأخرج إلى الشرفة البيضاء وأدخن خمس عشرة سيجارة،
مستمتعاً من أعلى،
بمنظر روما، أشاهد الحافلات الكبيرة في الأسفل تُفَرغ
جموع السائحين في فناء المتحف، أكسر في جيب بنطالي
العديد من نكاشات الأسنان المسروقة، وكأنني أكسر كل الصلبان الخشبية التي صلبت عليها كل الرغبات الإنسانية.

روما، 18. 9. 1978

في الشّارع الذي لم يُسمَّ «شارع بازوليني»

نهار روما العريض الذي يمد حرف اللام الصامت في أفواه الباعة المتجولين، في عجلات الحافلات، وفي صمت التماثيل.
شاحبة تقف على واجهات
المحلات والقصور الشرقية، أبواب وأبواب
تحتفظ بنصف دوائر الظل في ماضٍ ما. غريب، - قال-

في ولاية عريقة، بألوان حمراء وصفراء داكنة،
يوجد أولاد يمسكون بأيدي أمهاتهم
في هذه الشوارع المزدحمة، تحت هذه النوافذ غير المنتظمة،
هنا
حيث كان بازوليني يقضي لياليه متسكعاً، - المحطة النهائية،
هنا
في كشك خشبي مكشوف حيث نيرون معاصر سمين
كان يبيع للمارة كوفيات ملونة.
ابتعت واحدة حمراء
ربطتها حول عنقي، وفي منتصف الشارع بدأت في صفير أغنية:
هيا يا ملاعين الأرض،
هيا يا ملاعين الأرض.

روما، 18. 9. 1978

قصائد سلسلة «العالم واحد» وضعت مسوداتها أثناء رحلة للشاعر في صقلية وباقي إيطاليا من 15 سبتمبر حتى 18 سبتمبر 1978

حديث شهواني

مختارات

نوم شهواني بعد ممارسة الحب. ملاءات مبللة بالعرق
متهدلة من الفراش على الأرض. في نومي أسمع
النهر القوي. الإيقاع يتباطأ. جذوع أشجار كبيرة
تتدفق معه. على أغصانها ألف طير
ثابتة مسافرة مع أغنية طويلة
من ماء وأوراق شجر، تقاطعه النجوم. أمرر يدي
تحت عنقك بخفة، وأخشى أن أوقف أغنية الطيور
في نومك. غداً عند العاشرة،
عندما ستفتحين النافذة وتتدفق الشمس في الغرفة
ستظهر في المرآة بشكل أوضح عضة تحت شفتك السفلى
والبيت سيصبح شديد الاحمرار، مرقش كله
بريش ذهبي طويل، أبيات شعر طويلة غير مكتملة.

أثينا 15. 2. 1981

القصائد التي عشتها في جسدك صامتة،
ستطلب مني أصواتها، في وقت ما، عندما ترحلين.
لكن لن يكون لي صوت كي أقولها. لأنكِ كنت تعتادين دائماً
أن تتمشي حافية في الغرف، وبعدها كنت تتلملمين في الفراش
بكرة من الريش، الحرير وشعلة متوحشة. تعقدين يديك
حول ركبتيك، تاركة قدميك المتربتين الورديّتين ممدّدتينِ بإغراء.
اذكرني - كنت تقولين لي- هكذا؛
اذكرني هكذا بقدمي المتسخة؛ وشعري الساقط على عيني -

لأني هكذا أراك أعمق.
إذن، كيف يكون لي صوت بعد ذلك.
الشعر لم يسر أبداً هكذا
تحت أشجار تفاح بيضاء نحو إحدى الجنات.

أثينا 16.2. 1981

كل الأجساد التي لمست، والتي رأيت، والتي أخذت،
والتي بها حلمت، كلها
مكثفة في جسدي. آه، شهوانية أنت يا ذيوتيما[45]،
في ندوة اليونانيين الكبيرة. عازفو الناي رحلوا،
الشعراء والفلاسفة رحلوا. والمراهقون الوسيمون يناموون بالفعل
بعيداً، في غرف نوم القمر. أنت وحيدة
في صلاتي العالية. صندل أبيض
بشرائط بيضاء طويلة مربوط في قدم المقعد.
أنت النسيان المطلق؛
أنت الذاكرة المطلقة. أنت القابلة للكسر بلا شروخ. يبزغ الفجر.
صبارات شهوانية تتدفق من الصخور. شمس وردية تقف على بحر مونوفاسيا.
ظلنا المزدوج
يذوب من النور على الأرضية الرخامية مع أعقاب السجائر الكثيرة المداسة بالأقدام،
مع باقات ورد الياسمين مثبّتة على إبر الصنوبر.
يا ذيوتيما الشهوانية،
يا من ولدتِني و ولدتك أنا، قد حان الوقت
أن ننجب أفعالاً وقصائد، أن نخرج إلى العالم.
والحقيقة، لا تنسى،
عندما تخرجين إلى السوق، وتشترينَ تفاحاً كثيراً.

[45] ذيوتيما: هي المرأة الوحيدة التي كانت تشارك في ندوات الرجال الفلاسفة الإغريق في اليونان القديمة.

لا تشتري تفاحاً ذهبياً، ولكن ذلك التفاح الأحمر الكبير،
ذلك الذي عندما تغرسين أسنانك اللامعة في لحمه الأجوف، تبقى ثابتة،
مثل أبدية فوق الكتب، ابتسامتك الحيوانية.

أثينا، 18.2.81

حديث شهو اني كتبت في أثينا من 15 حتى 18 فبراير 1981

متأخراً جداً في الليل

مختارات

أشياء صغيرة

أمشاط شعر، أحزمة، أمواس حلاقة -
آه، أيها البائع المتجول، كيف تدري
أن بأشيائك الصغيرة تلك
فتحت لي عدداً من الشرفات
أمام البحر،
كم من الغابات أهدتني ظلها،
كم من التماثيل عشقتني
وهذا الحلزون الصغير
بِقَرنيّ استشعار من الجيلاتين
يتسكع سعيداً على ورقة شجر
ويحلم معي.

كالاموس 1.7. 88

الأبدية

نفس هذه الجرائد اليومية بالضبط قد قرأناها
في العام الماضي والذي قبله وقبل خمسين عامًا، وربما
بعد مائتي عام سنقرؤها هي أيضاً -
حروب، غرق، طاعون، مجاعات. كوب
يسقط ويُكسر. الفطور، النساء
يخرجن الملاءات في شمس الفناء، مع
بنادقنا،

لأنها هي أيضاً تبلى وتتعفن
وبدلاً من أن تحميك، عليك أنت أن تحميها.

أثينا 16. 1. 88

نفس النقطة

كان يقضي ليالي وليالي ساهراً متابعاً
فوق الخارطة مسيرة جيشين عدوين
في حرب أبدية غير معلنة. كانت ميوله واضحة
نحو الجيش الذي كان يتبع الخط الأحمر.
كان يثبت الدبابيس على الخارطة بسعادة
إلى الأمام شيئاً فشيئاً، الخط الأحمر، إلى أن
وصل إلى نهاية الخارطة حيث لا يوجد
لا قرية، ولا مدينة، ولا جزيرة، ولا بحر
ولا اسم أي أحد. نظر بعينيه إلى الخلف
ووجد أن الخط الأسود قد وصل إلى
نفس النقطة.
امتلأ البيت بدخان السجائر
وشعر أن هذه الدبابيس تثقب جوانبه
دون أن تؤلمه حتى. يقوم.
يفتح الشباك. ينظر إلى الشارع.
لا يوجد أحد. ولا عربة ولا راكب.
من بعيد تتوهج المدينة الباردة الميتة.

أثينا 18. 1. 88

والقصيدة

كم هو جميل عندما تصعد الأشجار التلال.
لقد خَضَّر مايو المكان. خلف الأشجار
البيوت البيضاء تتحاور فيما بينها
شيء أبيض وساكن- وصول السفن،
وصول المصطافين، الطيور، العشق. «وأنا، - قال-
أنا راحل، أنا راحل.» والقصيدة
قد أغلقت فمها بصليب من الشمع.

كالاموس 5.2. 88

كتبت في أثينا وكالاموس من 1 يناير حتى 4 مايو 1988.

الصيف الأخير

مراسم توديع ألوان الغروب. حان الوقت لتجهّزي
الحقائب الثلاث - الكتب، الأوراق، القمصان-
ولا تنسي ذلك الفستان الوردي الذي يلائمك كثيراً
خذي كل ما لن ترتديه في الشتاء. أنا
في الأيام الأخيرة التي بقيت لدينا، سألقي نظرة أخرى
على الأبيات التي كتبتها في يوليو وأغسطس
رغم خشيتي أنني لم أضف شيئاً، ربما
قد محوت كثيراً، حيث من خلالها يبدو
هذا الصيف بشكوكه الداكنة
بجنادبه، أشجاره، بحره
وصفير سفنه وقت الغروب المجيد،
بنُزه القوارب تحت ضوء القمر تحت الشرفات
وبرحمته المصطنعة، سيكون الأخير.

11. 3.89.

من المجموعة غير المنشورة (صفير السفن)

المحتوى

مقدمة المترجم 5

يانيس ريتسوس: سيرة ذاتية 7

الجرارات 13

منفذ 13

«الثوار» 16

رغبة 17

المراثي 19

اتفاق ربيعي 25

حلم ظهيرة صيفية 33

علامات على هامش الزمان 37

تناسبات 37

عارٍ 37

مسيرة المحيط 39

المائة عام الأخيرة قبل الإنسان 47

روميوسيني 53

سيدة الكروم 61

بين الأقواس 67

معنى البساطة 67

إعادة التكوين 67

نساء 68

كلمة الشكر 68

يوميات المعتقل 69

قِدرٌ مُدخن 73

زمن حجري **77**
جيران العالم **81**
تمارين **89**
نور 89
عزلة صغيرة 89
تبادلات 89
شرح ضروري 90
امرأة من الريح 91
اثنان 91
هكذا دائماً 92
جمعية 92
صحيح 93
معجزة 94
فنان منسي 94
تشابه 94
مدرسة صيفية **95**
المدة 95
عباد الشمس 96
طنين 96
مراهقة 96
أقل وقت للحب 97
بيت هيلين 97
سوناتة ضوء القمر **99**
شهادات: الحلقة الأولى **109**
آفاق 109
بيت شعر 109
مسائيّ 109
السائر أثناء النوم والآخر 110

من أجل دقة أكثر 111
اللص 111
تحت النسيان 112
إدراك 112
قصة غير مهمة 113
شجرة 113
وحيداً مع عمله 114
دقات 114
مسرح قديم 115

شهادات: الحلقة الثانية 117

تقريباً 117
المتمردة 117
مساء 118
بشكل غير مباشر 118
النشوة الأولى 118
العرافة 119
شهر واضح 119
شجرة الكستناء 120
حضور ثان 120

شكل الغياب 123

البيت الميت 141

أوريست 165

قصائد إلى كفافيس 185

مكان الشاعر 185
إطفاء المصباح 185
مخابئ 186
سوء فهم 187
الساعة الأخيرة 187

تاناغريات 189
الخزّاف 189
الزمن 189
انعكاس المرآة 190
صليل 190
الجدار داخل المرآة 191
وطننا 191
انعزال 191
استقلال سري 191
المحدد والغامض 192
أفق 192
حضور 193
سذاجة واضحة 193
اكتشاف المركز 193
هذا، نعم 194
إعادات: الحلقة الثانية 195
قبور أجدادنا 195
بعد الهزيمة 196
ويقصها 197
نحن و هيراكليس 198
يأس بنلوبي 199
نهاية ذوذوني 200
الجلالة والغار 201
إعادات: الحلقة الثالثة 203
الشمال الضائع 203
حياتنا في فاريس 204
الـ «أو» البديلة 205
حجارة 207
وسيلة للتفاؤل 207

بلا ثقل موازن 207
منتصف الليل 208
سرطان 208
خاتمة 209
ليل 209

ثماني عشرة أغنية شعبية للوطن المر 211

1. إعادة تعميد 211
2. حوار مع زهرة 211
4. شعب 211
8. يوم أخضر 212
9. قداس 212
12. بنات نحيفات 212
14. شاهد قبر 212
15. هنا النور 213
18. لا تبكِ على روح اليونان الحديثة 213

سياج حديدي 215

استدعاءات 215
تفتيش 215

إيماءات 217

المدينة الأخرى 217
وسائل التوصيل 217
إرشادات 218
إنسان 219
مراقبة 219
إذابة 220
قصة 220
إزهارٌ غير طبيعيٍّ 221

هيلين 223

عودة إيفيجينيا 231

جسر شديد الانحدار **261**

الروائع الوحشية **263**

العالم واحد **277**

استعادة الحقوق 277

القصيدة. بوزيتانو 278

المتع البومبيّا 278

في ميدان نافونا 279

متحف الفاتيكان 280

في الشّارع الذي لم يُسمَّ «شارع بازوليني» 280

حديث شهواني **283**

متأخراً جداً في الليل **287**

أشياء صغيرة 287

الأبدية 287

نفس النقطة 288

والقصيدة 289

الصيف الأخير **291**

خالد رؤوف

مترجم مصري

درس اللغة اليونانية والأدب اليوناني في جامعة أثينا، ويحمل دبلوم ترجمة من جامعة أثينا وكلية الاتحاد الهيليني الأمريكي. حائز على جائزة الإنجاز مدى الحياة جائزة في الترجمة من مؤسسة حمد للثقافة والتفاهم الإنساني، وحائز على جائزة الإنجاز مدى الحياة من جمعية المترجمين اليونانيين.

حاصل على بكالوريوس في التاريخ والآثار من جامعة أثينا ودبلوم من المدرسة الوطنية للمسرح في أثينا (دراما)، وماجستير ودكتوراه في تاريخ الفن الكلاسيكي (اليوناني/الروماني) من جامعة شيكاغو. يعمل في المجال التعليم الأكاديمي بما في ذلك تدريس الترجمة الأدبية في الجامعة الأيونية في اليونان.

عمل في المؤسسة الهيلينية للثقافة بالإسكندرية نائبًا للمدير ومنسقًا للأنشطة الثقافية والتعليمية، كما عمل مستشارا لوزارتي الثقافة اليونانية والمصرية ومؤسسات ثقافية مختلفة في العالم العربي.

ترجم ونشر حتى الآن حوالي أربعين عنوانًا في الأدب اليوناني والإنجليزي، منها:

- ريتسوس، يانيس (2009) جيران العالم. مختارات شعرية (الإسكندرية: جدار للثقافة والنشر).
- كازانتزاكيس، نيكوس (2013) أليكسيس زوربا: سيرته وحياته (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- ذيميترياذيس، ذيميتريس (2013) أموت كوطن. رواية (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- ذيميترياذيس، ذيميتريس (2013) التحول. رواية (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- غريغورياذيس، ثيوذوروس (2016) العزى، ألف عاشق وعاشق. روايتان (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- تسيركاس، ستراتيس (2016) ثلاثية مدن جامحة [آريان (الجزء الثاني)، الخفاش (الجزء الثالث). (القاهرة: المركز القومي للترجمة).
- مارانجو، نيكي (2013) يزول. رواية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الجوائز).
- بوليتيس، كوزماس (2016) إيرويكا. رواية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الجوائز).

• كوموتسي، بيرسا (2016) نزهة مع نجيب محفوظ. رواية (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب – سلسلة الجوائز).

• كوموتسي، بيرسا (2022) أصوات سكندرية. رواية (القاهرة: صفصافة للنشر).

• قصائد مستوحاة من شعر كفافيس (2013) مختارات شعرية. من العربية إلى اليونانية (أثينا- الإسكندرية: لمؤسسة اليونانية للثقافة).

• كافاذياس، نيكوس (2015) قصائد لشاعر الحب والبحر. مختارات شعرية (القاهرة: صفصافة).

• يوانيذيس، بانوس (2017) غواب. رواية (القاهرة: صفصافة).

• ثيوذورو، إيفغينيا (2017) طعم الصحراء. رواية (القاهرة: صفصافة).

• سوتاكيس، ذيميتريس (2025) معجزة التنفس. رواية (القاهرة: صفصافة).

• سوتاكيس، ذيميتريس (2022) قيامة مايكل جاكسون. رواية (القاهرة: صفصافة).

• ستامو، إيفا (2023) الرحلة. رواية (القاهرة: صفصافة).

• يوانيذيس، بانوس (2023) أمريكا 62 من الأعماق. رواية (القاهرة: صفصافة).

• ديلاخانيس، أنجلوس (2019) جالية جامحة (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• إنيجيو، كين (بدون تاريخ) اتجاهات المسرح الأفريقي: المسرح والعرض المسرحي الأفريقي (القاهرة: المركز القومي للترجمة).

• كامبانيليس، ياكوفوس (2024) فناء المعجزات. مسرح (القاهرة: جسور للنشر والتوزيع).

• ساماركيس، أنتونيس (2024) صناعة يدوية. قصص فصيرة (القاهرة: جسور للنشر والتوزيع).

• كسيناكيس، ستيفانوس (2022) الهدية. رواية (القاهرة: دار العربي).

• كوكيناكيس، سبيروس (2022) مختارات شعرية (القاهرة: صفصافة).

• كوكيناكيس، سبيروس (2024) يغلق عينيه فيولد العالم. رواية شعرية (القاهرة: صفصافة).

Poetry

ليستِ المرة الأولى التي يُترجم فيها «شيءٌ» من أعمال الشاعر يانيس ريتسوس؛ لكن أغلب الترجمات التي قدمت من قبل إن لم يكن جميعها، تُرجمت عن لغات أخرى. لذا تعد هذه النسخة هي الأولى من أشعار ريتسوس المترجمة إلى العربية عن اللغة اليونانية دون لغة وسيطة.

و بالطبع؛ لا يمكن الإحاطة بأعمال ريتسوس كاملة فله حوالي مائة ديوان إضافة الى ما يقارب الـ خمسين عملاً شعرياً و إبداعياً لم تنشر حتى الآن!

وأمام هذا القدر من الأعمال سيكون من الصعوبة بمكان على أيّ مترجم أن يقدّم مختاراتٍ تحيط بتجربة ريتسوس المديدة! حتى بالنسبة لمن يعيش في اليونان ويكتب بلغتها كما أفعل. و رغم أني قبل وخلال الترجمة قرأتُ أغلب ماطبع لريتسوس، إنّما اعتماد هذه الترجمة على مختارات أصدرتها الباحثة السيدة خريسا بروكوباكي من شعر يانيس ريتسوس في العام 2000 عن دار (كذروس) يسّر عليّ المَهمة؛ كونها دراسة عميقة و بمثابة إطلالة وافية على مُنجَز ريتسوس، أخذتْ فيها الباحثة بعين الاعتبار تقديم بانوراما راعت فيها المراحل الشعرية والتاريخية وكذلك الشخصية التي مر بها الشاعر اليوناني؛ والذي يعد أحد أهم شعراء اليونان والعالم. شاعر ترك لنا إنتاجاً غزيراً من الشعر عالي الجودة؛ رغم ندرة اجتماع ميّزتَي غزارة الإنتاج و رفعة الجودة في الأدب.

المترجم خالد رؤوف

YIANNIS RITSOS

NEIGHBORS OF THE WORLD

Translated by Khaled Raouf

Jidar
Culture & Publishing